

جامعة الخليل

كلية الدراسات العليا

العلاقة بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) والأردن

2007 – 1987

إعداد

خالد خليل محمود ذويب

إشراف

الدكتور عماد رفعت البشتاوي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بكلية

الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل .

2010 م

العلاقة بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) والأردن

2007 -1987

The Relationship Between Islamic Resistance
Movement (HAMAS) And Jordan

1987 _ 2007




إعداد

خالد خليل محمود ذويب

" نوقشت هذه الرسالة يوم الخميس بتاريخ 9 / 12 / 2010م الموافق 1/3 / لسنة 1432

هـ وأجيزت "

أعضاء لجنة المناقشة:

- | | | |
|--|----------------|---------------------------|
| التوقيع
 | مشرفاً ورئيساً | 1. د. عماد البشتاوي |
| التوقيع
 | عضواً خارجياً | 2. د. سميح شبيب |
| التوقيع
 | عضواً داخلياً | 3. د. عبد القادر الجبارين |

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح أبي.. وأمي

إلى القادة الذين حملوا لواء الدفاع عن القدس.. والأقصى.

إلى أصحاب المبادئ الأمامية السامية العابرة للحدود.

إلى شهداء الأردن وفلسطين .. شهداء الحق والواجب.

إلى زوجتي التي آزرتني وساندتني.

إلى أولادي: خليل.. بيسان.. سيف الإسلام.. مريم.. راما.

الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل الشكر، ووافر التقدير، وعظيم الامتنان إلى كل من:

الأستاذ الفاضل، د. عماد البشتاوي.

الأساتذة الأفاضل، د. خلقي خنفر، ود. محمد العلامي، وجميع أساتذة التاريخ في جامعة الخليل.

السادة الأفاضل الوزراء، وأعضاء المجلس التشريعي الفلسطيني، الدكتور ناصر الدين الشاعر، والمهندس وصفي

كبيها،

والمستشار الدكتور أحمد يوسف.

السادة الأفاضل أصحاب مراكز الدراسات، د. إياد البرغوثي، ود. غسان الخطيب، والأستاذ نصار إبراهيم زاهرة،

والأستاذ مازن اللحام.

السادة والسيدات الأفاضل، الذين ساعدوا في التدقيق اللغوي والإملائي.

مكتبة بلدية البيرة، ومكتبة جامعة الخليل، ومكتبة بلدية الخليل، ومكتبة جامعة بيت لحم، ومكتبة جامعة

النجاح.

السادة والسيدات الأفاضل، الذين قاموا بجلب الكتب المتعلقة بالدراسة من بريطانيا وكندا والأردن.

السادة والسيدات الأفاضل، الذين ساهموا وساعدوا في إخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
ت	الإهداء
ث	الشكر
ج	الفهرس
خ	الملخص باللغة العربية
ذ	المقدمة
تمهيد حماس النشأة والمنطلقات	
2	العوامل التي أدت إلى انطلاقة حركة المقاومة الإسلامية
6	حماس النشأة والمنطلقات
9	الأيدولوجيا والأهداف
11	الرؤية السياسية للصراع
15	الثابت والمتغير في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية "حماس"
18	وسائل حماس
الفصل الأول: علاقة حماس مع الأردن حقبة الملك حسين 1987 - 1993م	
23	السياسة الخارجية لحركة حماس
28	علاقة حماس مع الأردن
29	فك الارتباط عام 1988م
39	مؤتمر مدريد للسلام عام 1991م
51	اتفاق أوسلو عام 1993م
الفصل الثاني: علاقة حماس مع الأردن 1994 - 1999	
60	اتفاقية السلام الأردنية - الإسرائيلية عام 1994م
68	محاولة اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل عام 1997م
77	اتفاق واي ريفر 1998م

الفصل الثالث: علاقة حماس بالأردن " حقبة الملك عبد الله الثاني " 1999 – 2005	
83	سياسة الملك عبد الله الثاني اتجاه حركة حماس
89	دوافع السياسة الأردنية الجديدة
97	الإبعاد إلى قطر عام 1999م
101	عودة إبراهيم غوشة إلى الأردن 2001م
112	الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة عام 2005م
الفصل الرابع: علاقة حماس مع الأردن 2006 – 2007م	
115	الإصلاح... الديمقراطية
116	الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام 2006م
134	اتفاق مكة وحكومة الوحدة الوطنية عام 2007م
138	الحسم العسكري في قطاع غزة عام 2007م
144	الخاتمة
146	قائمة المصادر والمراجع
163	ملخص باللغة الانجليزية

ملخص الدراسة

تعنى هذه الدراسة بالبحث في مراحل العلاقة بين حركة حماس والأردن خلال عقدين من

الزمن، 1987 – 2007م

وتهدف الدراسة إلى التعريف بحركة حماس، وبواعثها، ومنطلقاتها، وأهدافها،

واستراتيجياتها، ورؤيتها للصراع، ووسائلها، كما حللت الدراسة الثابت والمتغير في الفكر

السياسي لحركة المقاومة الإسلامية "حماس".

وبما أنّ حماس لا يمكنها إلا الاستعانة بعمقها العربي الإسلامي فقد احتل الحديث عن

سياسة حماس الخارجية، وعلاقتها مع الدول العربية والإسلامية جزءاً من هذه الدراسة.

وكذلك تحدثت عن علاقة الحركة مع الأردن، وعن دور الملك حسين في احتضان الحركة

لأهداف وبواعث متعددة، وما ساد تلك العلاقة من ود ودفء، كما تضمنت موقف حماس من فك

الارتباط بين الأردن والضفة الغربية عام 1988م، وموقفها من مؤتمر مدريد للسلام، وموقفها

وموقف الأردن من توقيع اتفاقية أوسلو.

وحللت الدراسة مواقف حماس من اتفاقية وادي عربة بين الأردن وإسرائيل عام 1994م

واستمرار تواجد الحركة في الساحة الأردنية، رغم توقيع الأردن على اتفاقية السلام مع إسرائيل

وبداية التوترات بينهما مع استمرار سيطرتهم عليها، كما بينت الدراسة وما سادها هذه العلاقة

من مد وجزر حتى نهاية حقبة الملك حسين عام 1999م، كما تناولت بالتحليل دور الأردن

وعلى رأسه الملك حسين في دعم حركة حماس ومؤازرتها في مواقف عدة.

فيما احتل الحديث عن بداية حقبة الملك عبد الله الثاني عام 1999م حيزاً من الدراسة؛

حيث

تتاولت بالتحليل سياسته الجديدة تجاه حركة حماس، وما سادها من توترات، وكذلك عملية الإبعاد لقادة الحركة عن الساحة الأردنية حتى وصلت إلى ما يشبه القطيعة إلى حد ما.

وانتهت الدراسة بالوقوف على تفاعل الأردن مع الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام 2006م، والموقف من الحكومة الفلسطينية العاشرة " حكومة حماس"، وكذلك الموقف من اتفاق مكة، وحكومة الوحدة الوطنية، والافتتال الفلسطيني - الفلسطيني، وأخيراً وليس أخراً الموقف من الحسم العسكري - أو ما سمي، " بالانقلاب الحمساوي" في منتصف عام 2007م.

المقدمة

شهدت الفترة بين الأعوام 1987-2007م ظهور حركة المقاومة الإسلامية على مسرح الأحداث، وقد لعبت الحركة دوراً مميزاً وجديداً على مسرح الأحداث المحلية والإقليمية أدى إلى جلب الانتباه العالمي لها وللمنطقة كلها، خاصة وأن نشاط تلك الحركة قد ناهض كل ما هو متفق عليه بين تلك الدول التي تسيطر على منطقة الشرق الأوسط، فظهرت كمن يسبح عكس التيار، فهي التي حاربت إسرائيل، وعارضت كل الحلول السلمية والمؤتمرات الدولية والإقليمية الخاصة بالقضية الفلسطينية، فكانت النتيجة أن أدرجتها كل من إسرائيل والولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي وحلفائهم في المنطقة ضمن المنظمات الإرهابية على مستوى العالم. ولكنها استطاعت رغم ذلك وبعد عقدين من الزمان الوصول إلى سدة الحكم في انتخابات تشريعية شهد لها العالم بالشفافية والنزاهة.

أما على الصعيد العربي فقد سعت حماس إلى بناء علاقات طيبة مع الدول العربية جميعاً، و كان الأردن من أوائل تلك الدول التي بنت معها حركة حماس علاقات دبلوماسية جيدة، مستندة إلى قاعدة الدعم الإخواني هناك، والى العلاقة الودية تاريخياً ما بين الإخوان المسلمين والنظام الهاشمي، إضافة إلى الاستفادة من حالة العداء التاريخي المتأصل، ما بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية.

وقد مثلت حقبة الملك حسين الفترة الذهبية لوجود حماس في الأردن، رغم ما شابها من أزمات وتوترات طفيفة بقيت تحت سيطرة الطرفين.

بعد وفاة الملك حسين عام 1999م، وبداية حقبة الملك عبد الله الثاني، دخلت تلك العلاقة مرحلة الأزمات المتتالية، حتى وصلت إلى ما يشبه القطيعة إلى حد ما.

أسباب اختيار الموضوع

لقد وقع الاختيار لهذا الموضوع الحساس نظراً لأهمية العلاقة الفلسطينية – الأردنية من جهة، ونظراً لما تمثله العلاقة الهادئة نسبياً، والتي وصلت في بعض مراحلها إلى درجة التحالف ما بين جماعة الإخوان – كبرى قوى المعارضة في الأردن – والنظام الهاشمي من جهة أخرى، والعلاقة الجيدة ما بين حماس والنظام في الأردن خلال حقبة الملك حسين، والعلاقة الإيجابية والمتداخلة ما بين الإخوان المسلمين، وحركة حماس، وما بين الفلسطينيين والأردنيين الذي يشكلون حاضنةً وملاذاً قوياً لحركة حماس في الأردن، رغم تغييبها عن الساحة الأردنية مع نهاية القرن العشرين. ونظراً لقلّة الدراسات السابقة حول موضوع علاقات حماس الخارجية، حيث إن معظم الدراسات السابقة ركزت على دراسة وتحليل دور حركة حماس في الداخل الفلسطيني؛ لتلك الأسباب قرر الباحث إجراء هذه الدراسة في محاولة جادة لسبر أغوار تلك العلاقة، وتحليلها ودراسة ماضيها وحاضرها للمساهمة في وضع التوصيات لمستقبلها، حيث اشتملت الدراسة على ما يلي:

- دراسة أهمية ودور حركة حماس في مجال العلاقات الفلسطينية – الأردنية.
- تحليل أهداف حركة حماس المرتبطة بتلك العلاقة ودورها في خدمة أهدافها الإسلامية والعربية والوطنية الكبرى كما ترها حركة حماس.
- تحليل أهداف الأردن من احتضان حركة حماس والابتعاد عن منظمة التحرير الفلسطينية خلال حقبة الملك حسين، ثم تحليل الأهداف الأردنية من وراء تأزيم العلاقة مع حركة حماس حتى وصلت لما يشبه القطيعة التامة، في مقابل مساندة الأردن لمنظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية.

- كما تناولت الدراسة بالتحليل مدى الترابط والاندماج ما بين حركة حماس وجماعة الإخوان المسلمين في الأردن.

منهجية الدراسة

آثر الباحث إتباع أسلوب تحليل المضمون للخطاب الفكري لحركة حماس في مجال العلاقات الخارجية مع الأردن، وكذلك تحليل الخطاب الأردني في هذا المجال، ودراسة المؤثرات المحلية والإقليمية على طرفي المعادلة، وذلك من خلال التحليل والمناقشة، وطرح وجهات نظر جميع الأطراف، وحاولت الدراسة مراعاة الضوابط الآتية:

- جمع المعلومات من مصادرها الأولية مباشرة من خلال الوثائق والمقابلات الصحفية مع القادة المعنيين، والمذكرات الشخصية لقادة حركة حماس، والشخصيات الأردنية المعنية والتي لعبت دوراً مركزياً في تلك الحقبة.

- الكتابة بموضوعية بعيداً عن التحيز لأي طرف من الأطراف.

مشكلات وصعوبات الدراسة

من أبرز الصعوبات التي واجهت الباحث المنع الأمني من السفر إلى الأردن من قبل السلطات الإسرائيلية، وكذلك صعوبات التواصل مع الشخصيات السياسية في قطاع غزة، والتي عاصرت تلك الحقبة ولعبت دوراً سياسياً فيها، إضافة لرفض وتحسس الشخصيات السياسية الأردنية من إجراء مقابلات حول موضوع علاقة النظام الأردني مع حركة حماس، إضافة إلى أن أغلب ما كتب حول الموضوع، كان كتابات صحفية تفنقر غالباً للأسلوب العلمي في البحث والتحليل، وتحيّزها الواضح لأحد الطرفين، وكذلك قرب الفترة الزمنية المتعلقة بموضوع الدراسة، مما يجعل الكثير من الحقائق طي السرية والكتمان ولم تكشف بعد للباحثين .

الدراسات السابقة

تعددت الدراسات التي تحدثت عن حركة حماس ودورها المحلي والإقليمي مثل:

- حماس الفكر والممارسة لخالد الحروب.
- أقتل خالد، لبول ماكفوف.
- البحث عن كيان، لماهر الشريف.
- سياسي يتذكر، لعبد الرؤوف الروابدة.
- حماس فصول لم تكتب، لعزام التميمي.
- حماس من الداخل، لزكي شهاب.
- حماس من الداخل، لمهيب النواتي.

لكن هذه الدراسات عامة، تناولت بالتحليل حركة حماس بشكل عام، وأغفلت في معظمها موضوع علاقات حماس الخارجية وخاصة مع الأردن، وتناول بعضها الموضوع بشكل مبسط في سياق الحديث عن حركة حماس، فجاءت في معظمها غير كافية في تغطية موضوع علاقة حركة حماس مع الأردن في تلك الفترة، لذلك فإن هذه الدراسة ليست الأولى في هذا الموضوع، ولكنها محاولة نوعية من حيث الشمولية، والتفاصيل، والتحليل، وجاءت محاولة لإضافة جديد في المكتبة العربية.

فصول الدراسة

حملت هذه الدراسة بين ثناياها إهداءً، ورسالة شكر وعرفان، وفهرساً لمواضيع الدراسة، ومُلخّصاً باللغة العربية، بالإضافة إلى المقدمة.

كما تضمنت فصلاً تمهيدياً وأربعة فصول أخرى، حيث تضمّن الفصل التمهيدي التعريف بحركة حماس وبواعثها ومنطلقاتها وأهدافها واستراتيجياتها، ورؤيتها للصراع، ووسائلها، والثابت والمتغير في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية "حماس".

تناول الفصل الأول تحليلاً لبداية علاقات حماس الخارجية، وخاصةً مع الأردن، كما تناولت دور الملك حسين في احتضان الحركة لأهداف وبواعث متعددة، وما ساد تلك العلاقة من دفاء واحتضان، وتضمّن أيضاً موقف حماس من فك الارتباط بين الأردن والضفة الغربية عام 1988م وموقفها من مؤتمر مدريد للسلام، وموقف الطرفين من توقيع اتفاقية أوسلو.

وحلّل الفصل الثاني مواقف حماس من اتفاقية وادي عربة الموقعة بين الأردن وإسرائيل عام 1994م، واستمرار تواجدها في الساحة الأردنية، رغم توقيع الأردن على اتفاقية السلام مع إسرائيل، وتناول بداية التوترات والأزمات المسيطر عليها بين الطرفين، وما سادها من مد جزر حتى نهاية حقبة الملك حسين عام 1999م، كما تناولت الدراسة بالتحليل دور الأردن وعلى رأسه الملك حسين في دعم حركة حماس ومؤازرتها في مواقف عدة .

وتناول الفصل الثالث تحليلاً لسياسة الأردن الجديدة اتجاه حركة حماس مع بداية حقبة الملك عبد الله الثاني عام 1999م، وما سادها من توترات، وكذلك عملية الإبعاد لقادة الحركة عن الساحة الأردنية حتى وصلت إلى ما يشبه القطيعة.

وجاء الفصل الرابع ليعالج تفاعلات الأردن مع الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام 2006م والموقف من الحكومة الفلسطينية العاشرة " حكومة حماس"، وكذلك الموقف من اتفاق مكة

وحكومة الوحدة الوطنية والافتتال الفلسطيني – الفلسطيني، والموقف من – الحسم العسكري –
أو ما أُطلق عليه – بالانقلاب الحمساوي – في منتصف عام 2007م.

وتضمّنت الخاتمة خلاصة ما توصل إليه الباحث من نتائج، وختمت الدراسة بقائمة للمصادر
والمراجع التي أفاد منها الباحث وملخصاً باللغة الانجليزية للرسالة.

تحليل المصادر والمراجع

اعتمدت الدراسة على العديد من الوثائق، والتقارير الاستراتيجية، والمذكرات الشخصية،
والمراجع العربية، ، والدوريات، والمقابلات الشخصية، والصحف، والمراجع الأجنبية،
والمواقع الإلكترونية، والأبحاث غير المنشورة.

- **الوثائق:** كان للوثائق والبيانات الصادرة عن حركة حماس، والوثائق الفلسطينية 2005م
الصادرة عن مركز الزيتونة للدراسات، والوثائق الأردنية، الأثر الواضح في فصول
الدراسة نظراً لما تحتويه تلك الوثائق من معلومات أصيلة.
- **الكتاب السنوي "التقرير الاستراتيجي"** (فقد كان للتقرير الاستراتيجي للسنوات 2005،
2006، 2007م): الصادر عن مركز الزيتونة، دوراً مهماً في الفصلين الأخيرين من
موضوع الدراسة.

- **المذكرات الشخصية:** وقد شكّلت مادة مهمة في معلومات الدراسة، مثل كتاب "المؤذنة
الحمراء" لإبراهيم غوشة؛ فقد أفاد الباحث في معظم فصول الدراسة، وكتاب الشيخ أحمد
ياسين "شاهد على عصر الانتفاضة"، حيث أعطى إضاءات من مصدر أصيل في حركة
حماس، وجاءت "مذكرات رحلة" العمر لعبد السلام المجالي، "وسياسي يتذكر" لعبد
الرؤوف الروابدة، وكتاب "نهج الاعتدال العربي" لمروان المعشر لتبرز وجهة النظر
الأردنية بوضوح وجلاء تامين.

- **المراجع العربية:** جاءت المراجع متعددة وكثيرة جداً، أمكن الاستفادة منها في الكثير من المواضيع في الدراسة حيث أعطت إضافات جيدة للموضوع.
- **الدوريات:** حملت العديد من الدوريات التي أمكن الرجوع إليها مصدراً مهماً في نقل وجهات نظر السياسيين من حركة حماس عن موضوع العلاقة مع الأردن. كما أعطت تحليلات المحللين السياسيين إضافات مميزة للدراسة.
- **المقابلات الشخصية:** حيث تمّ التواصل مع بعض الشخصيات التي عاصرت تلك الحقبة مما ساهم في تقديم معلومات مهمة للدراسة.
- **الصحف:** حملت الصحف التي رجع إليها الباحث تصريحات وبيانات واضحة للقادة والسياسيين، كما غطت الأحداث بشكل كبير.
- **المراجع الأجنبية:** أفاد الباحث من بعض المراجع الأجنبية، والتي وصل أصحابها إلى شخصيات صنّاع القرار سواءً عند حركة حماس أو الأردن.
- **المواقع الإلكترونية:** أمكن الرجوع إلى العديد من المواقع المتخصصة، مثل موقع الزيتونة للدراسات، وموقع الإسلاميين، وموقع المركز الفلسطيني للإعلام، كما أمكن الاستفادة من مواقع أخرى حول موضوع الدراسة.

تمهيد

حماس

النشأة والمنطلقات

تمهيد

حماس النشأة والمنطلقات

جاء تأسيس حركة حماس⁽¹⁾ على إثر اندلاع الانتفاضة، وكشكل من أشكال التساوق معها في مواجهة الاحتلال، وبذلك دخل السجال السياسي ما بين التيارين الوطني والإسلامي مرحلة جديدة، فوقع الاختلاف ومنذ البدء ما بين التيارين، حيث رأى التيار الإسلامي بأن الانتفاضة جاءت كثمرة من ثمرات الإعداد والتهيئة الإسلامية، فيما رأى أصحاب التيار الوطني، أن تشكل حماس جاء كرد فعل على الانتفاضة، وأخذ الخلاف سياقه، عبر تعدد البيانات، ومحاولة حماس الظهور بمظهر القوة المتفردة رغماً عن جهود التأطير للقوى كافة⁽²⁾.

العوامل التي أدت إلى انطلاقة حركة المقاومة الإسلامية

ثمة نوعان من العوامل التي أثرت في الفكر الإخواني الفلسطيني أدت إلى تعجيل الصدام والمواجهة مع الاحتلال الصهيوني. الأول: عوامل داخلية (ذاتية) ترتبط بالأفكار والتفاعلات داخل الصف الإخواني، والثاني: عوامل خارجية (موضوعية) أثرت في البيئة المحيطة بالصف الإخواني، وأدت إلى انطلاقة حركة المقاومة الإسلامية في منتصف الشهر الأخير من عام 1987م.

أولاً - العوامل الداخلية:

1- صعود التيار الإسلامي في فلسطين: كان التيار الإسلامي مع انطلاق الانتفاضة قد حقق صعوداً على الساحة الفلسطينية، إذ تواجد في جميع الجامعات ممثلاً بالكتل الإسلامية، وكذلك

¹ - حماس: هي الاسم المختصر لـ " حركة المقاومة الإسلامية "، وهي حركة دينية تعمل على تحقيق تحرير الشعب الفلسطيني، وخلصه من الظلم، وتحرير أرضه من الاحتلال الغاصب، والتصدي للمشروع الصهيوني المدعوم من قبل قوى الاستعمار الحديث. وثائق حماس: الميثاق، المادة الثانية.

² - شبيب، سميح: الهيمنة وتكتيك الشراكة، مجلة رؤية، ع 30، 2007م، ص 12؛ يوسف، أحمد: الشراكة السياسية، 12-13.

تواجدَ في معظم المؤسسات على أرض فلسطين، بل وأنشأ مؤسسات خاصة به، وقد وصلت الحركة الإسلامية الفلسطينية إلى مرحلة الوعي بالذات، وأخذ السلوك الإخواني اتجاه الاحتلال يتأثر بشكل متسارع بهذا الوعي، وتُوَجَّح بإنشاء حركة المقاومة الإسلامية (1).

2 – تأثير الشباب على الأفكار والسياسات:

شكّل الشباب معظم جسم الحركة، وقد أخذ على عاتقه حمل الإسلام كمنهج حياة، ومنهج تحرير، ونذر نفسه لتلك الغاية من خلال العمل المؤسسي، والتربوي، والسري، وبوسائل دقيقة للتجميع والتنظيم، والتربية، واستطاع هؤلاء الشباب التأثير في أفكار الجماعة، وسياساتها، وتجاوز مرحلة الصمت والخفوت التي عاشتها الحركة الإسلامية على الصعيدين السياسي والعسكري في المرحلة السابقة (2).

3 – ترتيب أولويات الحركة الإسلامية:

ظهر مع بدايات الحركة جدليات داخل الحركة منها جدلية أولوية التمكين، وأولوية التحرير، والتغيير، خلصت الحركة الإسلامية إلى صيغة عضوية متداخلة، تحاول أن تزيل أي تناقض بينهما، بل وتمزج وتوازي العمل بهما معاً، وفي آن واحد، من خلال الحراك والتفاعل داخل الحركة الإسلامية مطلع الثمانينات (3).

ثانياً – العوامل الخارجية:

1 – تزايد قمع الاحتلال واضطهاده للشعب الفلسطيني، حيث أخذ الصدام مع الاحتلال الإسرائيلي شكل الموجات المتتالية، وقد لقيت هذه الموجات قمعاً وإرهاباً شديداً من قبل

¹ – البرغوثي، إيباد: الأسلمة والسياسة، 88.

² – النواتي، مهيب: حماس من الداخل، 23.

³ – الحروب، خالد: حماس الفكر والممارسة، 40؛ غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 155.

الاحتلال، وعلى الرغم من أن الاحتلال لم يصطدم بالحركة مباشرة، إلا أنه اصطدم بأفرادها أثناء اضطهاده للشعب، وقد شارك أفراد الحركة الإسلامية في المواجهات مع الاحتلال لمقاومة اضطهاده وقمعه، خاصة عن طريق الكتل الإسلامية الطلابية (1).

2 — إنشاء الجامعات والكليات الجامعية في الضفة الغربية وقطاع غزة، منذ عام 1977م وما بعدها، والتي استوعبت الآلاف من الطلبة، لتصبح بؤر استقطاب قوية أدت إلى نمو بعض الحركات، وخاصةً الحركة الإسلامية، وقد شهدت نهاية السبعينات ومطلع الثمانينات تصاعداً سياسياً للحركة الإسلامية " الإخوان المسلمون " التي وجدت في تلك الجامعات بؤراً فاعلة للنشاط السياسي، وملاًزماً مهماً لتدريب قيادات شابة واعية (2).

وقد شكّلت تلك الجامعات، رافداً قوياً، ردد الحركة الإسلامية بمجموعة من الكوادر والقيادات الشابة المدربة، والمتمرسّة في العمل الدعوي، والعمل الجماهيري، والعمل السياسي، الذين شكّلوا فيما بعد قيادة حركة المقاومة الإسلامية وكوادرها، وكان لهم الدور الطلائعي الفاعل في الانتفاضتين الأولى عام 1987م، والثانية عام 2000م.

3 — ظهور حركة الجهاد الإسلامي، ذات الفكر الإسلامي، حيث شكّل بروزها، وتناميها السريع، وتنفيذها لعمليات جريئة، منافساً قوياً للإخوان على الصعيد المعنوي، ومن هنا كان على الإخوان المسلمين أن يقوموا بخطوات للحد من تسلط الأضواء على حركة الجهاد الإسلامي المنافسة (3). فبدأ الإخوان سراً بالتجهيز للعمل العسكري المسلح، مستندين في ذلك إلى منظومة الدعم المادي الذي كان يُرسل لأجل إعداد البنية التحتية والاجتماعية والخيرية والطلابية من

¹ — أبو عبيد، عبد الله وآخرون: الفكر السياسي، 40.

² — أبو عمرو، زياد: الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، 35 — 36.

³ — أبو عبيد، عبد الله وآخرون: الفكر السياسي، 41 — 42.

جماعة الإخوان المسلمين العالمية، وخاصةً جماعة الإخوان المسلمين في الأردن. (1)

4 – المنافسة بين جماعة الإخوان المسلمين وفصائل منظمة التحرير، فقد نافس الإخوان المسلمون فصائل منظمة التحرير في جميع المجالات داخل الأرض المحتلة، وخارجها، وكان لا بُدَّ أن تشمل أيضا ساحة الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، خاصة بعد تردّي أوضاع منظمة التحرير، وانحسار دورها في الكفاح المسلح من الخارج على إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982م، وما ترتب عنه من إخراج قوات المنظمة من لبنان وتشنيتهم في الأقطار العربية.

شعر الإخوان أن عدم اشتراكهم الفاعل في مواجهة قوات الاحتلال في الفترة الماضية ترتب عليه خسران الساحة الفلسطينية لصالح فصائل المقاومة، ولهذا لم يعد من المعقول والمقبول أن تبقى الجماعة خارج دائرة الفعل المقاوم⁽²⁾، وكان لا بد للحركة الإسلامية من الانخراط في العمل المسلح لتكريس شرعيتها السياسية من خلال مقاومة المحتل، إلى جانب الشرعية الدينية التي تتمتع بها⁽³⁾.

وساهمت عوامل إضافية في إنشاء حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بشكل سريع منها: الثورة الإسلامية في إيران، والجهاد الأفغاني ضد السوفييت، وتساعد تأثير الحركات الإسلامية في الأقطار العربية، وخصوصاً الأردن ومصر والكويت، وتعاضم دور المقاومة الإسلامية في لبنان، الأمر الذي وفرّ نوعاً من الدعم للإخوان الفلسطينيين⁽⁴⁾.

¹ – غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 154.

² – البرغوثي، إيباد: الأسلمة والسياسة، 89.

³ – الشريف، ماهر: البحث عن كيان، 374؛ الجرباوي، علي: حماس مدخل الإخوان المسلمين، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 13، 1993م، ص 75.

⁴ – الحروب، خالد: حماس الفكر والممارسة، 41؛ أبو عبيد، عبد الله وآخرون: الفكر السياسي، 43.

ويذهب بعض الباحثين الإسرائيليين⁽¹⁾ إلى أن إسرائيل قد أسهمت في تطوير البنية التحتية المتشعبة للتنظيمات الدينية، التي تقدمت بسرعة متناهية مع تقدّم الانتفاضة، وهكذا خدعت إسرائيل نفسها في استخدام أزهار " الإخوان المسلمون " لتقليص مجال نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية، فكان مصير المناورة الإسرائيلية فقدان السيطرة، فالفرضية القائلة إنه من الممكن تقييد التنظيم الإسلامي، وإيقاؤه على مسارات محافظة وغير سياسية، فرضية غير مأمونة، إذ إن فصل الدين عن السياسة غير وارد بالنسبة إلى المسلم المتدين، وإن شبكة المؤسسات الدينية تشكل جهازاً ناجعاً لتجنيد العناصر⁽²⁾، وهذا ما يركز عليه أنصار منظمة التحرير حين يقولون إن حماس صنيعة إسرائيل.

حماس النشأة والمنطلقات

" حركة المقاومة الإسلامية جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين، وحركة الإخوان تنظيم عالمي، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث، وتمتاز بالفهم العميق والتصور الدقيق، والشمولية التامة لكل المفاهيم الإسلامية في شتى مجالات الحياة، في التصور والاعتقاد، في السياسة والاقتصاد، في التربية والاجتماع، في القضاء والحكم، في الدعوة والتعليم، في الفن والإعلام، وفي باقي مجالات الحياة " ⁽³⁾.

وهي " حركة فلسطينية متميزة تعطي ولاءها لله، وتتخذ من الإسلام منهج حياة، وتعمل على رفع راية الله في كل شبر من فلسطين⁽⁴⁾.

إذاً فهي " النسخة الفلسطينية " للحركة الإسلامية الأم، جماعة الإخوان المسلمين، وهي تتطابق

¹ — شيف، زئيف و يعاري اهود: انتفاضة، 260؛ بري، يعقوب: مهنتي كرجل مخبرات، 229 — 230.

² — مشعال، شاؤول وسيلع، أبراهام: عصر حماس، 10؛ شيف، زئيف و يعاري، اهود: انتفاضة، 26.

³ — وثائق حماس: الميثاق، المادة الثانية.

⁴ — نفسه: المادة السادسة.

معها أيديولوجيا بشكل تام، فعندما يتعلق الأمر بشعارات الحركة الدينية العامة، نجد أنها لا تختلف شيئاً عن الإخوان، فعلى سبيل المثال (1)، " الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا" (2).

أما فيما يخص القضية الفلسطينية، فقد تبنت الحركة الكثير من الشعارات التي تؤكد وجهة نظرها المستندة إلى الشعارات الإسلامية التقليدية حول القضية الفلسطينية، مثل كون فلسطين أرض وقف إسلامي (3).

يذكر الشيخ أحمد ياسين (4) "أنه في بدايات شهر كانون الأول 1987 م، وتحديداً في 9/ 12/ 1987م، اجتمعت مجموعة من الأشخاص في منزله لتناقش مسألة إنشاء الحركة، وقد حضر الاجتماع كل من صلاح شحادة، من بيت حانون، وعيسى النشار من مدينة رفح، وإبراهيم اليازوري من غزة، والدكتور عبد العزيز الرنتيسي من خان يونس، وعبد الفتاح دخان من مخيم

¹ - البرغوثي، إياد: الإسلام السياسي في فلسطين، 92.

² - وثائق حماس: الميثاق، المادة الخامسة.

³ - نفسه، المادة الحادية عشرة.

⁴ - أحمد إسماعيل ياسين: ولد عام 1936م، في قرية الجورة، قضاء المجدل، لجأ مع أسرته إلى قطاع غزة بعد حرب العام 1948م، تعرض الشيخ لحادث في شبابه أثناء ممارسته للرياضة، أسفر عن شلل جميع أطرافه. عمل مدرساً، ثم عمل خطيباً ومدرساً في مساجد غزة، عمل رئيساً للمجمع الإسلامي الذي أسسه في قطاع غزة عام 1976م، اعتقل الشيخ أحمد ياسين عام 1983م، بتهمة حيازة أسلحة وتشكيل تنظيم عسكري، والتحريض على إزالة إسرائيل من الوجود، وحكم عليه بالسجن لمدة 13 عاماً، ثم أفرج عنه عام 1985م، في إطار صفقة تبادل الأسرى بين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين " القيادة العامة " وإسرائيل. كان من أبرز مؤسسي حماس نهاية عام 1987م، ثم اعتقل الشيخ في عام 1989م، ضمن المئات من أبناء حماس، في محاولة لوقف المقاومة المسلحة.

أصدرت المحكمة العسكرية الإسرائيلية حكماً بالسجن مدى الحياة مضافاً إليها خمسة عشر عاماً بعد أن وجهت له تهمة التحريض على خطف وقتل جنود إسرائيليين، والمساهمة في تأسيس حماس وجهازها العسكري والأمني، أفرج عن الشيخ في 1/ 10/ 1997م ضمن اتفاق جرى التوصل إليه بين الأردن وإسرائيل، استشهد الشيخ يوم الاثنين 22/ 3/ 2004م، بعد أن استهدفته الطائرات الإسرائيلية بالصواريخ أثناء عودته من صلاة الفجر. منصور، أحمد: الشيخ أحمد ياسين شاهد على العصر، 25، 27؛ هالفي، إفرايم: رجل في الظلال، 201؛ غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 319.

النصيرات، ومحمد حسن شمعه من مخيم الشاطئ، واتفق المجتمعون على تشكيل حركة المقاومة الإسلامية، وعلى أن يكون كل واحد من الحاضرين مسؤولاً عن منطقته، وأن يتراأس الشيخ أحمد ياسين الحركة في قطاع غزة، وتمت صياغة البيان الأول، حيث أملاه الشيخ أحمد ياسين على أحد الحاضرين، ووزع في يوم 14 / 12 / 1987م⁽¹⁾.

ويرى يزيد الصايغ⁽²⁾: " أن الإسلاميين الفلسطينيين أخذوا يزدادون عدداً، ونفوذاً منذ بداية الثمانينات من القرن العشرين، وأدوا دوراً بارزاً منذ بداية الانتفاضة، على الرغم من إنكار المنظمة هذا الأمر بشدة، ومع حلول شهر آب من عام 1988م، كان الإسلاميون جاهزين لعرض قوتهم، ففعلوا ذلك من خلال الدعوة إلى إضراب عام في يوم غير الذي حددته القيادة الوطنية الموحدة"، ولقيت دعوتهم هذه نجاحاً ملحوظاً.

ويؤكد زئيف شيف⁽³⁾ أن أول بيان وزعته القيادة الموحدة جاء بعد أسبوعين من بداية أحداث الانتفاضة، على أن الكتل الدينية كانت قد تمكنت من توزيع عدة منشورات "بيانات" قبل هذا الوقت وكان لها ردود فعل واسعة المدى، وأضاف أن تصعيد الانتفاضة من خلال الإضراب العام كان بمبادرة من الأوساط الدينية. وقد شكّل طلبة الجامعة الإسلامية طلائع تلك المواجهات⁽⁴⁾.

¹ - شهاب، زكي: حماس من الداخل، 45 - 46؛ النواتي، مهيب: حماس من الداخل، 23.

² - الصايغ، يزيد: الحركة الوطنية الفلسطينية 1949 - 1993، 873.

³ - شيف، زئيف: انتفاضة، 26 - 27.

⁴ - منصور، أحمد: الشيخ أحمد ياسين شاهد على العصر، 168 - 169.

الأيدولوجيا والأهداف

حدّدت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) أهدافها من خلال الميثاق، الذي بيّن أنها فرع من أصل، وجناح من أجنحة جماعة الإخوان المسلمين العالمية، وأنها تحاول الاستناد إلى الإرث التاريخي الجهادي في فلسطين، الذي لا يقف عند جهاد الإخوان المسلمين في عام 1948م، بل يتجاوزه إلى الإرث الجهادي للشيخ عز الدين القسام، وترى حماس أنها " حلقة من حلقات الجهاد والمقاومة في مواجهة الاحتلال الصهيوني لفلسطين، تتصل وترتبط بانطلاقة الشيخ عز الدين القسام، وإخوانه المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين واكبوا ثورته، واستمروا بعده (1).

وتتضح أهداف الحركة من خلال أدبياتها ومنشوراتها وتتمثل في:

— الهدف العام: وهو إقامة الدولة الإسلامية من خلال منازلة الباطل الذي اغتصب الأوطان، وشرّد الناس، فهذه المنازلة تسعى لقهر الباطل ودحره، ليسود الحق، وتعود الأوطان، وينطلق من فوق مآذنها الأذان معلناً قيام دولة الإسلام (2).

وتلتقي حماس مع جميع الحركات الإسلامية في السعي لتحقيق هذا الهدف، فهي جزء من هذا النسيج، إلا أنّ حماس في طرحها لموضوع الدولة ترى أنّ ثمة علاقة عضوية بين إنجاز هدف التحرير، وقيام الدولة، فقيام الدولة في فهم حماس يُعدّ ثمرة للتحرير، لذا نجد حماس تلج في طريق الكفاح المسلح لتحقيق ذلك الهدف (3).

— الهدف الاستراتيجي: وهو تحرير كامل فلسطين، يقول الشيخ أحمد ياسين (4): " تحرير الأرض ثم الإنسان من الغزو الثقافي والفكري، وإخراج الشعب الفلسطيني من الهزيمة النفسية التي وقع

¹ — وثائق حماس: الميثاق، المادة السابعة.

² — نفسه: المادة التاسعة؛ مشعل، خالد: مجلة الدراسات الفلسطينية، ع76، 2008م، ص 69 — 70.

³ — أبو عيد، عبد الله وآخرون: الفكر السياسي، 61.

⁴ — عبد الحق، أسامة: أمة تقاوم، 19.

فيها أمام ضربات العدو الصهيوني التي مزّقته، واستولت على عقله، هذا خطنا وهذا هو منهجنا"، ويضيف خالد مشعل: (1) إنّ هدف حماس الأول التخلص من الاحتلال واستعادة الأرض، فمشروع حماس هو إنهاء الاحتلال الصهيوني، وتحرير فلسطين، وتحرير المقدسات، واستعادة الشعب الفلسطيني حقوقه، وعودة اللاجئين إلى أرضهم ووطنهم وديارهم، واستعادة القدس، هذه هي الأهداف الوطنية الفلسطينية الكبرى".

وترى حماس أن قضية تحرير فلسطين تتعلق بدوائر ثلاث: الدائرة الفلسطينية، الدائرة العربية، الدائرة الإسلامية (2). وحماس بهذا الطرح لا تلقي عبء التحرير عن عاتقها، بل تعتبر نفسها في هذه المنازلة رأس حربية، أو خطوة على الطريق، وهي تضم جهودها إلى جهود كل العاملين على الساحات الفلسطينية والعربية والإسلامية (3).

وتستمدّ حماس شرعيتها من مشروعها الإسلامي والوطني الذي يؤمن بحتمية التحرير، ويصرّ على خيار المقاومة المسلحة وسيلة لاقتلاع الكيان الصهيوني من فلسطين، كل فلسطين (4).

أما الأهداف المرحلية التي تسعى حماس لتحقيقها وصولاً إلى الأهداف الإستراتيجية:

— تحرير الضفة الغربية، وقطاع غزة، أي الأراضي المحتلة سنة 1967م.

— أسلمة المجتمع الفلسطيني، ونشر الأخلاق، والمثل الإسلامية، والوعي، والالتزام الإسلامي.

باعتبارها أدوات أساسية لصمود الشعب وبدء مشروع التحرير.

— الحفاظ على جذوة الجهاد، وخيار الكفاح المسلح في وجه مشروع التسوية.

¹ — مشعل، خالد: مجلة الدراسات الفلسطينية، ع76، 2008م، ص 69.

² — وثائق حماس: الميثاق، المادة الرابعة عشرة.

³ — نفسه: المادة الثانية والثلاثين.

⁴ — التميمي، عزام: استراتيجية لا تملك حماس سواها، <http://www.paltoday.com>.

— تفعيل العمق العربي والإسلامي باتجاه دعم القضية الفلسطينية.

— محاربة التطبيع مع الكيان الصهيوني، وإيقاف مشروع الاختراق الصهيوني للمنطقة.

— إنهاء الكيان الصهيوني أمنياً واقتصادياً.

— تحقيق الوحدة الوطنية والمحافظة عليها (1).

الرؤية السياسية للصراع

ترى حماس أن طبيعة الصراع مع الدولة العبرية، تُعدّ دينية حضارية تمثلت في الهجمة اليهودية على أرض فلسطين ومقدساتها، ودليلها على ذلك الهجمات الصهيونية على المسجد الأقصى⁽²⁾ حيث استهدفه المتطرفون اليهود بالحرق عام 1969م⁽³⁾، كما نفذ اليهود مجزرة في الأقصى عام 1990م، وكذلك استهدفوا المصلين في الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل في عام 1994م، فيما عُرف بمجزرة الحرم الإبراهيمي⁽⁴⁾، إضافة لتركيز الأحزاب الإسرائيلية على البعد الديني، ويهودية الدولة في برامجها، وأدبياتها.

لذا تعمّدت حماس التركيز على الطرح العقائدي والحضاري للصراع، لحشد العرب والمسلمين واستنهاضهم، لدعم الشعب الفلسطيني مادياً ومعنوياً من أجل البقاء والصمود في فلسطين، ولطالما أكدت حماس على أن الوجود اليهودي على أرض فلسطين الإسلامية لا يهدّد فلسطين وحدها، بل يهدّد الأمة العربية والإسلامية جمعاء. يهدّد دينها وعقيدتها وحضارتها⁽⁵⁾،

¹ — صالح، محسن: دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، 414 — 415؛ البرغوثي، إياد: الأسلمة والسياسة، 92 — 93.

² — أبرز ما تعرض له الحرم الشريف من تهديدات تمثل بالحريق الذي أضرم المسجد الأقصى في 21 / 8 / 1969م ودمر تدميراً كاملاً منبر صلاح الدين ومحرابه، وقد نفذ الاعتداء اليهودي مايكل روهان صاحب الجنسية الأسترالية، الذي اعتبرته الحكومة الإسرائيلية مختلاً عقلياً وأفرجت عنه. الدقاق، إبراهيم وآخرون: موسوعة المصطلحات و المفاهيم الفلسطينية، 258.

³ — سلطان، فتحي و سلامة، محمد: الشين بيت، 461.

⁴ — الحروب، خالد: حماس الفكر والممارسة 47.

⁵ — وثائق حماس: رسالة حماس إلى مجمع الفقه الإسلامي في الكويت، 10 / 12 / 1988م،

<http://www.palestine-info.info>

وتسعى لإشراك العرب والمسلمين في عملية التحرير، معتبرةً أن التحرير يأتي من خارج الأرض المحتلة⁽¹⁾، وأن دور المقاومة الفلسطينية يُعتبر دوراً تحريكياً في تلك المعركة، وتعتبر نفسها رأس حربة في هذا الصراع⁽²⁾.

وحددت حماس ساحة المعركة داخل فلسطين، ولا تعمل على نقلها إلى خارج تلك الساحة ولا تستعدي أحداً في العالم سواء أكان يهودياً، أم أوروبياً، أم أمريكياً، باستثناء من انحاز إلى إسرائيل، وعمل لخدمتها. وتمتلك حماس براغماتية في الحوار مع الآخرين سواء في الغرب الأوروبي، أو الشرق مثل روسيا والصين على سبيل المثال، شريطة الحيادية وتفهم المطالب العادلة للشعب الفلسطيني⁽³⁾.

ومما يؤخذ على بعض الكتاب الإسلاميين وخاصةً الذين يعيشون في أوروبا، أنهم يسعون إلى البعد بحماس عن البعد العقائدي الديني، داعين إلى تطوير خطابها من أجل تجميل صورتها أمام الغرب، حيث تجد منهم من دعاها إلى إلغاء الميثاق، لأنه لا يواكب التطور السياسي⁽⁴⁾. وهذا الرأي بعيد عن الصواب، فمنظمة التحرير اعترفت بإسرائيل وغيّرت ميثاقها، ولم تحصل على شيء مقابل ذلك من إسرائيل، ولأنّ منطلق القوة هو السائد في العلاقات الدولية اليوم، فهل يُسأل الإسرائيليون لماذا يطرحون مبدأ يهودية الدولة؟ وهل طالبهم أحد في العالم بتغيير مواثيق أحزابهم⁽¹⁾؟، وما يعزّز قولنا هذا أنّ روسيا مثلاً تقيم علاقات جيدة مع حماس، وهي تعلم أنّ حماس حركة إسلامية دينية عقائدية، ونجد أن الكثير من الأوربيين يدافعون عن حماس، ويناصرونها وهم يعلمون أنّها حركة دينية عقائدية.

¹ – الهندي، خالد: فهم حماس لطبيعة الصراع، الفكر السياسي، 120.

² – وثائق حماس: الميثاق، المادة الثانية والثلاثين.

³ – مركز الزيتونة للدراسات: الحصار، 100.

⁴ – طالب خالد الحروب حماس بإلغاء ميثاقها لأنه أصبح يشكل عبئاً عليها. (جريدة القدس: ع 14196، 23 / 2 / 2009م، ص 19).

وتعتقد حماس في طرحها لاستراتيجيتها للصراع، أن الشعب الفلسطيني هو المستهدف الأول من خلال الاحتلال، والاستيطان، وحددت حماس ساحة المواجهة مع العدو في فلسطين أما الساحة العربية والإسلامية، فهي ساحات نصره ومؤازرة لشعبنا الفلسطيني، خاصة على الصعيد السياسي والإعلامي والمادي، أما على صعيد المواجهة الدامية مع العدو الصهيوني فهي على ثرى فلسطين، وتدعو حماس إلى استمرار المقاومة حتى النصر والتحرير، كما تعتبر حماس أن العمل السياسي، إحدى وسائل الجهاد ضد العدو الصهيوني، ويهدف إلى حماية المقاومة وحشد الطاقات الفلسطينية، والعربية، والإسلامية لنصرة القضية الفلسطينية⁽²⁾.

وبالنسبة لمراحل تطور فهم حماس لأطراف الصراع فيمكن القول أنه في المرحلة الأولى كانت حماس تطرح أن العدو يتمثل في الصهيونية الصليبية العالمية ضد الإسلام، وأن اليهود بأموالهم سخروا الإعلام العالمي لخدمة قضيتهم⁽³⁾.

لقد ميّزت حماس في خطابها بين الصهيونية بصفقتها حركة عنصرية استيطانية مغتصبة وبين اليهودية بصفقتها ديانة وإن شأبها التحريف، ولم يسجل في تاريخ حماس أنها استهدفت أي يهودي خارج الأرض المحتلة⁽⁴⁾. وبذلك تكون حماس قد قلّصت دائرة الاستعداد لها⁽⁵⁾.

أما على صعيد الجبهة المنوط بها تحرير فلسطين، ومواجهة العدو الصهيوني، فقد

¹ — يطالب حزب ميرتس اليساري باعتراف فلسطيني، وعربي عام، بحق إسرائيل في الوجود السيادي، والأمن بصفقتها دولة للشعب اليهودي، مع تنازل معن عن حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى النطاق السيادي لدولة إسرائيل. خليفة، أحمد: الأحزاب السياسية، دليل إسرائيل عام 2004، 148.

² — الحروب، خالد: حماس الفكر والممارسة، 52 — 53.

³ — وثائق حماس: الميثاق، المادة الثانية والعشرين.

⁴ — الحروب، خالد: حماس الفكر والممارسة، 54 — 55.

⁵ — جمّال، محمد: زيارات حماس، 48؛ نمر، محمد: بيان التغييرات التي طرأت على ميثاق حماس، ترجمة مركز الزينونة للدراسات،

ص12، <http://www.alzaytouna.net>.

تميّزت سياسة حماس منذ انطلاقتها وحتى يومنا هذا بالثبات، وقد رأت أن تلك الجبهة تتمثل قي جبهات ثلاث: الفلسطينية والعربية والإسلامية⁽¹⁾، فعلى الصعيد الفلسطيني تضم تلك الجبهة إضافة إلى حماس منظمة التحرير الفلسطينية بكافة قواها العلمانية واليسارية⁽²⁾.

أما على الصعيد العربي والإسلامي، فقد فرقت حماس بينها من حيث البعد الرسمي فالدول العربية المحيطة بإسرائيل مطالبة بفتح حدودها أمام المجاهدين لأخذ دورهم في نصره إخوانهم، أما الدول العربية والإسلامية الأخرى فمطالبة بتسهيل تحركات المجاهدين منها وإليها وهذا أقل القليل، وهي بذلك لا تهمل البعد الشعبي للأمتين العربية والإسلامية، ولا سيما الحركات الإسلامية، وهي تأمل في أن تجعل من هذا البعد نصيراً وظهيراً لها، وبعدها استراتيجياً على كل المستويات البشرية والمادية والإعلامية، وذلك من خلال المؤتمرات التضامنية وإصدار النشرات، والمقالات، والكتيبات، وتوعية الجماهير حول القضية الفلسطينية، وتعبئة الشعوب فكرياً وتربوياً وثقافياً لتأخذ دورها في معركة التحرير الفاصلة⁽³⁾.

وتعتمد حماس أسلوب الكفاح المسلح في إطار الجهاد في سبيل الله في تعاملها مع الاحتلال بوصفه قائماً على الاغتصاب والقوة، وتعتقد بأن القيام بهذا الواجب هو فرض عين على كل مسلم، وتتعلق حماس من فهمها وقناعتها الدينية والسياسية بأن فلسطين أرض وقف إسلامي لا تمتلك أي جهة كانت دولة أو دولاً، منظمة أو منظمات، التنازل عن ذرة واحدة من ترابها⁽⁴⁾، وأن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، واسترداد المقدسات، وأن حماس تضع تحرير فلسطين هدفاً استراتيجياً لها، وتسعى لتحقيقه على المدى المتوسط والبعيد، وهي وإن كانت تؤمن

¹ – وثائق حماس: الميثاق، المادة الرابعة عشرة.

² – نفسه: المادة السابعة والعشرون.

³ – نفسه: المادة الثامنة والعشرون.

⁴ – نفسه: المادة الحادية عشرة.

بأن الإعداد والاستعداد المناسبين، على الصعيدين الذاتي والموضوعي هما الأساس لنجاح هذا البرنامج، غير أنها لا ترى مانعاً من إنجازهِ على مراحل شريطة؛ أن يبقى هذا الهدف قائماً (١).

الثابت والمتغير في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية " حماس "

إنَّ الثابت في فكر حماس العفائدي والسياسي هو أن "أرض فلسطين أرض وقف إسلامي وبالتالي فهي موقوفة على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصحّ التفريط بها، أو بجزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها، ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، ولا يملك ذلك ملك أو رئيس، أو كل الملوك والرؤساء، ولا يملك ذلك منظمة أو كل المنظمات سواء أكانت فلسطينية أم عربية... " (٢).

ويرى الشيخ أحمد ياسين: " أن خيار الجهاد هو خيار استراتيجي لا حياد عنه " (٣) ويضيف " إن خط حماس الاستراتيجي واضح تماماً، إن لنا وطناً مسلوباً محتلاً، لا نفرط في جزء منه لكن العالم يريد أن يرانا نحب السلام، وهو لا يفهم أننا نحب السلام أكثر من كل العالم... وما نحن نطرح مبادرة هدنة لكي تقبل إسرائيل، وتعيد الأرض المحتلة ".
أما عن شروط الهدنة فقال: " أن يزول الاحتلال عن أرضنا المحتلة بعد 1967م كاملة، وأن تزول كل آثار الاحتلال الإسرائيلي، من مستوطنات، وسجون ومعتقلات... وأن تقوم لنا دولة فلسطينية على ترابنا المحرر، وعاصمتها القدس الشريف، وأن لا تتدخل إسرائيل في شؤوننا، ولا أمننا ولا حركتنا، وأن يأخذ شعبنا حقه في تقرير مصيره كاملاً، والهدنة ليس معناها الاعتراف بالمحتل، الهدنة معناها، وقف القتال بين الطرفين " (٤).

¹ — صالح، محسن: دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، 411.

² — وثائق حماس: الميثاق، المادة الحادية عشرة.

³ — منصور، أحمد: الشيخ أحمد ياسين شاهد على العصر، 243.

⁴ — نفسه، 303 و315.

واستمرت حماس في طرح المبادرات، فقد طرح المكتب السياسي لحماس في نيسان 1994م، مبادرة دعا فيها إلى انسحاب إسرائيل من الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس دون قيد أو شرط وتفكيك المستوطنات، ثم إجراء انتخابات تشريعية حرة وعامة للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج لاختيار قيادته وممثليه الحقيقيين... هذه القيادة هي المخولة بالتعبير عن إرادة شعبنا وطموحاته، وهي وحدها التي تقرر في كافة الخطوات اللاحقة في صراعنا مع المحتلين⁽¹⁾ أدركت حماس يقيناً أن إسرائيل، لن تتخلى عن القدس، ولن تعطي دولة ضمن حدود الرابع من حزيران عام 1967م، ولن تسمح بعودة اللاجئين، ولن تفكك المستوطنات الكبرى في الضفة الغربية لذلك تجدها تناور تكتيكياً بهذا الطرح، من أجل المحافظة على الوحدة الوطنية الفلسطينية، والتوافق على برنامج الحد الأدنى مع الفصائل الفلسطينية.

ورغم ذلك فإنّ حماس رفضت – ولا تزال – الاعتراف بشرعية الكيان الإسرائيلي على أي شبر من أرض فلسطين التاريخية. ورفضت التعاطي مع الحلول السلمية للقضية الفلسطينية؛ كونها وفي أفضلها تنتقص من حقوق الفلسطينيين في وطنهم، وتتعرف بمجملها بشرعية الوجود الإسرائيلي على أرض فلسطين⁽²⁾.

نشأت حماس على هذه الأسس، وتربت وربت أبناءها عليها، وأي تغيير في تلك الأسس

يفقدها شرعيتها ومبرر وجودها.

وتتحمل إسرائيل مسؤولية فشل عملية السلام، فعلى الرغم من أنّ حركة فتح دخلت

¹ – موسى أبو مرزوق، مبادرة سياسية، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 18، 1994م، 281؛ وثائق حماس: بيان المكتب السياسي

لحماس، بتاريخ 1994/4/16م، <http://www.palestine-info.info>.

² – قاسم، عبد الستار: الفكر السياسي لحركة حماس، مجلة السياسة الفلسطينية، ع 9، 1996م، ص 124 – 125؛ أبو سيف،

عاطف: قراءة نقدية في تطور الحركة الوطنية الفلسطينية، مجلة سياسات، ع 1، 2007م، ص 23.

عملية السلام على أسس لم تستطع من خلالها أن تصل إلى نتيجة، وذلك رغم اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل، في حين لم تعترف إسرائيل بالدولة الفلسطينية، أو بحق الشعب الفلسطيني بدولة ولو من ناحية الاعتراف التعويمي، والمطلوب من حماس الآن الاعتراف التعويمي بإسرائيل. وهذا الأمر ما هو إلا نوع من الانتحار السياسي وهو ما عبّر عنه كثير من القادة السياسيين التابعين لحماس أو الحكومة أو المراقبين السياسيين (1).

وغير بعيدٍ عن التأسيس الشرعي في هذه المسألة، فإنّ من سبق حماس في الإقرار والاعتراف بالدولة العبرية على أرض فلسطين، لم يحصل إلا على القليل القليل من الحقوق بل جاء رئيس وزراءهم شامير وقال: " لو تسنى لي البقاء في الحكم، لفاوضت الفلسطينيين لعشر سنين"، وهذا ما فعلته الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، لا بل استكثر الإسرائيليون ما أعطوه للفلسطينيين، فقرروا اجتياح المناطق الفلسطينية والتي تقع تحت مسؤولية السلطة الفلسطينية في عملية " الدرع الواقي" عام 2002م، ليعاد التفاوض عليها من جديد. أما حديث حماس عن البراغماتية، فيأتي في أطر التكتيك والمناورة، وتحقيق المكاسب وإعادة ترتيب الأولويات، والهروب إلى الأمام، والتقاط الأنفاس فيما يعرف بـ "استراحة المحارب" وإلا فما هو مبرر وجودها وإستمراريتها ؟

واستمرت حماس طوال عقدين من الزمن متمسكة بالثوابت المتمثلة بالمقاومة، وعدم الاعتراف بشرعية إسرائيل، سواء وهي في المعارضة أو في السلطة(2).

في حين تراجعت بعض الفصائل، فدخلت قيادات من الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية إلى

¹ — نعيّرات، رائد: القضية الفلسطينية بقيادة حماس، مجلة دراسات شرق أوسطية، ع 34 — 35، 2006م، 86.

² — مشعل، خالد: مجلة الدراسات الفلسطينية، 76/76، 2008م؛ خليل الحية: دخلنا التشريعي لحماية المقاومة،

الضفة الغربية غزة، وجرى ذلك تحت مظلة أو سلو (1).

وسائل حماس

انتهجت حماس جملة من الوسائل المتنوعة بقصد الوصول إلى أهدافها الإستراتيجية والمرحلية؛ فمن المساجد كانت البداية، وفيها تربى رجالها، ومنها اندلعت الثورة (ثورة المساجد) فكان المسجد أهم آليات النشاط الاجتماعي والسياسي للحركة، إذ وفر نقطة التقاء وآلية دائمة ومنتظمة لمختلف الأنشطة إضافةً إلى كونه مكاناً للعبادة (2).

وشكّلت الندوات، والمهرجانات، والبيانات، والمظاهرات، والإضرابات، والجامعات الفلسطينية، أبرز المنابر الإعلامية للحركة، إضافةً إلى كونها وسائل نشاط سياسي فاعل للعمل الإسلامي في الأرض المحتلة (3).

وسعت حماس إلى تحقيق التأييد الجماهيري لرؤيتها للقضية الفلسطينية خلال خوض الانتخابات النقابية في مختلف المؤسسات في الأرض المحتلة، وقد حققت الحركة حضوراً واضحاً في تلك المؤسسات (4).

وقد شكّلت حماس المعارضة الرئيسية في مواجهة الحلول والمشاريع السلمية للقضية الفلسطينية، ورغم ذلك نجدها لم تتفرد وحدها في هذه المعارضة، وإنما اتجهت إلى التحالف مع القوى الفلسطينية المعارضة الأخرى في إطار تحالف (الفصائل العشرة (5))

¹ – غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 216.

² – وثائق حماس: بيان حماس، 30 / 9 / 1991م.

³ – أبو عبيد، عبد الله وآخرون: الفكر السياسي، 81 – 82.

⁴ – الزهار، محمود: الحركة الإسلامية حقائق وأرقام، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 13، 1993م، ص 97.

⁵ – الفصائل العشرة: إطار جبهوي فلسطيني تحالفي مكون من القوى الفلسطينية المعارضة لعملية التسوية السلمية، وضم كل من حركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي والجبهتين الشعبية والديمقراطية والجبهة الشعبية – القيادة العامة – وفتح الانتفاضة

(1)، وفي الوقت نفسه وجدنا حماس طورت من موقعها، واستفادت إلى أبعد الحدود من انضمامها إلى جهود مكافحة الهيمنة الأمريكية والإسرائيلية ضمن ما يسمى "محور المقاومة والممانعة" الذي يشمل إيران وسوريا وحزب الله والقوى المقاومة والشعبية المعارضة في العالم العربي والإسلامي(2).

طورت حماس على الصعيد المؤسسي شبكة من المؤسسات التي أنشأها الإخوان المسلمون من اجتماعية وخيرية وتعليمية واقتصادية؛ لتقدم الخدمات للشعب الفلسطيني، وقد أسهمت تلك المؤسسات في استيعاب الشعب الفلسطيني لأعباء المقاومة، ومواجهة الممارسات الصهيونية، مثل سياسة الإغلاق، ومنع التجوال، في الضفة الغربية وقطاع غزة (3).

وقد جنت حماس ثمار عملها هذا في الانتخابات البلدية والتشريعية، حيث شكلت حالة لالتفاف الجماهيري المحتضن، والمتبني لبرنامج حماس وفكرها، سندا قويا للحركة التي عرفوا خيرها وخدماتها في السنوات السابقة التي مرت عليهم. أما على صعيد العمل العسكري فقد نظرت حماس إلى الجهاد على أنه فرض عين على كل مسلم في مواجهة اغتصاب اليهود لفلسطين؛ ذلك لا بد من رفع راية الجهاد (4).

وكان العمل العسكري قد شكّل موقعا مركزيا في فكر الحركة وممارستها واستراتيجيتها منذ انطلاقتها؛ حيث إنها كانت وقيل انطلاقتها قد بنت التشكيلات العسكرية الأولى، التي تمثلت

والصاعقة، وجبهة النضال الشعبي، وجبهة التحرير العربية، وجبهة التحرير الفلسطينية أعلن عن تشكيله في 1/1/1994م. غوشة،

إبراهيم: المئذنة الحمراء، 208؛ الشريف، ماهر: البحث عن كيان، 411.

¹ - غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 187-188.

² - الخلايلة، أحمد وآخرون: حماس والحركة الإسلامية، 24.

³ - وثائق حماس: بيان حماس، 2 / 6 / 1994م.

⁴ - وثائق حماس: الميثاق، المادة الخامسة عشرة.

في جهازي "المجاهدون" و"المجد"، ومع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في كانون الأول من عام 1987م سيطر العمل الجماهيري على أساليب مواجهة الاحتلال، وكانت التظاهرات والمواجهات الميدانية، وقذف الحجارة، وإغلاق الشوارع، وحرق الإطارات، والمسيرات هي أبرز الوسائل المتبعة، ووصلت بالانتفاضة إلى أوج قوتها، بسبب نجاحها المتواصل في إشراك الجماهير الفلسطينية العادية في المواجهات والفعاليات اليومية⁽¹⁾، وبالتوازي تصاعد استخدام الأسلحة النارية من قبل الفصائل وكانت حماس قد بدأت بقوة في تلك العمليات⁽²⁾.

شكلت انتفاضة الأقصى رافعة جديدة لحركة حماس، فبرز فيها دور الحركة بصورة جلية، حيث تمثلت مشاركات حماس المهمة والمؤثرة في ساحات ثلاث: الساحة الميدانية، والساحة الإعلامية، وساحة العمل العسكري عبر العمليات الاستشهادية، وإطلاق الصواريخ التي — شكلت إلى حد ما — توازن ردع مع إسرائيل حسب وجهة نظر حماس⁽³⁾.

وعلى الرغم من فوز حماس في الانتخابات التشريعية مطلع 2006م، ودخولها السلطة وتشكيلها للحكومة الفلسطينية، فقد حافظت على خطها المقاوم، والداعم والمحتضن لفصائل المقاومة، حيث نفذ جهازها العسكري "كتائب القسام"، بالاشتراك مع فصائل المقاومة، أفضل عملياتها العسكرية، وأكثرها دقة ونوعية عملية "الوهم المتبدد" التي تمخضت عن أسر الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط، وذلك في 2006/6/25م⁽⁴⁾.

¹ — الحروب، خالد: حماس الفكر والممارسة، 268.

² — بري، يعقوب: مهنتي كرجل مخابرات، 236.

³ — مركز دراسات الشرق الأوسط: انتفاضة الأقصى، 92—93.

⁴ — غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 334.

ويرى بعض الباحثين (١) أن موافقة حماس على وقف عملياتها خلال مرحلة ما قبل الانتخابات وما بعد وصولها إلى الحكم، لم يكن إلا إعدادا واستعدادا لتطوير الفعل المقاوم وفق استراتيجية شاملة للنضال الفلسطيني، وأن استراتيجية حماس — وهي مبنية على أسس عقائدية راسخة — تتعاطى مع الظروف والموازات السياسية دون تحلٍ عن الثوابت.

^١ — رميح، طلعت: أسر الجندي الصهيوني، مجلة البيان، ع 237، 2006م، ص 57.

الفصل الأول

علاقة حماس مع الأردن

حقبة الملك حسين 1987 – 1993م

الفصل الأول

علاقة حماس مع الأردن

حقبة الملك حسين 1987 – 1993م

السياسة الخارجية لحركة حماس

لقد حدّدت حماس ثوابتها منذ البداية في مجال العلاقات الخارجية، وهي السعي الدؤوب في تقليص دائرة الاستعداد، وبالمقابل العمل الجاد والفاعل على استقطاب الأنصار لخطها المقاوم.

وكان لانطلاقة حماس من الأرض المحتلة، ووجود قاعدة الحركة وقيادتها هناك، برهان واضح على أن حماس لا تسعى إلى إنشاء تنظيم في الخارج، كما حاولت حماس تغيير الصورة النمطية المكوّنة عن الحركة الوطنية الفلسطينية على الساحة الخارجية، والتي سادها ولفترة من الزمان منطق الاستقواء والسيطرة، وزعزعة استقرار بعض الدول، فعملت حماس منذ انطلاقتها على بناء جسور المودة والعلاقات الطيبة مع الدول والشعوب على حد سواء.

وتهدف حماس في علاقتها مع الدول العربية والإسلامية إلى تأكيد حضورها على الساحة العربية، وإطلاع الأطراف العربية على وجهات نظرها، مما يساعد على تفهمها دون تشويه، والانفتاح السياسي والإعلامي للحركة إقليمياً ودولياً، وتوفير أبعاد جغرافية جديدة للتحرك السياسي للحركة، والسعي لتحقيق التقارب لمواقف هذه الدول السياسية المتعلقة بالقضية الفلسطينية مع مواقف الحركة، وحل المشكلات التي تعترض الفلسطينيين المقيمين في تلك الدول، والحصول على الدعم المادي والمعنوي بصوره المختلفة لمساندة الشعب الفلسطيني⁽¹⁾.

¹ - أبو عيد، عبد الله وآخرون: الفكر السياسي، 263.

حيث إن الدول العربية لا تعترف إلا بمنظمة التحرير الفلسطينية⁽¹⁾. وللحصول على اعتراف الدول العربية والإسلامية الرسمي بالحركة، جاءت سياسة حماس اتجاه الدول العربية والإسلامية من منطلق أن القضية الفلسطينية قضية عربية إسلامية، وليست خاصة بالشعب الفلسطيني فحسب، واعتقادها كذلك أنّ الخطر الصهيوني يتهدّد الأمة العربية والإسلامية، الأمر الذي يجعل العرب والمسلمين مسؤولين أمام الله وأمام شعوبهم عن نصرّة قضية فلسطين، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف الواقعية للأمتين العربية والإسلامية وتتنبى الحركة في تعاملها مع الدول العربية والإسلامية سياسة الاتصال مع جميع الدول العربية والإسلامية بغض النظر عن أنظمتها السياسية، أو انتماءاتها الأيديولوجية، والسعي إلى التعاون والتنسيق معها من أجل خدمة القضية الفلسطينية، وعدم التّدخّل في الشؤون الداخلية للدول، كما ترفض تدخّل هذه الدول في شؤون الحركة الخاصة، وتلتزم هي بساحة الصراع مع إسرائيل على أرض فلسطين، وتعمل على عدم نقله إلى هذه الدول، وتشارك ما وسعها في إصلاح ذات البين ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، ولكنها ترفض أن تكون علاقتها مع طرف على حساب طرف آخر، كما ترفض سياسة المحاور المتصارعة، أو تجيير مواقف الحركة لصالح هذه الدولة أو تلك⁽²⁾.

وقد تعرضت علاقة حماس مع الدول العربية والإسلامية للكثير من عوامل الشد والجذب، فقد أسهمت العديد من الأحداث في تطوير تلك العلاقات وتحسينها لصالح حركة حماس والشعب الفلسطيني، كما لعبت العديد من العوامل والمحاور دوراً في الضغط على الدول العربية والإسلامية باتجاه قطع تلك العلاقات مع حماس وعزلها، وقد خضعت تلك العلاقة للمعادلة التالية

¹ - غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 216.

² - وثائق حماس: مذكرة تعريفية، 6-7، <http://www.palestine-info.info> ؛ هنية، إسماعيل: مجلة البيان، ع243،

2007م، ص 29-30.

" كلما اشتد الضغط الإسرائيلي على الفلسطينيين بما فيهم حماس، وتعثرت المسيرة السلمية تحسنت علاقة الدول العربية والإسلامية مع حماس سواء برغبة من تلك الأنظمة، أو بفعل الضغط الشعبي، وكلما حصل انفراج في المسيرة السلمية بين الفلسطينيين والعرب مع إسرائيل تأخذ العلاقة بين الدول العربية مع حماس منحى الشد والقطيعة، وذلك بفعل الضغوط الإسرائيلية والدولية والإقليمية ولكنّ حماس في ظل هذه الأجواء أو تلك تحافظ على خط التواصل مع تلك الدول وإن كان في حده الأدنى.

ومن أبرز المعوقات تلك التي تتعلّق بالإرث السياسي لحركة الإخوان المسلمين وعلاقتها بتلك الأنظمة سلباً أو إيجاباً، ورغم أنّ حماس أعلنت التزامها بعدم التدخل بالشؤون الداخلية، وسعت للتخفيف من العبء التاريخي، وقد نجحت في ذلك في بعض المواقع، فإنه لم يكن من السهل على الأنظمة أن تفتح أبوابها كاملة أمام حماس (1).

ويأتي اعتراف الدول العربية الواسع والحاسم بشرعية منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً وحيداً للشعب الفلسطيني، من المعوقات لتوسيع العلاقة مع حماس إلى حد ما (2).

أما موقف حماس من المسيرة السلمية فقد جلب عليها الكثير من المصاعب، وذلك بفعل الضغوط الأمريكية والإسرائيلية على الأنظمة العربية الحليفة لها في المنطقة (3).

ومما عزز تلك المعوقات الحملة الأمريكية والغربية على الحركات الإسلامية، خاصة العمليات الاستشهادية التي نفذتها حماس خلال عقد التسعينات من القرن الماضي، وبعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001م، في إطار ما تسميه الحرب على الإرهاب (4).

¹ – النادي، علاء: حماس وتصفية تركة النسب الإخواني، 4، <http://www.alzaytouna.net>.

² – غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 216.

³ – الحروب، خالد: حماس الفكر والممارسة، 165–166.

⁴ – كورتنز، أنات: الانتفاضتان الفلسطينيتان، معهد دراسات الأمن القومي، 13، <http://www.alzaytouna.net>.

وتأتي عوامل القصور الذاتي في آخر سَلَم تلك المعوقات، إذ إن التزام حماس بعدم إنشاء بنية تنظيمية خارج فلسطين، شكّل عائقاً إضافياً في مجال علاقاتها الخارجية (1).

لقد عانت حماس، وخاصة في السنوات الخمس الأولى من عمرها من نقص الكادر القيادي على مستوى الخارج، ففي عام 1993م، لم يتجاوز عدد كوادر حماس في سوريا ولبنان مثلاً عدد أصابع اليد، وقد حدثنا الدكتور محمد صيام في مرج الزهور، فقال " بينما نحن في الخرطوم قبل بدء الحوار بين حماس والمنظمة عام 1993م، سألت الإخوة في وفد حماس ماذا لو وافق أبو عمار على إعطاء حماس 40 % من أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني من أين سنأتون بهؤلاء الأعضاء؟ فلم يجدوا جواباً، إلا أن حماس ومع مرور الزمن قد تجاوزت تلك الإشكالية. (2)

وكان من بين المعوقات أيضاً ما تعلق بممارسة حماس على الساحة الأردنية، من تشكيل خلايا، وتخزين الأسلحة، والتي عدها النظام مساساً بسيادة الدولة الأردنية.

أما عن بداية العلاقة مع الأنظمة العربية فيقول الأستاذ خالد مشعل: " في عام 1989م جرت أول محاولة لنا لإقامة علاقة مع الدول العربية حين قام وفد من الحركة بزيارة العراق، ثم مع بداية التسعينات بدأت الاتصالات والعلاقات مع إيران، وسوريا، ولبنان، والسودان، والمملكة العربية السعودية، والأردن، ومصر، واليمن، والعراق، وقطر، وليبيا، والكويت، والجزائر " (3).

ولعبت إسرائيل – وعلى غير إدراك منها – دوراً كبيراً في دعم حماس على المستوى الخارجي، حين أقدمت على إبعاد 415 من قادة حماس عام 1992م إلى لبنان، فكانت باكورة

¹ – الحروب، خالد: حماس الفكر والممارسة، 168.

² – مقابلة الباحث مع د. محمد صيام أثناء إبعاد الباحث إلى مرج الزهور في جنوب لبنان في شهر كانون الأول من عام 1992م.

³ – مشعل، خالد: حركة حماس وتحرير فلسطين، 105.

نشاط حماس الخارجي^(١). وقد جاءت ضربة الإبعاد التي نفذتها إسرائيل بحق حركتي حماس والجهاد الإسلامي في كانون الأول من عام 1992م؛ لتشكل بداية الانفتاح الحمساوي على العالم الخارجي.

وقد شكّلت ساحة مرج الزهور ولمدة عام كامل فرصة للتعريف بحركة حماس على المستوى العربي والإسلامي والدولي، كما مثّلت بداية الانتشار لحماس والتواصل على هذا الصعيد، وكذلك على صعيد حركات التحرر في العالم.

^١ — شهاب، زكي: حماس من الداخل، 157.

علاقة حماس مع الأردن

كان الظهور المعلن لحركة حماس مع بدايات الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987م، فقد عرفت نفسها في ميثاقها الأول بأنها الجناح العسكري لجماعة الإخوان المسلمين⁽¹⁾، وكانت حماس محصلة حضور شعبي واجتماعي وتربوي للإخوان في فلسطين الذين كانوا جزءاً من تنظيم بلاد الشام⁽²⁾ ومرتبطين "بقيادة الإخوان في الأردن"⁽³⁾.

وكان قبول حركة حماس في الساحة الأردنية خاضعاً لظروف ومصالح متعددة، أبرزها ضمان عدم استخدام حماس للأردن كقاعدة لتخزين الأسلحة، والانطلاق منها لتنفيذ عمليات فدائية عبر الحدود، كما شكّل ورقة مهمة في الضغط على منظمة التحرير الفلسطينية في إطار الصراع بينهما، إضافة إلى رهان الأردن على نجاحه في احتواء وتطويع حركة حماس المرتبطة بجماعة الإخوان المسلمين في الأردن ذات العلاقة السلمية طويلة الأمد مع النظام الحاكم، حيث يمكن له اعتبار ذلك جزءاً من أهلية دور الأردن الإقليمي في ظل توجهات أمريكية وغربية لإعادة رسم الأدوار لدول المنطقة بعد انتهاء فترة الحرب الباردة، كما أن وجود حماس في الساحة الأردنية يشجع تطلعات الشباب الأردني لمقاومة الاحتلال، ويضعف من إمكانيات الانفلات المتطرف في هذا السياق، ناهيك عن السعي لإضعاف النفوذ السوري الإيراني في الساحة الفلسطينية، والذي كانت حماس تمثل أحد خياراته القوية⁽⁴⁾. وتخضع

¹ - وثائق حماس: الميثاق، المادة الثانية.

² - كان الإخوان المسلمون وخاصة المكتب التنفيذي في عمان يدعم الإخوان المسلمين الفلسطينيين مادياً، كما كان يساهم مساهمة كبيرة في تمويل إعداد البنية التحتية والاجتماعية والخيرية والنسائية والطلابية قبل أن تتحول جماعة الإخوان نحو العمل السياسي والعسكري. غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 154.

³ - المعاينة، سميح: الدولة والإخوان، 17.

⁴ - سليمان، أحمد: حماس في الساحة الأردنية،

العلاقات الأردنية الفلسطينية لقواعد متناقضة، فالأردن الذي ينافس منظمة التحرير الفلسطينية في مسألة تمثيل الفلسطينيين، يضطر - وعلى غير رغبة منه - في ظروف معينة تملبها ضغوط اقتصادية وسياسة من المحيط الإقليمي والدولي، إلى إقامة علاقات مع تلك المنظمة، وهو في الوقت نفسه لا يألو جهداً في إضعاف نفوذها، سواءً عبر التعامل مع أطراف فاعلة في الساحة الفلسطينية، وقد شكّل النفوذ المتصاعد لحركة حماس فرصة قوية للأردن لمحاولة تنفيذ أجندته الإقليمية والداخلية، لأنّ حماس تعدّ سلبية الإخوان المسلمين حلفاء النظام في الأردن، وتشكّل عامل استقرار في المملكة، وتنافس منظمة التحرير الفلسطينية، وخاصةً حركة فتح - صاحبة النفوذ الواسع - سواءً في الأرض المحتلة، أو في أوساط الفلسطينيين على الساحة الأردنية. وقد امتدّ الحضور المعنوي والوجداني والعقائدي والسياسي لحماس على الساحة الأردنية إلى ما قبل عام 1987م، وذلك عبر الحركة الأمّ " الإخوان المسلمين الأردنيين " فالإخوان هم من دعم البنية التحتية التي نبتت فيها حماس، وهم الذين عقدوا المؤتمر الداخلي لقضية فلسطين والذي ترأسه المراقب العام محمد عبد الرحمن خليفة، وهم من أسسوا جهاز فلسطين قبل أن تحدث الانتفاضة الفلسطينية الأولى 1987م بعام واحد (1).

فك الارتباط عام 1988م

قدّم القرار الأردني دليلاً قاطعاً على تأثير الانتفاضة في المكانة السياسية لمنظمة التحرير. فكانت استجابة الأردن سريعة مع اندلاع الانتفاضة في كانون الأول عام 1987م، ليعرض من ناحية استئناف الحوار مع منظمة التحرير، وليرعى من ناحية أخرى تأسيس "مجلس فلسطيني - أردني" ليكون ذراعاً سياسياً في الأراضي المحتلة، ورفضت قيادة المنظمة الشروط الأردنية

¹ - غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 155 - 156؛ أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 27؛ الصايغ، يزيد:

الحركة الوطنية الفلسطينية، 880.

للحوار – أي القبول بقراري مجلس الأمن 242 و 338 كأساس للتفاوض مع إسرائيل، وتأليف وفد مشترك إلى محادثات السلام – وحققت المنظمة نجاحاً رئيساً في حزيران عام 1988م عندما منحها مؤتمر القمة العربي في الجزائر السيطرة الحصرية على تدفق المساعدة المالية العربية للأراضي المحتلة، وبذلت الحكومة الأردنية محاولة أخيرة لحشد التأييد لنفسها في الضفة الغربية، غير أنها أشارت إلى فشلها بإلغاء خطة التنمية التي كانت قد وضعتها سنة 1986م، وفي شهر تموز جاء قرار الملك بقطع الروابط الإدارية والقانونية مع الضفة الغربية (1).

لقد جاء قرار فك الارتباط الإداري والقانوني بين الأردن والضفة الغربية في تموز من عام 1988م، على غير رضا أو رغبة أردنية، لكون الضفتين باتتا بعد ثمانية وثلاثين عاماً من الوحدة جسماً واحداً، وعنواناً للوحدة بل المقدمة الأولى للوحدة العربية (2)، وبسبب الضغوطات العربية والإقليمية والدولية على الأردن لاتخاذ هذا الإجراء؛ حيث قال الملك حسين حول فك الارتباط: "لقد بادرنا في الأردن بحكم تلاحمنا مع القضية الفلسطينية ومواكبتنا لها والتزامنا بالمسؤولية القومية على إبراز الهوية والشخصية الفلسطينية وتعزيز الانتفاضة بإعلان فك الارتباط القانوني والإداري مع الضفة الغربية تجاوباً مع التوجه العربي ومع مطالب الشعب الفلسطيني وقيادته".

إلا أن قرار فك الارتباط استثنى المواطنين الأردنيين من أصل فلسطيني في المملكة الأردنية الهاشمية، واعتبر الملك أن لهم كامل حقوق المواطنة وعليهم كامل التزاماتها تماماً مثل أي مواطن آخر مهما كان أصله، وأكد أنهم، جزء لا يتجزأ من الدولة الأردنية التي يعيشون على أرضها (3).

1 – الصايغ، يزيد: الحركة الوطنية الفلسطينية، 868؛ لوماشان، فيليب وراضي، لمياء، إسرائيل / فلسطين، 76.

2 – الهزايمة، محمد: السياسة الخارجية الأردنية، 239، عباس محمود: طريق أوسلو، 47.

3 – الهزايمة، محمد: السياسة الخارجية الأردنية، 274.

أما بالنسبة للمقدسات الإسلامية في القدس (1)، فقد تمسك الملك حسين ثم الملك عبد الله الثاني من بعده بالاستمرار في رعاية هذه المقدسات، ذلك لأن قرار فك الارتباط استثنى المدينة المقدسة (2) ورعاية الشؤون الإسلامية فيها والأقصى المبارك وأتبعها لوزارة الأوقاف الأردنية (3)، وعلى الرغم من اعتراف الأردن في القمة العربية في الرباط عام 1974م، بمنظمة التحرير الفلسطينية كمثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني (4)، وإعلان الحكومة الأردنية في 1988/7/28م، عن إلغاء خطتها للتنمية في الأرض المحتلة، وإعلان الملك حسين في 1988/7/31م، فك العلاقة القانونية والإدارية بين الضفتين الشرقية والغربية لنهر الأردن (5) إلا أن الأردن كان ولا زال يعتبر منظمة التحرير الفلسطينية المنازع الأول له في تمثيل إرادة الشعب الفلسطيني، وتحديد قراراته السياسية وخصوصاً التي تمس فئة الفلسطينيين داخل حدوده، إضافة إلى أن الأردن كان قد صنّف منظمة التحرير الفلسطينية ومنذ إنشائها على أنها أداة هدم للتضامن العربي والعمل الموحد، حيث يقول الملك حسين "غدت قطب الرحي في إنكاء

¹ - يرجع الأمير حسن بن طلال تمسك الأردن بالقدس والمقدسات الإسلامية فيها إلى الخشية من حدوث فراغ سياسي، خاصة وأن اتفاق أوسلو جعل القدس من الملفات المؤجلة إلى المرحلة النهائية، وبالتالي فإن المقدسات ستقع تحت سيطرة وزارة الأديان الإسرائيلية إن تخلى الأردن عن رعايتها. ابن طلال، حسن: القدس والمسؤولية عن الضفة الغربية، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع21، 1995م، ص195.

² - وقد جوبهت القيادة الفلسطينية في معاهدة السلام الأردنية - الإسرائيلية ببند يحتفظ الملك بموجبه بدور الحارس للأماكن الإسلامية المقدسة في القدس، ولما حاول عرفات عام 1996م استبدال موظفي الوقف الأردنيين في الأقصى بموظفي السلطة الفلسطينية اضطر للتراجع عن ذلك استجابة لرد الفعل الغاضب من الملك، حيث إن الإسرائيليين يعترفون بدور الملك في القدس وفي الوقت نفسه منعوا عرفات فعلياً من زيارتها ولم يسمحوا بأي تواجد رسمي للسلطة فيها. الحمارنة، مصطفى وآخرون: العلاقات الأردنية - الفلسطينية، 146 - 147.

³ - جريدة القدس: ع 14598، 6 / 4 / 2010م، ص1.

⁴ - محمود، عبد المنعم: أسرار ومواقف الملك حسين، 144.

⁵ - الشريف، ماهر: البحث عن كيان، 366.

الخلافات العربية والانقضااض على التضامن العربي، وكل ما من شأنه أن يجمع الأفئدة حول القضية ويخدم مصالحها" (1).

وقد عبر الملك حسين عن موقفه من القضية الفلسطينية بقوله: " نعترف للشعب الفلسطيني بحقه في تقرير مصيره، وأنا بعد أن نقوم بتحرير الضفة الغربية والقدس الشريف ضمن واجبنا القومي سنتجه نحو تحرير الأرض العربية المحتلة كلها وسنمكن أهلنا غربي الأردن من أن يختاروا لأنفسهم المستقبل الذي يريدونه، ونظام الحكم الذي يرتضونه، ويقرروا بملء حريتهم واختيارهم، وباستفتاء يجري لهم تحت إشراف دولي محايد إذا كانوا يريدون البقاء معنا، أو الاتحاد وإيانا، أو الانفصال عنا، وسيكون لهم ما يريدون، وأنا في كل حال سنظل لهم الإخوة الأقربين" (2)، إن عقيدة النظام الهاشمي في توجيه السياسة الخارجية الأردنية، بالإضافة إلى العوامل السياسية السابقة، تتأثر بالعامل الديني وقد تجسّد ذلك في الاهتمام الأردني بالقدس والمقدسات الإسلامية عن طريق الدعم والتبرع المعنوي والمادي، ودعم الأجهزة والموظفين القائمين عليها، وتشكيل اللجان الخاصة بمهمة الصيانة والترميم للحرم القدسي الشريف وهي عقيدة نابعة من التوجه الإسلامي للملك (3)، ورغم فك الارتباط إلا أن الأردن لم يجد بداً من المشاركة في التعامل مع القضية الفلسطينية وتداعياتها بأشكال مختلفة، ولاعتبارات متعددة، ذلك أن الأردن يعتبر القضية الفلسطينية شأنًا وطنياً أردنياً أكثر منه سياسة خارجية (4).

مما سبق نجد أنه من المستحيل أن يُفصل الأردن عن القضية الفلسطينية، لأنها في الأساس

¹ — الوثائق الأردنية: خطاب الملك حسين، بتاريخ 1966/6/14م، <http://www.alrai.com> الهزايمة، محمد: السياسة الخارجية

الأردنية، 183،

² — محمود، عيد المنعم: أسرار ومواقف الملك حسين، 120 — 121.

³ — الهزايمة، محمد: السياسة الخارجية الأردنية، 77.

⁴ — الحمد، جواد: حماس الحركة الإسلامية، 10.

مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً، أكثر من أي بلد عربي، لاعتبارات جغرافية وتاريخية وسكانية (1).

أدرك الملك حسين أن الطرف الفلسطيني هو الأضعف في معادلة التفاوض مع إسرائيل لذلك أصر على رعاية المقدسات الإسلامية في القدس، إضافة إلى أن هذه الرعاية تعزز شرعية الملك الدينية، واستمرار التأييد السياسي له في صفوف الفلسطينيين، خاصة في مدينة القدس والضفة الغربية، واستمراراً منه في منازعة منظمة التحرير الفلسطينية ومن بعدها السلطة الفلسطينية السيادة على المقدسات الإسلامية في القدس. وهكذا فقد جاء فك الارتباط تجاوباً مع الموقف العربي الداعم لمنظمة التحرير الفلسطينية وكذلك تجاوباً مع مطالب منظمة التحرير الفلسطينية، ومن أجل أن تتخلى المنظمة عن شكوكها اتجاه الأردن، وفي محاولة جادة لرفض فكرة دولة فلسطينية في شرق الأردن، كونها أهم التحديات التي تواجه الأردن، حيث إن الفكرة المطروحة لحل القضية الفلسطينية على حسابه من خلال فكرة الوطن البديل (2).

وفي إطار الجدل السياسي بين منظمة التحرير والأردن، اقترنت فرحة منظمة التحرير بقرار الأردن بإدراكها أنّ عليها تحمّل العبء المالي في الضفة الغربية الذي كان يتحمّله الأردن سابقاً، وأكد بيان صادر عن المجلس المركزي التابع للمنظمة في 3/8/1988م، أن المنظمة ستتحمل المسؤوليات الوطنية والقومية، لكنّ الشك في نيات الملك كان عميقاً، وكانت الافتتاحية التي كتبها أحمد عبد الرحمن في مجلة "فلسطين الثورة" في غاية التشكيك، إذ جاء فيها "اعتقد الملك حسين أن قراراته بفك الارتباط ستضع على كاهل المنظمة أعباء لا تستطيع القيام بها، وتالياً ستفرض هذه القرارات على المنظمة ضغوطاً حتى تعود إلى بيت الطاعة الأردني والدولي

¹ - محمود، عبد المنعم: أسرار ومواقف الملك حسين، 122؛ لوماشان، فيليب وراضي، لمياء: إسرائيل / فلسطين، 73 - 74.

² - الفارس، تيسير: العلاقات الأردنية - الفلسطينية، 95 - 96؛ عباس، محمود: طريق أسلو، 308.

وتقبل بكيان هزيل بلا سيادة، وتقبل بالوجود العسكري على نهر الأردن، وبالعلم الأردني فوق المسجد الأقصى⁽¹⁾.

وبالعودة إلى وجود حماس الفعلي على الساحة الأردنية فقد كان ضعيفاً ومتداخلاً مع الإخوان الأردنيين، وندل على ذلك بحادثتين كما يقول إبراهيم غوشة: "إن الذي دعاني عام 1989م للعمل في جهاز فلسطين هو المراقب العام محمد عبد الرحمن خليفة، وفي العام نفسه شكّل الإخوان المسلمون لجنة عليا للانتخابات برئاسة الدكتور محمد أبو فارس، وكنت عضواً فيها"⁽²⁾.

وقفت حماس والإخوان المسلمون الأردنيون ضد قرار الملك حسين بفك الارتباط مع الضفة الغربية، باعتباره تراجعاً عن وحدة الضفتين فالتوجه العام للاتجاه الإسلامي يجذب الوحدة باسم وحدة الأمة، ويرفضون مبدأ الانفصال. لكن هذا الموقف لم يغضب الملك ولم يتخذ ضدهم أي موقف مع أن البلاد ما تزال تحت الأحكام العرفية، وربما اعتبر الملك أن موقفهم هذا يعبر عما في داخله، وأن قرار فك الارتباط كان من جانب الملك حسين اضطراراً لا اختياراً، وعلى غير رغبة منه؛ لذا فهم يرفضون التصريح بالموافقة على فك الارتباط، ويقفون في المنطقة الرمادية من هذا القرار⁽³⁾.

يعتقد القيادي الإخواني على أبو السكر أنه يجب أن يحفظ الإخوان أنهم هم الوحيدون القادرون على تحقيق الوحدة الوطنية بشكل عملي من خلال انصهار القسمين الرئيسيين في المجتمع في جسم واحد وقيادة واحدة للحركة، ويقول: "الحركة لا يوجد فيها شرق الضفة

¹ – الصايغ، يزيد: الحركة الوطنية الفلسطينية، 869.

² – غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 159، 195.

³ – الحمارنة، مصطفى وآخرون: العلاقات الأردنية – الفلسطينية، 151 –، 152؛ الهزايمة، محمد: السياسة الخارجية الأردنية،

239؛ أبو هلاله، ياسر: الإخوان وحماس، <http://www.alghad.com/index.php>

وغربها. وينتقد من يدفع باتجاه أن إخوان الأردن هم تعبير فلسطيني أو فلسطينيون في الحقيقة أكثر منهم أردنيون"، ويضيف "كيف يكون ذلك؟ ونحن لدينا في المكتب التنفيذي للإخوان، قلب الجماعة النابض أغلبيته من أصول أردنية، والمراقب العام للجماعة هو عبد المجيد ذنبيات من عشائر الكرك المعروفة"⁽¹⁾.

ومع اكتساب حماس المزيد من الدعم في سنواتها الأولى، قامت بإضافة قسم الشؤون الخارجية على هيكليتها السياسية، وفي الوقت نفسه شعرت قيادتها بأنها قوية بما يكفي كي تستقل عن حركة الإخوان المسلمين وتصبح كياناً قائماً بذاته، عندها أقامت حماس مكتباً سياسياً لها في الأردن، وكانت قنوات الاتصال مع الحكومة الأردنية تمر من خلال الأجهزة الأمنية، وعندما كان الشيخ أحمد ياسين في السجن نُقلت القيادة إلى موسى أبو مرزوق الذي منعه إسرائيل من العودة إلى غزة في العام 1989م، فاستقر في الأردن⁽²⁾.

كان التحول الكبير بعد دخول القوات العراقية إلى الكويت عام 1990م، حيث عاد إلى الأردن نسبة كبيرة جداً من الأردنيين العاملين في الكويت وبعض دول الخليج، ومنهم العديد من قيادات حماس في الخارج، وبدأت بالاستقرار في عمان عبر مؤسساتها السياسية والإعلامية، واستفادت كثيراً من الأجواء السياسية المنفتحة والديمقراطية في الأردن، والحضور السياسي وحالة التضامن الشعبي الكبير مع الانتفاضة الفلسطينية⁽³⁾.

وبما أن مسار التسوية السلمية كان في بداياته ولم يكن أي من الأردن ومنظمة التحرير قد

¹ — النابلسي، شاكراً: الأحزاب الإسلامية الأردنية، <http://www.almadapaper.net>؛ الداودي، مشاري: أحاديث في الأصولية

والسياسة، جريدة الشرق الأوسط، ع 9813، 2005/10/10، ص5.

² — شهاب، زكي: حماس من الداخل، 158 — 159.

³ — المعاينة، سميح: الدولة والإخوان، 17؛ أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 44.

وَقَّع على اتفاقية سلام مع إسرائيل، فلم يكن ما يمنع من تقديم الدعم السياسي والإعلامي⁽¹⁾ لأي نشاط للمقاومة الفلسطينية في الداخل⁽²⁾.

كان الملك حسين الذي عانى طويلاً من الأساليب الغامضة للسياسة الفتاوية، قد وجد في حماس المنبثقة من حزب أردني " الإخوان المسلمين " شريكاً موثقاً غربياً النهري⁽³⁾. وظن الكثير في ذلك الوقت أن الملك والحكومة الأردنية ستستخدمان حماس كأداة تفاوض في أي نزاع قد يندلع مع منظمة التحرير⁽⁴⁾. ولم تكن حماس بحاجة إلى جهد كبير هناك، لأنها تعمل مستثمرة بنية تحتية كبيرة تملكها الجماعة سواء من حيث المؤسسات أو الكوادر والعلاقات السياسية⁽⁵⁾، واستطاعت حماس أن تبني شبكة علاقات قوية مع القوى والشخصيات السياسية في الأردن⁽⁶⁾. لقد شكّل الإخوان المسلمين وحزبهم " جبهة العمل الإسلامي " الحاضنة الأولى لوجود حماس السياسي والإعلامي على الساحة الأردنية، فكان مكتب المهندس إبراهيم غوشة الناطق

¹ — يؤكد القيادي الإخواني إسحاق الفرحان أن الإخوان يدعمون حماس مادياً ومعنوياً، مادياً من خلال التبرعات ومعنوياً من خلال دعم رجال المقاومة في الميدان، وفي أحيان أخرى تسمح الحكومة بجمع التبرعات للمقاومة، وتقدم دعماً معنوياً للقضية عبر الوفود الوطنية، فلا حرج طالما التزمنا بالفصل بين الإخوان وحماس. الفرحان، إسحاق: لا أتوقع صداماً بين الإسلاميين والنظام الأردني، <http://www.islamonline.net>.

² — أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 44.

³ — حنتر، ناهض: حماس والأردن الحاجة والدور المتبادلين، حماس والحركة الإسلامية، 50.

⁴ — شهاب، زكي: حماس من الداخل، 159.

⁵ — مع عودة آلاف الفلسطينيين من الكويت إثر الأزمة العراقية — الكويتية، وكان من بينهم قياديون في حماس مثل خالد مشعل وعزت الرشق وسامي خاطر وغيرهم، وقد بدأوا العمل من خلال الإخوان المسلمين ومن خلال نواب الحركة الإسلامية، وأقام الإخوان وحماس خلية أزمة شارك فيها اثنان من حماس واثنان من الإخوان بهدف التعامل مع القضايا المختلفة، ومنها فتح حوارات مع القوى القومية واليسارية، وكذلك الإسهام في العمل الخيري في استقبال اللاجئين العائدين من الكويت. المعاينة، سميح: الدولة والإخوان، 17؛ أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 25؛ غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 178.

⁶ — المعاينة، سميح: الدولة والإخوان، 17.

الرسمي باسم حركة المقاومة الإسلامية "حماس" في مركز نواب جبهة العمل الإسلامي(1)، وكان من فوائد التواجد في ذلك الموقع بالنسبة لحماس، أنه يوفر لها سهولة الاتصال والتواصل مع الناس والنواب والصحافة والأحزاب والفصائل والفضائيات فيما بعد (2). ومن داخل المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين، ساهم كل من المكتب السياسي لحركة حماس ومجلس الشورى في تقديم الرؤى والتصورات الإعلامية والسياسية التي منحت حركة حماس دوراً سياسياً وخطاباً إعلامياً متوازياً مع العمل الجهادي (3). وكان الظهور الأول لحماس على المستوى الرسمي حين شاركت في وفد الحركات الإسلامية في أيلول 1990م، الذي جال على الدول العربية المعنية بأزمة الخليج، في مسعى منها لمحاولة حل هذه الأزمة، منطلقاً من عمان بعد مقابلة الملك حسين، وبعد شهر شاركت حماس في وفد الحركات الإسلامية الذي انطلق من ليبيا لزيارة صدام حسين لحثه على الانسحاب من الكويت (4).

وعلى الرغم من فشل الوفد في مساعيه، إلا أن حماس استفادت من تلك المشاركة في الإطلال والاحتكاك مع المستويات الرسمية في البلاد العربية التي زاروها وكان أهمها الأردن (5).

¹ — يقول إبراهيم غوشة — الناطق باسم حركة حماس — " إنه في بداية عام 1992م، تمت تسميتي كعضو في اللجنة التحضيرية لجبهة العمل الإسلامي، وقد شاركت فيها، وحضرت عدة جلسات، وشاركت في اللجنة التي أعدت النظام الأساسي الداخلي، وفعلاً تم تشكيل جبهة العمل الإسلامي وجسمها الأساسي من الإخوان المسلمين، وتعتبر الذراع السياسي للإخوان المسلمين، بعد ذلك صدرت قوانين تحدد أن صفة من يشارك في أي حزب أردني يجب أن لا يكون له علاقة مع أي تنظيم آخر، وبصفتي ناطق باسم حركة حماس فقد قدمت استقالتي من جبهة العمل الإسلامي". غوشة، إبراهيم: **المنذنة الحمراء**، 195؛ أبو هلاله، ياسر: **الإخوان وحماس**، <http://www.alghad.com>

² — غوشة، إبراهيم: **المنذنة الحمراء**، 195.

³ — أبو رمان، محمد: **السياسة الأردنية وتحدي حماس**، 27.

⁴ — غوشة، إبراهيم: **المنذنة الحمراء**، 170، 175.

⁵ — أبو مرزوق، موسى: **مجلة فلسطين المسلمة**، ع 2، 1993م، ص16؛ غوشة، إبراهيم: **المنذنة الحمراء**، 174.

ويبدو أن حماس المقيمة في عمان اكتشفت مع الزمن المزايا الهائلة للعمل في الأردن، حيث تزيد نسبة المواطنين من أصل فلسطيني (1) على نصف السكان يؤيد معظمهم الحركة الإسلامية، إضافة إلى التأييد الكبير للحركة الإسلامية بين المواطنين من أصول أردنية، وفرص العمل العام والاندماج مع الناس والمشاركة في الأنشطة السياسية والإعلامية. وقد كشفت الأزمات التي تعرّضت لها حماس في الأردن، مدى حضور حماس وتأثيرها في الرأي العام الأردني وفي الحركة الإسلامية الأردنية، فقد حظيت حماس بتفاعل إعلامي وسياسي (2).

وأوضحت حماس من جانبها أنّها حركة فلسطينية إسلامية وطنية عربية مجاهدة، لديها كل هذه العناوين، ولكنها في المقابل ليست تنظيمًا مختلطًا أو متداخلًا مع تنظيمات داخل الأردن أو أي بلد آخر، فالحركة تمتلك إطاراً وهيكلًا وتنظيمًا مستقلاً وليس متداخلًا مع أحد، سواء داخل فلسطين أو خارجها، كما أن الحركة بعنوانها السياسي الجهادي النضالي وأطرها التنظيمية المستقلة شيء، وقصة الجذور التاريخية لها شيء آخر. صحيح أن هناك التباسات وشكوكاً واتهامات وقعت في الماضي، ولكنها مرحلة تجاوزتها الحركة، وأكدت الحركة على احترام الخصوصية الأردنية الداخلية. وجزء من سياسة الحركة التي رسختها عبر سنواتها الطوال، هي عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة عربية سواء كانت تتقاطع معها، تلك الحركات أو لا تتقاطع معها، وفي المقابل أكدت الحركة أنها لا تسمح لأحد أن يتدخل في شأنها (3).

¹ – يوجد في الأردن أكبر عدد من الفلسطينيين خارج فلسطين، بلغ عددهم عام 2005 م 2,900,000 نسمة غالبيتهم الساقطة من اللاجئين والنازحين ويمثلون جميعاً 30% من كافة الفلسطينيين، ومسألة تمثيلهم في المجلس الوطني الفلسطيني أو حتى في دائرة اللاجئين مشكلة مزمنة. أبو ستة، سليمان: منظمة التحرير وإدارة ملف اللاجئين، منظمة التحرير تقيّم التجربة، 130.

² – غرابية، إبراهيم: حماس والدولة الأردنية، <http://www.islamonline.net>.

³ – مشعل، خالد: مركز الزيتونة للدراسات، <http://www.alzaytouna.net/arabic>.

مؤتمر مدريد للسلام عام 1991م

عقد مؤتمر مدريد (مؤتمر السلام في الشرق الأوسط) في العاصمة الإسبانية مدريد من 30 / 10 / 1991 إلى 2 / 11 / 1991م، بناءً على دعوة أمريكية سوفيتية مشتركة، وحضر هذا المؤتمر وفود تمثل إسرائيل وسوريا ووفد أردني - فلسطيني مشترك، كما حضر ممثل عن الأمين العام للأمم المتحدة، وممثل المجموعة الأوروبية، وجرى المراسم الافتتاحية لمؤتمر مدريد تحت الرئاسة المشتركة لكل من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية " جورج بوش "، والاتحاد السوفيتي " ميخائيل غورباتشوف " (1).

عارضت حماس هذا المؤتمر، ورفضت المفاوضات التي استندت إلى ما جاء في رسائل الدعوة لحضور مؤتمر مدريد، وذلك انسجاماً مع مواقفها المبدئية من التسوية السلمية والطروحات السياسية لحل القضية الفلسطينية (2)، وهي بذلك لم ترفض المشاركة بالمفاوضات على شروط المشاركة الفلسطينية ومنهج المنظمة، وأدائها في إدارة المفاوضات فقط (3)، ولكنها رفضت المشاركة في المفاوضات تمشياً مع رؤيتها لسقف هذه المفاوضات ومضامينها التي تقوم على الاعتراف بدولة إسرائيل من جهة والتنازل عن كثير من حقوق الشعب الفلسطيني من جهة أخرى، إضافة إلى ظروف توازن القوى الفلسطيني والعربي والدولي وعوامله الذي يميل لصالح إسرائيل في التفاوض (4).

وحذرت حماس في البيان الذي أصدرته قبل يوم من افتتاح أعمال المؤتمر " كل المحاورين

¹ - لوماشان، فيليب و راضي، لمياً: إسرائيل / فلسطين، 176؛ الدقاق، إبراهيم وآخرون: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، 500؛ المعشر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 35 - 37؛ المجالي، عبد السلام: رحلة العمر، 205 - 210؛ عباس، محمود: طريق أوسلو، 131 - 134.

² - وثائق حماس: بيان حماس حول مؤتمر مدريد، 7 / 10 / 1991م.

³ - شدد أنصار المشاركة في مؤتمر مدريد على أهمية النظر إلى المؤتمر كوسيلة للاتصال والتأثير وتجنب العزلة عن القوى المؤثرة في الساحة الدولية والعربية، وكمبر نشرح فيه أهدافنا وعدالة حقوقنا. الشريف، ماهر: البحث عن كيان، 405.

⁴ - أبو عيد، عبد الله وآخرون، الفكر السياسي، 236؛ الخليفة، أحمد وآخرون: حماس والحركة الإسلامية، 57.

والمساومين على فلسطين والأقصى، وعلى رأسهم " وفد الشروط الصهيونية "، بأن المصادقة على مصادرة فلسطين وبيت المقدس لن تمر دون عقاب" (1) وأكدت حماس في هذا السياق مواقفها الثابتة والقائمة على أساس " أن أرض فلسطين...أرض وقف إسلامي... (2) والجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين... (3)، وغيرها من الثوابت.

وشاركت حماس في تشرين الأول عام 1991م، ولأول مرة في إصدار بيان باسم الفصائل العشرة يعارض قرار منظمة التحرير، بإرسال وفد فلسطيني إلى مؤتمر مدريد للسلام (4). وتعد معارضة حماس عقائدية ملتزمة برفض مبدأ التفاوض مع اليهود، فيما اقتصرت المعارضة الوطنية على رفض الشروط والآلية — لا المبدأ ذاته — التي تمت العملية التفاوضية وفقها وبموجبها (5).

وبالنسبة إلى الأردن فقد كانت مواقفه للتخلص من الضغوط، التي فرضت عليه، نتيجة موقفه من غزو العراق للكويت، كما أن وضعه الاقتصادي يحتم عليه وقف القتال مع إسرائيل بعد ثلاثين عاماً من الحرب، حيث أثقلته الديون، وتخلّى عنه الأصدقاء، وتوقفت دول الخليج عن مد يد العون إلى الملك حسين بعد حرب الخليج (6).

في هذه الأثناء تعهدت الولايات المتحدة بإعادة ترتيب البيت الأردني، وسد الثغرات، ودفع النفقات، وتحسين العلاقات، فقرر الأردن الدخول في عملية السلام الشامل والعاقل مع

1 — وثائق حماس: بيان حماس حول مؤتمر مدريد، 7 / 10 / 1991م.

2 — وثائق حماس: الميثاق، المادة الحادية عشرة.

3 — نفسه: المادة الثالثة عشرة.

4 — صايغ، يزيد: الحركة الوطنية الفلسطينية، 909؛ الشريف، ماهر: البحث عن كيان، 410 — 411.

5 — الجرباوي، علي: حماس مدخل الإخوان المسلمين، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 13، 1993م، ص 87.

6 — المجالي، عبد السلام: رحلة العمر، 201 — 203.

إسرائيل. (١) سارع الأردن لانتهاز فرصة مؤتمر مدريد لسببين، أولهما أنه دافع منذ البداية عن فكرة عقد مؤتمر دولي، وثانيهما أن تسوية الصراع العربي – الإسرائيلي سلمياً هدف أردني على الأقل منذ عام 1967م^(٢)، وأمل الأردن أن يساعد الانخراط في إرساء السلام على وضع حد للعزلة الإقليمية والدولية المفروضة عليه نتيجة موقفه أثناء أزمة الخليج 1990—1991م، فقد عارض الأردن آنذاك احتلال الكويت، لكنه عارض أيضاً وجود قوات التحالف في المنطقة وحاول إيجاد حل دبلوماسي^(٣).

ورغم الافتراق إلا أن حضور حماس استمر على الساحة الأردنية، وفي أواخر العام 1991م، عُقدَ مجلس شوري حماس، وتمَّ اختيار رئيس له، وعيّن إبراهيم غوشة ناطقاً رسمياً باسم الحركة، والدكتور موسى أبو مرزوق رئيساً للمكتب السياسي، وبدأ دور قيادة حماس الخارج يتعزز، ويأخذ مدى أكبر في الإعلام والعلاقات السياسية للحركة مما جعل من عمان موقعاً حيويًا لحماس ونشاطها^(٤).

وبالرغم من أن سياسة حماس تقوم على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية، إلا أن حماس نظرت إلى الأردن على أنه أرض الحشد والرباط، والبلد الأقرب إلى فلسطين والذي من خلاله يمكن تقديم الدعم والمساندة المادية وحتى العسكرية إن أمكن، إضافة للدعم المعنوي للشعب الفلسطيني المنتفض على المحتل في الأرض المحتلة، وحماس تنطلق من موقفها هذا

¹ – السمان، محمد وعاشور، حسن: مذبحه الحرم، 38.

² – يرى عبد السلام المجالي أن خيار السلام كان خياراً استراتيجياً عند الملك حسين قبل عام 1967م، وذلك عندما درس الملك حسين الوضع العسكري في الأردن والدول العربية المحيطة بإسرائيل، وبين الجيش الإسرائيلي وما يملك من معدات ومساعدات أمريكية وغربية غير محصورة، أدرك أن خيار السلام العادل والشامل يجب أن يكون خيار الأردن والعرب الاستراتيجي. المجالي، عبد السلام: رحلة العمر، 203.

³ – المعشر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 35.

⁴ – أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 28.

مستندةً إلى قاعدة الدعم والاحتضان الإخواني الصلبة في الأردن، ومما عزز طموحات حماس هذه النجاح الكبير الذي حققه الإخوان الأردنيون في الانتخابات البرلمانية في عام 1989م ممزوجاً بالدعم الشامل من الأحزاب الأردنية الوطنية واليسارية، للانتفاضة الفلسطينية والقائمين عليها، وكذلك الدعم شبه الرسمي من وزراء الإخوان المسلمين حيث شارك الإخوان بخمسة وزراء لفترة قصيرة في الحكومة الأردنية التي شكلها مضر بدران، حتى إن الإخوان المسلمين فكروا في ترشيح أحد كوادر حماس لإحدى الوزارات (1).

في هذه الأجواء الإيجابية التي خدمت مصالح وتحركات حركة حماس برزت أول قضية فتحت أبواب الشك بين حماس والحكومة الأردنية " قضية الأسلحة " (2)، التي اكتشفت في أكثر من موقع في الأردن وتم اعتقال عدد من جماعة الإخوان على خلفية هذه القضية، ولم يقدّموا للمحاكمة إلى أن تم الإفراج عنهم بعفو من الملك حسين بعد جهود حثيثة من قيادة الإخوان، وتحديداً من مجلس النواب ورئيسه آنذاك عبد اللطيف عربيات الذين طلبوا من الملك الإفراج عن الموقوفين في بداية التسعينات (3).

وقفت حماس في هذه القضية في المنطقة الرمادية فلم تتكرها تماماً، ولكنها أنكرت علم قيادة الحركة بتخزين تلك الأسلحة، إلا أن بعض مسؤولي حماس قالوا: إنه إذا ما وجدت مثل هذه الأسلحة فإن الهدف تهريبها إلى فلسطين، وأكدوا على قضية عدم استهداف الدولة الأردنية، إلا أن الأردن الذي لم ينسَ تجربة التنظيمات الفلسطينية على أرضه في نهاية الستينات وبداية

¹ — غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 177.

² — أظهرت جماعة الإخوان المسلمين وقيادة حماس الاستغراب والمفاجأة عندما أبلغها مسؤول أمني رفيع المستوى في الأردن بأن حكومته داهمت أربعة مخازن كبرى للأسلحة في العاصمة الأردنية تحوي رشاشات ثقيلة ومدافع، لقد قدرت قيمة الأسلحة المصادرة بنحو مليون دينار أردني. شهاب، زكي: حماس من الداخل، 159.

³ — المعاينة، سميح: الدولة والإخوان، 18.

السبعينات، والتي عاني مرارتها الأردن رسمياً وشعبياً على حد سواء، ما كان له أن يسمح بتكرار تلك التجربة، مع يقينه التام أن تلك الأسلحة لا تستهدف زعزعة الاستقرار في المملكة على الرغم من أن تلك الأسلحة كانت مخزنة في العاصمة عمان وليست في منطقة الأغوار القريبة من الأراضي الفلسطينية، وهو يعلم علم اليقين أن تلك الأسلحة كانت في طريقها إلى الأرض المحتلة، ولكن هذا التوجه لا يتفق مع سياسة المملكة في مواجهة إسرائيل، خاصة في مرحلة كانت تتطلع فيها الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية إلى المشاركة في عملية السلام مع إسرائيل.

ومع أن قضية أسلحة حماس انتهت قضائياً، إلا أن لها جانباً آخر غير معلن تمثل في الاستمرار في المتابعة الأمنية لنشاط حماس على الساحة الأردنية، وكانت الاعتقالات والاعترافات متتالية مما شكّل موقفاً أولياً من نشاط حماس على الساحة الأردنية، لكن الموقف السياسي كان غالباً ومرجحاً وبخاصة أن حماس لم تكن تنظيماً يهدد الأردن، إضافة إلى أن وجود حماس في عمان يضمن مراقبة أو على الأقل اقترباً من معرفة بعض التفاصيل، وكانت تلك المرحلة قد شهدت عوامل التنافس والشك والجذب بين الأردن ومنظمة التحرير قائمة، وكانت العلاقات القوية واستضافة حماس في الأردن ورقة سياسية وإن كان لها ثمن أمني (1).

أما عن أسباب احتضان الملك حسين لحماس في تلك الفترة فقد تعددت التحليلات لدى قادة حماس لهذه المسألة، فالدكتور أحمد يوسف (2) تحدث عن أسباب احتضان الملك حسين للحركة الإسلامية في الأردن ووليدتها حركة حماس معتبراً: " أن الملك حسين من أذكى الحكام العرب وأكثرهم دهاءً.. ففي الوقت الذي كانت فيه الحركة الإسلامية وحركة حماس على وجه

¹ — المعاينة، سميح: الدولة والإخوان، 18.

² — يوسف، أحمد: علاقة حماس مع الأردن، 9/1/2019م، مقابلة شخصية.

الخصوص تشهد تزايداً متتامياً في الشارعين العربي والإسلامي وداخل التجمعات الفلسطينية في الساحة الأردنية، وجد الملك فرصته في احتضان الحركة وضبط إيقاع حراكها، بحيث ينسجم مع تطلعات الملك بالخروج من نفق الإتهام بالتواطؤ مع أمريكا وإسرائيل، وهذا - الاتهام - كان يشكل تهديداً لعرشه في بلد أكثر من نصف سكانه من أصول فلسطينية، وأضف إلى ذلك النفوذ المتعاظم للحركة الإسلامية فيه بشكل ملحوظ؛ ففي تلك السنوات التي كانت فيها كل الأنظار تتجه إلى الانتفاضة الفلسطينية، وتتابع مواقف الدول العربية منها، وجد الملك فرصته لامتناء فرس الوطنية، والظهور كبطل قومي يرعى الانتفاضة الفلسطينية، ويدعمها من خلال فتح مكتب لقيادة حركة حماس في عمان. وهذا ما ساعد على امتصاص أية ردود فعل سلبية اتجاه المملكة، وأسهم في كسب مواقف الإخوان في الأردن، والذين أظهروا كل الدعم والتعاطف للانتفاضة ولحركة حماس". في حين يرى وصفي كبتها(1) أن هذا الاحتضان يعود لأسباب عدة منها:

- أن جماعة الإخوان المسلمين شكلت صمام أمان في المجتمع الأردني في فترات حرجة من تاريخه في سنوات ازدهار المد القومي وانتشار الناصرية، الأمر الذي حفظ للأردن سلامة نسيجه الاجتماعي من التمزق، وبما أن حركة حماس ولدت من رحم جماعة الإخوان المسلمين فقد انعكست تلك العلاقة على الموقف الأردني منها.

- كما أن حرص حماس على عدم التدخل في الشأن الداخلي لأي نظام، وأنها حصرت مقاومتها للاحتلال الإسرائيلي، وتعتبر أمن الأردن هو أمن الشعب الفلسطيني. هذه السياسة عززت روح الثقة بهذه الحركة على أنها لا تشكل خطراً على النظام في الأردن ولا على النسيج الاجتماعي

¹ - المهندس وصفي مصطفى عزت كبتها هو وزير الأسرى في الحكومة الفلسطينية العاشرة " حكومة حماس". أعضاء الحكومة

الأردني (1).

— أهمية القضية الفلسطينية استراتيجياً لدى الأردن، إذ لعبت القضية وما نتج عنها من تداعيات العامل الأهم والأساس في صياغة النظام الأردني لسياساته الداخلية والخارجية، وانعكس ذلك على تحالفات النظام الداخلية والخارجية، ولا يمكن عزل الأردن عن الشأن الفلسطيني، وبما أن حماس هي أكبر حركة تحظى بجماهيرية فلسطينية شعبية، وتأييد الشارع الإسلامي والعربي، جعل ذلك منها محط أنظار واهتمام كل الدول والقوى والتحالفات في المنطقة خاصة وفي العالم أجمع، وعليه فحري بالأردن أن يحرص على علاقة تقوم على التفاهم والهدوء مع حماس، وهذا يجعل النظام الأردني يأخذ حماس بعين الاعتبار كعامل أساس ومهم يؤثر في صياغة الإستراتيجية الأردنية، من هنا فقد سمحت الأردن لتواجد إعلامي لحماس من خلال مكتب يعمل تحت لافتة تجارية، وسمحت بتحريك اجتماعي لهذه الحركة سيما وأن الأردن يُعتبر أكبر مستضيف للاجئين الفلسطينيين، فكل مخرجات القضية الفلسطينية تؤثر في إستراتيجية النظام الأردني سواء خدمت هذه المخرجات مصالح الأردن أو تقاطعت معه، من هنا تبرز تأثيرات القضية الفلسطينية وانعكاساتها الإيجابية والسلبية على العلاقة ما بين الأردن والقضية الفلسطينية وبالتالي ما بين الأردن وحماس (2).

ومما عزز مكانة حماس في الأردن والإخوان معاً أن العديد من الفلسطينيين انخرطوا في العمل السياسي الإسلامي، وقد برز ذلك في الانتخابات البلدية والمهنية والطلابية... الخ،

¹ — أكدت حماس على لسان رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل أنها ليست معنية بتقسيم أي شيء على الساحة الأردنية، أو التدخل بالشأن الداخلي سواء على مستوى الحركة الإسلامية أو أي مستوى آخر، وأكد مشعل أن حركته تريد أردناً موحداً. جريد القدس: 14687، 4/7/2010م، ص33؛ مشعل، خالد: حماس ليست معنية بتقسيم الساحة الأردنية، <http://www.alzaytouna.net>.

² - كجها، وصفي: علاقة حماس مع الأردن، 30 / 6 / 2010م، مقابلة شخصية.

فكانت نسبة تصويت الفلسطينيين للنخب الإسلامية واضحة (1).

وبعد توقيع منظمة التحرير الفلسطينية لاتفاق أوسلو فقد الفلسطينيون في الخارج وخاصة في الأردن أي أمل لهم بالعودة إلى أرضهم وديارهم حسب تلك الاتفاقية، ولم يبق لهم إلا الملاذ الأخير وهو حماس المتمسكة بالثوابت ومنها حق العودة، ورفض التوطين، وقد شكل هؤلاء الفلسطينيون سندا قويا والتفافاً جماهيرياً حول حماس في الأردن، كما أن الأردنيين من كافة الاتجاهات الوطنية والسياسية والعشائرية والشعبية، إضافة إلى السند الأول " الإخوان المسلمين"، قد شكّلوا حاضنة أخرى لحماس في الأردن، كل ذلك دفع صانع القرار الأردني إلى السماح لحركة حماس بالتواجد السياسي والإعلامي على الساحة الأردنية في تلك الفترة.

ويرى وصفي كبها أيضاً - " بأن تعاضم قوة حماس ونفوذها الأيديولوجي والاجتماعي والسياسي ودورها في مقاومة المحتل، وتراجع القوى والفصائل والقوى الفلسطينية؛ الأمر الذي عكس نفوذ الحركة على كافة جوانب القضية الفلسطينية، وجعل من حماس رقماً لا يمكن تجاهله في كل المحاولات الهادفة لإيجاد حلول للقضية الفلسطينية، فالمعطيات الكثيرة والمتشعبة قد فرضت نفسها على ضرورة أن تكون هناك تفاهات بين النظام الأردني وحماس، حيث إن قراءة الواقع السياسي بموضوعية يفرض هذا التفاهم والهدوء في العلاقة، لقد تميزت علاقة حماس بالنظام الأردني في ظل وجود الملك الراحل حسين، حيث كانت السلطة الفلسطينية قد ذهبت إلى مفاوضات سرية مع الاحتلال الإسرائيلي، مما فاجأ الأردن بشكل خاص، وأحيا التخوفات داخل النظام الأردني من قضية الأردن كوطن بديل، وأن حركة فتح التي تنفرد بقرار منظمة التحرير الفلسطينية قد تبدي ليونة في ملف اللاجئين الذي تمّ ترحيله إلى مفاوضات المرحلة النهائية، وبما أن موقف حماس كان واضحاً، من حيث رفض سياسة الوطن البديل وإصرارها على حق

¹ - الشاعر، وهيب: الأردن.. إلى أين؟، 86 - 87؛ المعاينة، سميح: الدولة والإخوان، 18.

العودة. هذه السياسة لامست ارتياحاً في الجانب الأردني، مما ساهم في وجود تلك العلاقة الهادئة حيث وجد الأردن بحماس ضابطاً وكابحاً للمفاوض الفلسطيني من أن يذهب بعيداً في ملف اللاجئين على حساب الأردن ولو جزئياً" (1).

وترفض بعض قيادات حماس مفهوم "الاحتضان"؛ لأن الاحتضان مفهوم واسع وشامل يصل درجة التبني، ويشتمل التمويل وتوفير كل أسباب ومقومات العمل والاستمرارية وفق تفاهم عميق ينم عن علاقة عضوية، وهذا لم يكن على الإطلاق، وإنما هي مصالح متبادلة في فترة معينة(2). بينما يرى خالد مشعل أن مبررات هذا الاحتضان تتلخص في الاعتبارات الآتية:

— إنَّ عقد الاتفاق جاء بعد اكتشاف قصة الأسلحة في العام 1991، فقد أراد الملك الراحل " أن لا يترك الساحة الأمنية الداخلية عرضة للاجتهاادات الحركية، فتم عقد اتفاق مع حماس لتقنين وجودها على الساحة الأردنية، كي تكون تحت عين السلطات الرسمية، وعدم قيامها بعمليات تخرجه مع الإسرائيليين والأمريكان.

— إنَّ الملك حسين لم يرد التخلي عن الورقة الفلسطينية تماماً، بعد أن انتزع عرفات التمثيل الفلسطيني، في سياق حالة الشد والجذب التاريخي مع الأردن على تمثيل الفلسطينيين، وبخاصة في الضفة الغربية.

— وجد الملك أن حماس المختلفة مع فتح سياسياً وفكرياً، يمكن أن تشكل ورقة في مواجهة عرفات بخاصة إذا حاول اللعب بالورقة الفلسطينية في الأردن، حيث إن حركة حماس تبدي تفهماً للعلاقة المركبة والمعقدة بين الأردن وفلسطين، ومستعدة للحوار حول صيغة العلاقة المستقبلية، ولا يوجد لها تاريخ مسيء للأمن الوطني الأردني، كما هي حال منظمات فلسطينية

¹ - كيبها، وصفى: علاقة حماس مع الأردن، 30 / 6 / 2010م، مقابلة شخصية؛ المعشر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 39.

² - كيبها، وصفى: علاقة حماس مع الأردن، 30 / 6 / 2010م، مقابلة شخصية.

أخرى.

— إنَّ الملك الراحل وجد في حماس قوة سياسية إسلامية صاعدة، يمكن الرهان عليها لاحقاً في السياسات الإقليمية الأردنية⁽¹⁾.

وأكدت حماس وعلى لسان رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل أن أرض الأردن، كما كل الأرض العربية عزيزة علينا، ولكن دون أن يُطرح هذا التفاهم في سياق الوطن البديل⁽²⁾، أو التعويض، فالحل الفلسطيني الوحيد هو على الأرض الفلسطينية؛ بل إن حماس ترى أن العلاقات ذات الخصوصية الكبيرة بين الأردن وفلسطين تأتي بعد الدولة الفلسطينية واستعادة الحقوق، وليس قبل ذلك⁽³⁾.

ومن الناحية السياسية فقد كان للأردن مصلحة في احتضان حماس والتفاهم معها، فليس لهذه القوة الفلسطينية الرئيسية بالأساس صلات مع الأوساط الأمريكية والإسرائيلية التي تقف وراء مشروع الوطن البديل، وحماس ما تزال متمسكة بالثوابت الفلسطينية، وعلى رأسها حق العودة، وهو ما يجعل خيار حماس هو الأمل الأقوى في تهدئة روع المملكة التي تتوجس من مشروع الوطن البديل، وبالتالي إفشال الخيار الأردني⁽⁴⁾.

وفي إطار التضامن الأخوي مع حق الشعب الفلسطيني في العيش على تراب وطنه، ورفضه لسياسة الترحيل الجماعي، فقد أدان الأردن عملية الإبعاد الجماعي التي طالت 415 من

¹ — أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 46؛ الروابدة، عبد الرؤوف: سياسي يتذكر، جريدة الغد، ع2093، 24/5/2010 م، ص16.

² — كان الأردن متخوفاً من التصريحات الصادرة عن الوزراء الإسرائيليين سنة 1982م، وفحواها أن الأردن هو فلسطين، كما صرح الوزير اريئيل شارون في شهر آب 1984م، أن الضفة الشرقية لنهر الأردن ملك لإسرائيل، وسيستوطنها اليهود يوماً ما. الصايغ، يزيد: الحركة الوطنية الفلسطينية، 767؛ لوماشان، فيليب وراضي، لمياً: إسرائيل / فلسطين، 73.

³ — مشعل، خالد: مركز الزيتونة للدراسات، 2008/ 11/ 4، <http://www.alzaytouna.net>

⁴ — حنتر، ناهض: حماس والأردن، حماس والحركة الإسلامية والحوار مع الأردن، 51 — 52.

أنصار حركتي حماس والجهاد الإسلامي في كانون الأول عام 1992م، حيث استندى وزير الخارجية الأردني كامل أبو جابر سفراء ورؤساء بعثات الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن وأبلغهم إدانة الأردن للإجراءات الإسرائيلية.

وأكد أبو جابر أن القرار الإسرائيلي خرق واضح لاتفاقية جنيف وموثيق حقوق الإنسان، ويلحق الضرر بالعملية السلمية ويعرض المفاوضات الجارية إلى انتكاسة كبيرة.⁽¹⁾

وشهدت العلاقة بين الحكومة الأردنية وحركة حماس تطوراً نوعياً في عام 1993م، إذ التقى عدد من قادة المكتب السياسي برئيس الحكومة آنذاك، زيد بن شاكر، ومُنح كل من موسى أبو مرزوق وعماد العلمي حق الإقامة في الأردن، وتم التوافق على أن يكون المكتب السياسي للحركة في عمان⁽²⁾. وتكرّس ذلك التفاهم مع رئيس الوزراء، باتفاق غير مكتوب عُرف بـ "الاتفاق الشفوي" بين قادة حماس إبراهيم غوشه ومحمد نزال مع مدير المخابرات العامة مصطفى القيسي وقد تضمن الاتفاق البنود الآتية:

— الموافقة على النشاط السياسي والإعلامي للحركة في الساحة الأردنية.

— عدم تدخل الحركة في الشأن الأمني الأردني.

— ألا تقوم حركة حماس بأي عمليات عسكرية انطلاقاً من الأردن⁽³⁾.

واستمرت تلك العلاقة بقرار أردني رسمي صاحبه قلق ومتابعة أمنية بكل ما يعني هذا من متابعة، ومحاولة كشف كل تفاصيل عمل الحركة، وكان هناك أشكال من التواصل الأمني

¹ — جريدة القدس: ع 8371، 19 / 12 / 1992م، ص 9 .

² — أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 30؛ الروابدة، عبد الرؤوف: سياسي يتذكر، جريدة الغد، ع 2093، 24 / 5 / 2010م، ص 16.

³ — غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 204؛ الروابدة، عبد الرؤوف: سياسي يتذكر، جريدة الغد، ع 2093، 24 / 5 / 2010م، ص

16، <http://www.alghad.com> .

وأحيانا السياسي، في مقابل ذلك استمرت حماس بكل قدراتها في استثمار الساحة الأردنية في بناء مؤسساتها الخاصة بها (1).

¹ — المعاينة، سميح: الدولة والإخوان، 19.

اتفاق أوسلو عام 1993م

تم توقيع اتفاق أوسلو " إعلان المبادئ الفلسطيني - الإسرائيلي " في البيت الأبيض في واشنطن في 13/9/1993م، والذي نص على " أن حكومة دولة إسرائيل والوفد الفلسطيني (في الوفد الأردني الفلسطيني إلى مؤتمر السلام في الشرق الأوسط) ممثلاً للشعب الفلسطيني، يتفقان على أن الوقت قد حان لإنهاء عقود من المواجهة والنزاع، والاعتراف بحقوقهما المشروعة والسياسية المتبادلة والسعي للعيش في " ظل " تعايش سلمي وبكرامة وأمن متبادلين ولتحقيق تسوية سلمية عادلة ودائمة وشاملة ومصالحة تاريخية... " (1).

وقد تطابقت مواقف كل من حماس والأردن من اتفاق أوسلو(2)، فعلى الرغم من اختلاف دوافع الرفض عند الطرفين، إلا أن مواقفهما تطابقت على رفض توقيع منظمة التحرير على اتفاق أوسلو .

وجاء موقف حماس من اتفاق إعلان المبادئ وما ترتب عليه منسجماً مع سياساتها في رفض الانتقاص من حقوق الشعب الفلسطيني، وإضفاء الشرعية على المحتل، والاعتراف بوجوده، واحتلاله للأرض والإنسان الفلسطيني، وقد حملت نداءات حماس المستمرة على اتفاق أوسلو

¹ دمج، ناصر: تحولات منهجية، 332.

² - اتفاق أوسلو: تم التوصل إليه، بعد مفاوضات مباشرة وسرية، جمعت بين ممثلين للحكومة الإسرائيلية، ومنظمة التحرير واحتضنتها العاصمة النرويجية أوسلو، وتحتوي وثائق هذه الاتفاقات على الرسائل المتبادلة بين الرئيس " ياسر عرفات "، ورئيس الحكومة الإسرائيلية " إسحاق رابين "، كما تحوي على إعلان المبادئ الفلسطيني - الإسرائيلي، وقد ابرم اتفاق إعلان المبادئ " أوسلو " في البيت الأبيض الأمريكي في 13 / 9 / 1993م، وحدد الاتفاق الذي دخل حيز التنفيذ في 13 / 10 / 1993م، الخطوط العريضة للحكم الذاتي في الأراضي المحتلة، على أن يطبق الحكم الذاتي أولاً في قطاع غزة وأريحا في الضفة الغربية، وتضمنت المقدمة تبادل الاعتراف بين الطرفين. عباس، محمود: طريق أوسلو، 163-169؛ لوماتان، فيليب و راضي، لمياً: إسرائيل/ فلسطين، 177؛ دمج، ناصر: تحولات منهجية، 330-336؛ قريع، أحمد: الرواية الفلسطينية الكاملة للمفاوضات الكاملة للمفاوضات، 165؛ الشريف، ماهر: البحث عن كيان، 419-421.

بشدةٍ وحثت على كشف سلبياته^(١)، وهذا ما أكده خالد مشغل حين قال: كانت حماس ضد اتفاق أوسلو وكانت تراه مجحفاً، ولا يقود إلى الاستقلال، ولا إلى دولة فلسطينية، ولا إلى حقوق الشعب الفلسطيني^(٢).

وعلى الرغم من أن الأردن قد أدى دوراً أساسياً في إفساح المجال أمام المشاركة الفلسطينية في مفاوضات السلام في مدريد. من خلال تقديم مظلة للفلسطينيين يستظلون بها للمشاركة، والموافقة على تشكيل وفد مشترك معهم لمساعدتهم على التكلم مباشرةً إلى نظرائهم الإسرائيليين، ومنح الدكتور وليد الخالدي جواز سفر أردني، لتأمين وجود موفد يمثل القدس^(٣)، ورغم كل ذلك، فقد انتكست العلاقات بين الأردنيين والفلسطينيين على أثر الصدمة الناجمة عن توصل منظمة التحرير إلى صفقة خاصة بها مع إسرائيل في محادثات أوسلو السرية^(٤). وخاصةً بعد خطاب بنيامين نتنياهو زعيم المعارضة الليكودية، في الكنيست لدى مناقشة اتفاق أوسلو والتصويت عليه، حيث قال: " ... لا يحتاج المرء إلى أن يكون نبياً كي يرى سلفاً ما سيحدث في المنطقة بعد إقامة الدولة الفلسطينية. أنتم تقولون إنها ستكون دولة صغيرة. لكنها لن تبقى صغيرة. إنها ستقوّض الأردن"، وأضاف نتنياهو: " سمعت وزير الخارجية يتحدث عن اتحاد كوندراي مع الأردن. الحكومة الأردنية تعرف جيداً أنها لن تصمد، والشارع الأردني هو شارع فلسطيني. رأينا ذلك في حرب الخليج، عرفات سيبتلع الأردن ويهضم جيشه"^(٥).

¹ - وثائق حماس: مذكرة موجهة إلى وزراء الخارجية العرب، 19 / 9 / 1993م، <http://www.Palestine-info.info>؛ عبد

العزیز، أحمد: حركة حماس والتفاوض مع إسرائيل، الفكر السياسي لحركة حماس، 225.

² - مشغل، خالد: موقف حماس اتجاه القضايا الراهنة، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 76، 2008م، ص 71.

³ - المعشر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 35.

⁴ - الحمارنة، مصطفى وآخرون: العلاقات الأردنية - الفلسطينية إلى أين؟، 30.

⁵ - قريع، أحمد: الراوية الفلسطينية الكاملة، 45 - 46.

ويبدو أن مثل هذه التصريحات قد أضافت المزيد من القلق والتوجس الموجودة أصلاً عند الأردن من دور منظمة التحرير الفلسطينية.

من ناحية أخرى يرى منير شفيق⁽¹⁾، أنه كان لاتفاق أوسلو وقع الطامة على الدول العربية، حيث نظرت إليه كل من مصر وسوريا والأردن – وينطبق هذا على غالبية الدول العربية – نظرة متحفظة بل عدائية على الرغم من التأييد الظاهري الذي استُقبل به الاتفاق عربياً. فقد اعتُبر الاتفاق خطراً على الأمن القومي والاقتصادي والسياسي لدول الطوق، ومن ثم لبقية الدول العربية⁽²⁾.

يقول محمود عباس: "حاولت ثلاث مرات أن ابلي الملك حسين بالمفاوضات السرية، لكنني لم أفجح بسبب عدم استطاعتي الانفراد بالملك، وأنّ المرة الرابعة لم تأتِ لأن الصحف قد نقلت أنباء توقيع الاتفاق، فغضب الملك حسين غضباً شديداً لأننا أخفينا عليه الأمر من البداية إلى النهاية، ولا أدري إن كان تقبل حجتي وأعداري أو لم يتقبلها، إلا أنني أقول إنّ له الحق أن يعتب⁽³⁾.

ومما زاد حدة الخلاف تذرّ القيادة الفلسطينية صراحة من الصمت الأردني حيال محاولات الإسلاميين حرف المسيرة السلمية عن مسارها؛ الأمر الذي يؤدي إلى إضعاف السلطة الفلسطينية على حد قولها، كما أن تواجد قيادات المنظمات الإسلامية المرتبطة بحركات إسلامية

¹ – شفيق، منير: اتفاق أوسلو، 10.

² – يرى الدكتور مروان المعشر أن توقيع اتفاق أوسلو عام 1993م، نقطة تحول بالنسبة إلى الأردن، ففي البداية شعر الأردن بالاستياء عند إعلان التوصل إلى الاتفاق بين منظمة التحرير وإسرائيل، بسبب عنصر المفاجأة، واعتقاد الأردن بأن الفلسطينيين والإسرائيليين ربما يخطون شيئاً ضد المصالح الأردنية، أو أن دوراً أُعد للأردن في الاتفاق من دون استشارته، ويضيف المعشر أن أقل ما كنا نتوقعه هو إعلامنا أن هناك قناة أخرى تجري عبرها مفاوضات حقيقية. المعشر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 39.

³ – عباس، محمود: طريق أوسلو، 278.

" حماس " في فلسطين على الأرض الأردنية تظل قائمة، ومقلقة لمنظمة التحرير (1).

ومما عزز ذلك أيضاً، فشل المحادثات بين قيادات حماس وعرفات في الخرطوم برعاية زعيم الجبهة الإسلامية الوطنية حسن الترابي، حيث إن ياسر عرفات كان تواقاً إلى إدخال حماس تحت مظلة المنظمة، من أجل تقوية مكانته التمثيلية، إلا أن الإسلاميين كرروا مطالبهم ببرنامج سياسي متشدد، والحصول على 40 % من مقاعد المجلس الوطني الفلسطيني، فانهار الحوار وسط تبادل للاتهامات بين الطرفين، عندها ألقى عرفات غاضباً اللوم نتيجة الوصول إلى الطريق المسدود على أعضاء الحرس القديم في قيادة حركة الإخوان المسلمين في الأردن، والذي كان يعلم بأنهم سيطرون تماماً على حماس (2).

وصرح المتحدث باسم حماس في عمان، إبراهيم غوشه، أن الحركة تتمتع بتأييد 40% من الفلسطينيين في الأراضي المحتلة حتى قبل حدوث الإبعاد الجماعي، وأنه لا بد من إعادة تأليف المجلس الوطني الفلسطيني على هذا الأساس (3).

واحتدت الأمور إلى درجة خطيرة، عندما اتهم غوشه وممثل حماس الرسمي في الأردن، محمد نزال، المفاوضين الفلسطينيين في واشنطن بالتنازل عن " قضية المبعدين مطالباً باستقالة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية (4).

صبّ هذا السجال الفلسطيني في مصلحة الأردن، وخاصةً الملك حسين، الذي كان ينازع ويشكك في شرعية منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطيني، وتحديدًا المتواجدين في الأردن، أما الضفة الغربية والقدس، فإن التنافس كان محتدماً حولهما بين الأردن ومنظمة

¹ — الحمارنه، مصطفى وآخرون: العلاقات الأردنية — الفلسطينية، 32.

² — الصايغ، يزيد: الحركة الوطنية الفلسطينية، 910.

³ — غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 202 — 203.

⁴ — الصايغ، يزيد: الحركة الوطنية الفلسطينية، 910.

التحرير الفلسطينية، أما حماس فلا تعتبر مسألة التمثيل معضلةً كبرى ولا تتنافس الأردن عليها.

أما ياسر عرفات فقد كان يشك دائماً بأن الملك حسين يستخدم ورقة حماس أو الروابط التنظيمية الإسلامية العابرة للنهر— في إشارة إلى جماعة الإخوان المسلمين — يستخدمها لخلق صعوبات في طريقه، وذهب بعض المسؤولين في حاشية عرفات إلى ما هو أبعد من ذلك حين ادعوا بأن الهجمات المسلحة التي قامت بها حماس ضد الإسرائيليين في الفترة الحاسمة بين عامي 1994—1995م، يمكن أن تكون قد حصلت بدون معارضة من جانب الأردن لإضعاف دور عرفات في العملية السلمية لصالح القيادتين الأردنية والإسرائيلية، وأقل وجهات النظر شكاً تفيد بأن الملك حسين لا يستطيع أن يملّي أوامره على حماس، ولكن له تأثيراً عليها مما جعل القيادة الفلسطينية تعتقد أنه يستطيع عمل ذلك، فإنه سيبقى يمتلك ورقة حماس (1).

ومهما كان موقف الملك حسين الدبلوماسي من اتفاقيات أوسلو فقد شعرت القيادة الأردنية أن الأمور تسير من وراء ظهرها على حساب الأردن، وبدلاً من الحديث عن خيار أردني لحل القضية الفلسطينية تنقلب الأوضاع ليكون المطروح خياراً فلسطينياً يقوِّض الدولة الأردنية بحكم التفاعل الطبيعي بين ضفتي الأردن، ومن هنا فقد تبلور لدى القيادة الأردنية إدراك مفاده أن أفضل سبيل لضمان منع حدوث ذلك هو المراهنه على الضمانات الإسرائيلية والأمريكية، وليس التنسيق مع القيادة الفلسطينية(2).

وفي النهاية فإن الأردن المنخرط في التسوية السلمية من خلال وفده المفاوضات في مدريد استوعب صدمة اتفاق أوسلو، ورغم قناعاته أن الطرف الفلسطيني هو الأضعف في معادلة

¹ — الحمارة، مصطفى وآخرون: العلاقات الأردنية — الفلسطينية، 152 — 153.

² — عدوان، بيسان: خيار الوطن البديل، <http://www.ahewar.org>

المفاوضات السلمية، ورغم كل هواجس الأردن من فكرة الوطن البديل، وفكرة الخيار الأردني، وبعد أن هدأت المشاعر، وعقب جدل طويل، توصل الأردنيون إلى قرار بأهمية اتفاق أوسلو، ليس فقط في إفساح المجال أمام مفاوضات مباشرة بين إسرائيل والقيادة الفلسطينية، وإنما أيضاً في خلق فرص جديدة للمفاوضات الأردنية مع إسرائيل، بل وأكثر من ذلك، إذ حوّل اتفاق أوسلو وبشكل أساسي مسؤولية التفاوض على المسائل الأكثر تعقيداً في عملية إرساء السلام بين العرب وإسرائيل من الأردن إلى منظمة التحرير الفلسطينية، مما جعل المفاوضات الأردنية مع إسرائيل أقل إشكالية منها مع الفلسطينيين. وقد تكونت قناعة لدى الأردن بأن اعتراف إسرائيل بالفلسطينيين هو أيضاً لمصلحته (1)، كما يساعد أيضاً على وضع حد لمفهوم اليمين الإسرائيلي بأن الأردن هو فلسطين، حيث صرح رئيس جامعة بئر السبع " في 15 كانون ثاني عام 1982م، فقال: "الأردن هدف استراتيجي ..، ويجب أن يفهم العرب الإسرائيليون " الفلسطينيين" أنه لا يمكن أن يكون لهم وطن إلا في الأردن" (2).

¹ — المعشر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 39.

² — السمان، محمد وعاشور، حسن: مذبحه الحرم الإبراهيمي، 96

الفصل الثاني

علاقة حماس مع الأردن

1999 – 1994

الفصل الثاني

علاقة حماس مع الأردن

1994 – 1999

لم يكن هناك داعٍ للانتظار الطويل الذي يمكن أن يحول الأردن إلى عنصر هامشي في الأحداث المقبلة على المنطقة؛ لذا سارعت القيادة الأردنية إلى توقيع أجندة المفاوضات الأردنية الإسرائيلية في واشنطن في اليوم التالي لتوقيع الاتفاق الإسرائيلي – الفلسطيني في البيت الأبيض في شهر أيلول عام 1993م، ثم بدأ الأردن مباحثات نشيطة وكثيفة مع إسرائيل والولايات المتحدة انتهت بتوقيع معاهدة السلام الأردنية – الإسرائيلية في عام 1994م⁽¹⁾.

جرى ذلك رغم توافق مواقف حماس والأردن في رفض اتفاق أوسلو، مع تباينهما في أسباب الرفض، لكن مواقفهما عادت وافتقرت بسبب جنوح الأردن للاستمرار في السير في عملية السلام مع إسرائيل.

وقد سارت الرياح بما لا تشتهي سفن حماس، ففي شباط 1994م، وقعت مجزرة الحرم الإبراهيمي عندما أقدم شخص يهودي على إطلاق الرصاص على المصلين في المسجد خلال صلاة الفجر مما أدى إلى استشهاد 29 شخصاً وجرح قرابة مائتين⁽²⁾.

الأردن الرسمي من جانبه علق مفاوضات السلام مع إسرائيل، واستنكر تلك المجزرة التي هزت مشاعر الشعوب العربية والإسلامية ومنها الشعب الأردني⁽³⁾.

أما على الصعيد الشعبي فقد استفزت تلك المجزرة مشاعر الرأي العام العربي والإسلامي،

¹ – المجالي، عبد السلام: رحلة العمر، 269؛ عدوان، بيسان: خيار الوطن البديل، <http://www.ahewar.org>.

² – لوماشان، فيليب وراضي، لمياً: إسرائيل / فلسطين، 194؛ علي، ياسر: المجازر الإسرائيلية، 69؛ غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 214.

³ – غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 214 – 215؛ لوماشان، فيليب وراضي، لمياً: إسرائيل / فلسطين، 194.

فخرجت المسيرات الغاضبة في كل العواصم العربية والإسلامية، ومنها العاصمة عمان، حيث قامت جماعة الإخوان في الأردن بمظاهرات ضمت آلافاً تتدد بالمجزرة، ثم ما لبثت كتائب القسام " الجناح العسكري لحركة حماس " أن بدأت بعمليات رد من خلال عدة عمليات عسكرية نوعية ضد إسرائيل⁽¹⁾.

هذا النشاط العسكري خلق ضغوطاً دولية على الأردن، خاصة أنه جاء بعد اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، وقد أبلغ وزير الداخلية الأردني آنذاك سلامه حماد قادة حماس في الأردن اعتراضه على تصريحات الناطق الرسمي، وبعض قادة المكتب السياسي لحماس التي انطلقت من قلب عمان تمجد تلك العمليات⁽²⁾.

ثم تطورت الأزمة بين الطرفين بعد استدعاء الناطق الرسمي باسم الحركة إبراهيم غوشة إلى وزارة الداخلية، وحاولت الأجهزة الأمنية اعتقاله بعد أن رفض تسليم جواز سفره، حتى تدخل النائب بسام العموش لإنهاء الأزمة⁽³⁾.

وبعد عمليتي العفولة والخضيرة الاستشهاديتين في عام 1994م، قام رئيس الوزراء الإسرائيلي بتوجيه تهديد إلى الأردن، لوجود قيادة حماس على أرضه، وطالبه باتخاذ إجراءات ضد نشاطها جاء ذلك التهديد إثر تصريحات لإبراهيم غوشة الناطق الرسمي باسم حماس تمجد تلك العمليات وتدعو لاستمرارها.

وأكدت حماس حرصها على أمن واستقرار جميع الدول التي يتواجد فيها رموز الحركة وممثلوها السياسيون والإعلاميون، والذين يعملون في إطار القوانين في تلك البلاد، وتحرص

¹ - غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 217 - 218.

² - أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 30.

³ - غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 217 - 218 .

على عدم تقديم المسوغات للعدو لممارسة ضغوط على أي من هذه الدول⁽¹⁾.

وأكد موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي لحماس أن أمن واستقرار أي بلد عربي وخاصة الأردن قوة داعمة للحق الفلسطيني، وأن أي اهتزاز لأي بلد عربي يصب سلباً على القضية الفلسطينية، وأضاف أبو مرزوق إن حماس تدرك أن الأردن يواجه ظروفاً صعبة وضغوطات متعددة، كما تؤكد أن موقفه من التهديدات الإسرائيلية كان مميزاً ويشكر عليه⁽²⁾.

وعن دور حماس في الأردن رأى "محمد نزال" القيادي في حماس أن قيادة حماس في الأردن تمارس دوراً سياسياً وإعلامياً في الدفاع عن القضية الفلسطينية والتأكيد على مشروعية الحق الفلسطيني وعدالة القضية، وتمارس هذه القيادة عملها علناً من خلال الاتصال بوسائل الإعلام ولقاء مختلف الأطراف السياسية التي تحرص على استطلاع وجهات نظر الحركة، وهذا الدور لا يقتصر على الساحة الأردنية، وإنما يتجاوزها إلى ساحات عربية وإسلامية أخرى دون التدخل في الشؤون الداخلية لهذه الأقطار أو الإخلال بأمنها⁽³⁾.

اتفاقية السلام الأردنية – الإسرائيلية 1994م

وقّع الأردن مع إسرائيل في 1994 / 7 / 9م، وذلك بعد سحب الموضوع الفلسطيني من المفاوضات العرب في واشنطن لصالح المفاوضين الفلسطينيين، بعد توقيع اتفاقية أوسلو في 1993 / 9 / 13م، حيث جرى وفي اليوم التالي لهذه الاتفاقية توقيع جدول الأعمال الذي تم التوصل إليه بين الأردن وإسرائيل وجرى التصديق عليه في واشنطن، من أجل ضمان

¹ – وثائق حماس: بيان المكتب السياسي بشأن مطالبة رئيس الحكومة الإسرائيلية الأردن بوقف نشاط حماس على أراضيه 4/16/

1994، <http://www.palestine-info.info>

² – أبو مرزوق، موسى: مركز الزيتونة للدراسات، <http://www.alzaytouna.net>.

³ – نزال، محمد، تصريح صحفي، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 26، 1996م، ص 215.

المصالح الوطنية الأردنية المتعلقة بالأرض الأردنية المحتلة ومشكلة المياه (1).

مثلت المعاهدة الأردنية – الإسرائيلية نقطة تحول نوعية في العلاقة بين الأردن وحركة حماس، فقد اعتبرت الحركة هذه الاتفاقية صدعاً جديداً في جدار الصمود العربي. وجاء في بيان حماس أن الاتفاقية الأردنية – الصهيونية، لم تختلف في مضمونها وجوهرها عن سائر الاتفاقيات الاستسلامية التي تم توقيعها مع العدو الصهيوني بدءاً من "كامب – ديفيد" ومروراً باتفاق أوسلو، من حيث كونها استجابة للشروط الصهيونية وبما يخدم الأهداف الصهيونية على حساب الحقوق والمصالح العربية، ومن حيث أنها تعترف بوجوده وسيادته على الأرض الفلسطينية.

وأكد البيان رفض حماس للمعاهدة لأنها كغيرها من المعاهدات الاستسلامية لن تستطيع محاصرة إرادة الأمة العربية والإسلامية في إطار بنودها، ولن تضمن التاريخ ليسير حسب إرادتها، كما أنها لن تستطيع أن تلغي حقاً من الحقوق المشروعة والمغتصبة للشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية جمعاء (2).

وفي إطار توافقي أي ضغط سيمارس على قياداتها في الخارج، أكدت حماس بأن تنظيم الحركة هو في الأرض المحتلة فقط، أما خارجها فالوجود رمزي محدود بقصد الدعم السياسي والإعلامي والشعبي للحركة ولل فلسطينيين في الداخل، وأكدت مرة أخرى على حرصها على أمن كل الدول العربية والإسلامية واستقرارها، وخصوصاً تلك التي فيها وجود إعلامي أو سياسي، وانطلاقاً من هذا الحرص فإن الحركة لا تقدم على أي عمل من شأنه الإضرار بالدول

¹ – لوماشان، فيليب وراضي، لمياً: إسرائيل / فلسطين، 180؛ الفارس، تيسير: العلاقات الأردنية الفلسطينية، 99؛ المجالي، عبد

السلام: رحلة العمر، 269 – 271؛ المعشر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 176).

² – وثائق حماس: المعاهدة الأردنية الصهيونية، <http://www.palestine-info.info/ar>

المضيفة أو إخراجها في المجتمع الدولي (1). وصرح الشيخ أحمد ياسين بأن هذه القيادة هي مجموعة من الموظفين الذين عينتهم الجماعة لدعم الحركة وتسهيل علاقاتها واتصالاتها ومواردها الخارجية (2).

ويمكن تفسير تصريحات الشيخ أحمد ياسين من زاويتين؛ الأولى: إن جسم وقيادة حماس في داخل الأرض المحتلة، والثانية: أنها كانت تأتي في إطار محاولة تخفيف الضغط العربي والإقليمي على قيادة حماس في الخارج.

وهكذا فإن حماس ترفض كل سياسات الاحتواء والتطويع، وتؤكد أن سياسة التصفيق التي تعرض لها قادتها في الخارج لم تنته عن مواقفها، وأن تنظيمها وقيادتها في داخل الأرض المحتلة، وأن من هم بالخارج مجرد موظفين عندها، وأن أي ضغط سيمارس عليهم لن يؤثر على سياسات ومواقف الحركة في الداخل.

وبالرغم من أن مدير المخابرات العامة الأردني "مصطفى القيسي"، أكد لقيادة حماس بأن الاتفاقية مع إسرائيل لا تعني - بفعل استحقاقاتها الأمنية - نهاية الاتفاق غير المكتوب مع الحركة، إلا أن المؤشرات كانت توحي باتجاه مغاير تماماً، وخاصة مع زيادة الضغوط الأردنية على المكتب السياسي بعدم الإدلاء بتصريحات تدعم المقاومة في فلسطين (3).

وبعد دخول اتفاقية وادي عربة حيز التنفيذ بصورة عملية مع العام 1995م، أخذت الضغوط الإسرائيلية والأمريكية والغربية على الأردن بالازدياد، للحد من نشاط حركة حماس السياسي

¹ - وثائق حماس: بيان حماس تؤكد لا تنظيم لها خارج الأراضي المحتلة، 18/4/1994م، <http://www.palestine-info.info>

² - غرابية، إبراهيم: إشكالية حماس في الإخوان المسلمين، <http://www.islamonline.net>

³ - أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 30؛ نزال، محمد: حديث صحفي، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 26،

والإعلامي على الساحة الأردنية (1).

وأكد خالد مشعل أن الفترة الذهبية في العلاقة بين الأردن وحماس كانت منذ عقد الاتفاق غير المكتوب " الشفوي" بين حماس والحكومة الأردنية في العام 1993 إلى 1995م، وحين دخلت اتفاقية وادي عربة حيّز التنفيذ، وعندما رفضت حماس (في حوار القاهرة) الموافقة على المشاركة في الانتخابات الفلسطينية عام 1996م، دخلت العلاقات مرحلة جديدة. ومما زاد الوضع تعقيداً التصريحات الإعلامية للناطق باسم حماس في الأردن والتي بارك فيها العمليات، وكذلك نشاط حماس السياسي والشعبي على الساحة الأردنية خاصة بعد توقيع الأردن اتفاقية سلام مع إسرائيل؛ تضمنت تفاهات أمنية وسياسية تتناقض مع منهاج حركة حماس ونشاطها العسكري في الأراضي المحتلة (2).

لقد أدى الواقع الجديد إلى إعادة تفكير صانع القرار في الأردن في العلاقة مع حركة حماس، ونجم عن ذلك بداية الضغوطات؛ فقد أخبر وزير الداخلية سلامه حماد أعضاء المكتب السياسي بإنهاء الأردن لضيافة كل من موسى أبو مرزوق وعماد العلمي في عمان، وضرورة مغادرتهم في نهاية أيار 1995م، وحصل بعد ذلك المزيد من العمليات العسكرية لحماس في الأراضي الفلسطينية المحتلة زادت من الضغوط الخارجية على الأردن، لمنع نشاط حماس السياسي على أراضيه (3). وكان الطرد بحجة أنّ أبو مرزوق ليس مواطناً أردنياً، وكان هدف الأردن من ذلك وقف تحريض ياسر عرفات وشكواه الدائمة بأن الأردن يحتضن مجموعات مناوئة للسلطة في فلسطين، من أجل الضغط على حماس في ذات الوقت كي تتجاوب مع الجهود الأردنية إلى

¹ - غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 221.

² - أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 46، 47.

³ - شهاب، زكي: حماس من الداخل، 160.

إدماجها في العملية السياسية⁽¹⁾.

ويعزز هذا الاتجاه تصريحات الملك حسين التي قال فيها: "... نحن نتعامل مع منظمة التحرير، ولا نعترف بسواها، ولا نقبل أن يكون هناك جهات تعمل على الساحة الأردنية في أي شكل من الأشكال ضد المنظمة التي تقود المسيرة الفلسطينية"⁽²⁾.

غادر الدكتور موسى أبو مرزوق الأردن فاعتقل أثناء دخوله الأراضي الأمريكية، وألصقت به تهمة ممارسة الإرهاب، واستمرّ الاعتقال مدة عام ونصف⁽³⁾. وعلى أثر ذلك عقد مجلس شورى حماس في نهاية العام 1995م اجتماعاً، وانتخب خالد مشعل⁽⁴⁾ رئيساً للمكتب السياسي، خلفاً لموسى أبو مرزوق، الذي كان معتقلاً في الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت، وانتخب إبراهيم غوشة رئيساً لمجلس الشورى⁽⁵⁾.

في عام 1996م عقد أول مؤتمر دولي في شرم الشيخ بمصر، تحت عنوان مكافحة الإرهاب، وبحضور أكثر من ثلاثين دولة، وبالتحديد من أجل التداول في أنجع السبل لحصار حماس والجهاد الإسلامي. حضر عدد من الدول العربية ومن ضمنها الأردن المؤتمر ووافقت على

¹ — ملكاوي، عصام: علاقات حماس والأردن، حماس والحركة الإسلامية، 60.

² — ابن طلال، حسين: حديث صحفي، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 23، 21 / 6 / 1995م، 221.

³ — المعاينة، سميح: الدولة والإخوان، 19؛ غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 223.

⁴ — خالد مشعل: ولد خالد مشعل في 28 / 5 / 1956م، في بلدة سلواد في قضاء رام الله، التحقت عائلة مشعل بوالده في الكويت عام 1967م، التحق خالد بالدراسة في الكويت، انضم إلى الإخوان المسلمين عام 1971م، ثم درس الفيزياء في جامعة الكويت عام 1974م، كان خلال الدراسة من نشطاء العمل الإسلامي، بعد التخرج عمل مدرساً من عام 1978 حتى عام 1984م، شارك في تأسيس حركة حماس، عاد بعد حرب الخليج إلى الأردن، انتخب عام 1996م، رئيساً للمكتب السياسي لحركة حماس، تعرض في 25 / 9 / 1997م، لمحاولة اغتيال فاشلة على يد رجال الموساد الإسرائيلي في العاصمة الأردنية عمان. مشعل، خالد: حماس وتحرير فلسطين، 17 — 15؛ مشعل، خالد: مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 76، 2008م، ص 62 — 66.

⁵ — غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 223 .

تصنيف حماس كحركة إرهابية، وعلى ملاحقة أفرادها والأموال التي يمكن أن تتسرب إليها. لقد ساهم النظام الأردني مساهمة مباشرة في حصار أنصار حماس وعمل على ملاحقة الداعمين لها والتضييق عليهم، وشدد من الرقابة على حركة الأموال عبر المصارف الأردنية⁽¹⁾.

جاء ذلك رغم أنّ حماس وجهت مذكرةً إلى القمة، أكدت فيها أن العمليات الاستشهادية الأخيرة هي "دفاع عن النفس في مواجهة الاحتلال". وأبدت حماس استعدادها لقبول وساطة المؤتمرين في القمة " لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية". " وفتت مذكرة حماس إلى "تركيز العمليات على الأهداف العسكرية، واحترام إنسانية الطرف الآخر حتى في حال الاشتباك المسلح." ، وجاء في المذكرة أنّ حماس "تتبنى برنامجاً سياسياً وكفاحياً لإنهاء الاحتلال، وهي تعلن أنّها مع السلام القائم على الحق والعدل وإعادة الحقوق لأصحابها"⁽²⁾.

من جانبها اتهمت السلطة الفلسطينية حماس في الأردن بأنها تقف وراء العمليات الاستشهادية، لكنّ ممثل حماس في الأردن ردّ على ذلك الاتهام بالنفي، وأضاف بأن المسؤولين الأردنيين يعرفون حقيقة وضع الحركة على الساحة الأردنية، وأن كل التقارير الاستخبارية والإعلامية تهدف إلى تصدير الأزمة إلى الخارج؛ بالقول إنّ حماس توجه العمليات من عمان أو دمشق أو غيرها، وهذه العمليات تتمّ في الداخل إشرافاً وتخطيطاً وتنفيذاً، واعتبر نزال أنّ أيّ حديث غير ذلك هو من باب الافتراء والإشاعات الهادفة إلى التشويش على حماس في الخارج، وخاصة في الأردن⁽³⁾.

¹ — قاسم، عبد الستار: حماس والأردن، مجلة السياسية الدولية، ع 170، 2007م، ص 136؛ قريع، أحمد: الرواية الفلسطينية الكاملة للمفاوضات، 145.

² — وثائق حماس: مذكرة حماس إلى قمة شرم الشيخ، <http://www.palestine-info.info>

³ — نزال، محمد: تصريح صحفي، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 26، 1996م، ص 215.

ومرة أخرى يتدخل التأثير الإخواني الممزوج بالتأثير القبلي ليصّب في مصلحة حماس، فقد طالب الإخوان من الملك حسين التوسّط عند الولايات المتحدة للإفراج عن الدكتور موسى أبو مرزوق، وفي أيار عام 1997م، تم الإفراج عنه بوساطة شخصية من الملك حسين وفقاً لرواية النائب الإخواني بسام العموش، وعاد موسى أبو مرزوق إلى الأردن على متن طائرة عسكرية أردنية خاصة، واستقبله الملك مع أسرته في القصر بعد ذلك، وسمح له بالإقامة في الأردن مع عائلته، وعاد كذلك إلى عمله التنظيمي داخل حماس كنائب لرئيس المكتب السياسي⁽¹⁾، وموقف الملك حسين هنا، وإن كان يحمل دلالات إنسانية إلا أنه موقف سياسي وطّد العلاقة وأعطاهما أبعاداً متداخلة، بل إنّ علاقة خاصة أو قناة متميزة كانت مفتوحة للدكتور أبو مرزوق الذي يتميز بقدرة سياسية كبيرة وخبرة عميقة ودبلوماسية وأفق سياسي⁽²⁾، كما يظهر هذا الموقف مدى قدرة الملك على المواءمة بين الضغوطات الخارجية، والضغوطات الداخلية (الشعبية)، وذلك على الرغم من كل ما قيل عن عملية الإفراج، من أنها إنقاذ لماء الوجه الأمريكي، خاصة بعد توقّف إسرائيل عن المطالبة بموسى أبو مرزوق، خوفاً من تصاعد حدة الانتفاضة الفلسطينية في الأرض المحتلة، وكذلك لأنّ تهمة الإرهاب لم تثبت عليه، ولا يمكن الاستمرار في اعتقاله في السجون الأمريكية، وأنّ الإفراج جاء في إطار صفقة يتخلّى فيها أبو مرزوق عن جنسيته الأمريكية، ومغادرة البلاد، فكان الترحيل إلى الأردن هو الحلّ المناسب، ومن هنا فإنّ الإفراج عن أبو مرزوق ظهر كأنجاز سياسي يسجل لصالح الملك أولاً والأردن ثانياً.

ينقل بول ماكفوف في كتابه "اقتل خالد" رأي مسؤولين أردنيين وشخصيات من حركة حماس بأنّ صانع القرار في عمان، كان هدفه من وراء سعيه لإطلاق سراح موسى أبو مرزوق

¹ - أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 31.

² - المعاينة، سميح: الدولة والإخوان، 19.

إعادته لقيادة المكتب السياسي لحركة حماس، بدلاً من خالد مشعل، لأن الأخير لم تكن مواقفه المتشددة تروق لصانع القرار الأردني، ولا لمشروعه في استخدام ورقة حماس في مساعي التسوية السلمية وفي العلاقة مع أبي عمار (1).

ورغم هذا الانفراج والتقارب إلا أنّ موجة الملاحقة الأمنية استمرت، خاصة مع تزايد العمليات الاستشهادية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فاشتدت الضغوط على حماس محلياً وإقليمياً ودولياً تماشياً مع ما اتفق عليه المجتمعون في شرم الشيخ في "قمة صانعي السلام". توافق كل ذلك مع التغييرات الداخلية في الأردن، والتي شملت الحكومة، برئاسة عبد الكريم الكباريتي، وإدارة المخابرات التي عُيّن على رأسها سميح البطيخي، فزاد التوتر بين حماس والأردن، واستمرت الاعتقالات في صفوف حماس وبعض العاملين معها من الإخوان (2). واستمرّ التضيق على حماس حيث اعتُقل إبراهيم غوشة الناطق الرسمي في عام 1997م بعد تصريح له حتّ فيه كتائب القسام في فلسطين على الاستمرار في المقاومة، مخالفاً بذلك قرار الحكومة بمنع الحركة من إطلاق التصريحات المؤيدة للمقاومة من عمان (3).

كان الملك حسين الذي وقّع معاهدة السلام مع الإسرائيليين يدرك تماماً بأنّ رئيس المكتب السياسي هو المسؤول الأول في الحركة الذي يصدر الأوامر للجناح العسكري، وعندما هزت تفجيرات عام 1996م المدن الإسرائيلية، أدرك الإسرائيليون أنّ الملك يعتبر حماس حليفاً لا عدواً، وقد تيقن الإسرائيليون أن الملك كان مخادعاً في تعامله مع حماس، وأنّه لم يتعاون معهم في ضرب هذه الحركة بالشكل المطلوب (4).

□ 237 - McGeough, Paul: Kill Khalid, p.

² - غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 236؛ أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 31.

³ - غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 236 - 238.

⁴ - أبو هلاله، ياسر: الإخوان وحماس، <http://www.alghad.com>

محاولة اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل عام 1997م

كان الملك حسين – وهو العارف بدهاليز السياسة في الشرق الأوسط – يعرف الإخوان جيداً، وأنهم كانوا صمام الأمان في الأزمات التي عصفت بعرشه، وأوقات الشدة التي مرت على دولته، ويعرف أن حماس وليدتهم، وأنها عارضت فك الارتباط، وهي التي جمعت وهربت السلاح للأردن، وهو على يقين بجهة ذلك السلاح المتوجه إليها، وهي التي عارضت مؤتمر مدريد للسلام، ومعه عارضت أوسلو وإفرازاتها، وهي التي عارضت كذلك المعاهدة الأردنية مع إسرائيل، رغم ذلك كله أبقى على وجودها في الأردن حتى آخر يوم في حياته، وأصدر عفواً ملكياً عن المتهمين بتهديب السلاح، فهو لم يثق بالإسرائيليين بالمطلق رغم توقيع المعاهدة معهم، وراوغ كثيراً أمام الضغوط الدولية والإسرائيلية والفلسطينية للتضييق على حماس حتى إنهائها، ولم يقطع خيوطه مع جميع أطراف اللعبة في المنطقة التي تعيش أزمات متوالية سببها الأول والأخير إسرائيل، فهي التي انتهكت حرمة التراب الأردني، ولم تحترم سيادة الدولة وفي قلب عاصمته عمان نفذت المحاولة الفاشلة لاغتيال مشعل.

لقد أراد نتتياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي أن يوجّه إلى حركة حماس ضربة قوية⁽¹⁾ يرد بها على سلسلة العمليات الاستشهادية التي كانت تهز شوارع المدن الإسرائيلية آنذاك، وعجزت قوى الأمن الإسرائيلي عن مواجهتها⁽²⁾.

في صباح الخامس والعشرين من شهر أيلول 1997م، خرج خالد مشعل من بيته في عمان

¹ – رغم إعلان عدد من قادة جهاز الموساد ورؤساء الأقسام فيه معارضتهم تنفيذ عملية اغتيال خالد مشعل نظراً لعدم الاقتناع بجذواها، والضرر الهائل المترتب عليها، حيث ستظهر إسرائيل كدولة تمارس الإرهاب فوق أراضي دولة تربطها بها معاهدة سلام، غير أن نتتياهو أصر على الاستمرار في مخطط تصفية قادة حماس. مركز دراسات الشرق الأوسط: التقرير، 36 – 37.

² – جريدة الأيام، ع 630، 1 / 10 / 2007، ص1؛ الحروب، خالد: الملك حسين ومحاولة اغتيال مشعل، جريدة الأيام، ع، 4784، 2009/5/11م، ص22.

وذهب إلى مكتبه، برفقة حارس أو اثنين، وكانت حماس تعتقد أن الأردن – وبحكم استقراره الأمني والسياسي – لا تحصل فيه اغتيالات، فكان التركيز على الحماية محدوداً، وفي الطريق لاحظ السائق أن سيارة تراقبهم وتلاحقهم من البيت إلى مسافة نصف كيلو متر عن مركز العمل، وهي سيارة سياحية، ولم يخبر السائق مشعل بما لاحظته خشية إزعاجه، وقبل الوصول إلى المكتب سبقتهم السيارة وتجاوزتهم وعندما وصلوا إلى مدخل البناية، توقفت سيارة أمام الرصيف، حينها لاحظ مشعل أن أمام المحال التجارية شخصان ملامحهم أجنبية، يبعدان عن سيارة مشعل مسافة مترين.

ويقول خالد مشعل (1): " ارتبت في أمرهم، كانا يرتديان نظارات سوداء، ويبدو عليهما هاجس انتظار فريسة، وترددت في النزول من السيارة وتحدثت مع سائقي، بأن شكلهما غير طبيعي".

ويضيف قائلاً: " إنني عادةً ما أنزل من مقعدي في جوار السائق وأسير، ومن باب الحيطة استدرت من خلف السيارة وتحاشيت الرجلين، ولما وصلت إلى مدخل البناية هاجمني من ارتبت في أمرهما؛ حيث أشهر أحدهم جهازاً بحجم مسدس، علمت في وقت لاحق أنه يضخ مادة كيميائية سامة بطريقة مبتكرة"، ويضيف خالد مشعل " تم تشغيل الجهاز إلى يسار رأسي وأذني، اهتزّ جسمي وتيقنت أنني تعرّضت لمحاولة اغتيال، وفوجئت لأنّ الاغتيال يتم عادةً بالرصاص وكان مستخدم الجهاز يلف يده بالشاش ليحمي نفسه من الأذى الذي قد يلحقه السم به" (2).

إلا أنّ سرعة ويقظة – مرافق مشعل – حالت دون فرارهما، وبعد استدعاء الشرطة

¹ – المؤسسة الإسلامية العالمية للدراسات: خالد مشعل، 9؛ جريدة الأيام، ع 635، 2007/10/5، ص1، 18.

² – مشعل، خالد: حركة حماس وتحرير فلسطين، 18 – 19؛ المؤسسة الإسلامية العالمية للدراسات، خالد مشعل، 9 – 11؛ الوثائق

الإسرائيلية، تقرير لجنة تشحونوفر الإسرائيلية حول اغتيال مشعل، <http://www.palestine-info.info>

لستيفن بنن المكلف بشؤون السفارة الكندية في عمان، رفض الأجنبيان اللذان ادّعا في البداية أنهما كنديان اقتراحه تنظيم لقاء لهما مع محام، كما رفضا عرضه بأن ينقل لأفراد عائلتيهما في كندا معلومات عن سلامتهم، في تلك اللحظة فوجئ رجال الشرطة الأردنية بهذا الرد، وأبلغوا جهاز المخابرات (1).

الفريق سميح البطيحي، مدير المخابرات الأردنية في حينه، لم يكن راضياً عن وجود قيادة حماس في الأردن، وهو الوجود الذي ورثه عن سلفه الفريق مصطفى القيسي، فقد ارتأى عدم الإعلان عن وقوع المحاولة، ونفذ هذه الرغبة وزير الإعلام سمير مطاوع الذي روج في البداية بأن ما جرى ليس اعتداء على خالد مشعل، وإنما مجرد شجار عادي بين سائحين كنديين ومرافقي خالد مشعل، كان ذلك بايعاز من مدير المخابرات سميح البطيحي. (2) وفي اليوم التالي تم كشف النقاب عن هوية المعتدين على أنهما يحملان جوازات سفر كندية، واتضح للمحققين الأردنيين أنهما عميلان للموساد الإسرائيلي (3).

شعر الملك أن إسرائيل خانت ثقته، ووضعت في موقف لا يُحسد عليه فقد حاول عملاء الموساد اغتيال مواطن أردني هو مسؤول حركة حماس في الأردن في قلب العاصمة عمان، وهنا طرح إفرام هالفي رئيس جهاز الموساد السابق على الحكومة الإسرائيلية إطلاق سراح مؤسس حماس الشيخ أحمد ياسين، ووافق رئيس الحكومة نتنياهو على الاقتراح بعد تردد.

نقل هالفي الاقتراح إلى الأردن، ولكن الملك طالب بتطمينات، حينها وردت معلومات إلى

¹ — مشعل، خالد: حركة حماس وتحرير فلسطين، 18 — 19؛ المؤسسة الإسلامية العالمية للدراسات: خالد مشعل، 21 — 23؛ مركز دراسات الشرق الأوسط، التقرير، 64، 79 — 81.

² — غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 241؛ جريدة الأيام، ع 635، 2007/10/5، ص1؛ الجوهري، شاكراً: العلاقات الأردنية — الحمساوية، ص3، [http:// blogs static maktoob com](http://blogs.static.maktoob.com).

³ — مشعل، خالد: حركة حماس وتحرير فلسطين، 18 — 19؛ المؤسسة الإسلامية العالمية للدراسات: خالد مشعل، 36.

الإسرائيليون أن الملك سيعقد مؤتمراً صحفياً دولياً كبيراً للكشف عن العملية الإسرائيلية الفاشلة، والإعلان عن تعليق العمل بمعاهدة السلام الإسرائيلية الأردنية، وسيطلب من موظفي السفارة الإسرائيلية في عمان مغادرة البلاد في أسرع وقت، وتسليم ضباط الموساد الأربعة الذين اختبأوا في السفارة الإسرائيلية في عمان إلى الأجهزة الأمنية الأردنية وفي حال رفض طلبه، فإن قوات الأمن الأردنية مستعدة لمداومة السفارة واعتقال ضباط الموساد الأربعة الذين لجأوا إلى السفارة⁽¹⁾.

يقول بول ماكفوف⁽²⁾: إن الملك الغاضب رفض أن يرد على مكالمة نتتياهو الاعتذارية، وقرّر اللجوء إلى الرئيس الأمريكي ووضع القضية بين يديه، وهدّد بأنه إذا مات خالد مشعل جراء هذه المحاولة فسوف تموت معه معاهدة السلام التي وقّعها الأردن مع إسرائيل، واستدعى طبيباً أمريكياً مؤتمناً إلى الأردن، حيث طالب الأخير المزيد من المعلومات قبل تطمين الملك بأن كل شيء يسير على ما يرام.

أثارت هذه الحادثة استقزاز وغضب الملك حسين، وتعامل الملك بحزم مع الإسرائيليين، وتوصل الطرفان إلى اتفاق نص في بنده الأول على إنقاذ حياة خالد مشعل عبر تقديم إسرائيل الدواء، ثم كانت صفقة الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين وآخرين مقابل تسليم عميلي الموساد⁽³⁾. شعر الملك بالإهانة لأنه كان قد استدعى "داني ياتوم" قبل أسبوع من محاولة الاغتيال الفاشلة وسلّمه رسالة إلى نتتياهو تتضمن موقفاً من حماس يقبل بهدنة طويلة الأمد مدتها 30 سنة⁽⁴⁾، وكان الملك حسين يرى فيها تطوراً كبيراً في موقف حماس وفرصة أوسع للسلام⁽⁵⁾.

¹ - هالفي، إفرام: رجل في الظلال، 191 - 203؛ حنتر، ناهض: حماس والأردن الحاجة والدور المتبادلين، حماس والحركة الإسلامية، 50.

² - McGeough, Paul: Kill Khalid, p. 146.

³ - المعاينة، سميح: الدولة والإخوان، 20؛ بيرري، يعقوب: مهنتي كرجل مخابرات، 237؛ McGeough, Paul: Kill Khalid, p. 199 - 198.

إنّ فشل محاولة الاغتيال، وإلقاء الأردن القبض على الفاعلين قد تحوّل إلى أزمة حادة في العلاقات بين الأردن وإسرائيل، لما شكّله من انتهاك للأمن الأردني، فضلاً عن مخالفته لبنود المعاهدة الأردنية – الإسرائيلية، وهذا ما عزّز القناعة بأن الإسرائيليين أساؤوا استغلال حرية حركة التنقل التي أتاحتها لهم اتفاقية وادي عربة⁽³⁾.

وقد قال الملك حسين في محافظة الزرقاء: " نحن في هذا البلد اخترنا طريق السلام وبنادي فيه لمصلحة الجميع"، وأكد الملك على الثوابت "وهي أنّ الأردن لا يقبل أن يكون مركزاً للتآمر على أي كان أو إلحاق الأذى بأي كان"، وأكد " أنّ الإنسان الأردني له قيمة كبيرة جدا وسلامته من مسؤوليات الحسين الشخصية"، وأضاف "هذا شأنه بالنسبة لخالد مشعل، وهو مواطن من أبناء هذا البلد. وبالنسبة للحادثة بحد ذاتها ولو أنه لم يثبت لا من قريب ولا من بعيد وجود أداة أو وسيلة بحصول الأذى الذي وقع لابننا (خالد) وكان لنا موقف أدّى إلى الكشف عما فيه، وأدّى بالتالي إلى تأمين العلاج المناسب"، ودعا الملك في كلمته رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى إطلاق الأسرى والأسيرات وخاصة الشيخ أحمد ياسين⁽⁴⁾.

¹ – يذهب الصحفي الأردني شاكِر الجوهري إلى القول أن الرسالة تضمنت قبول حماس بالانخراط في عملية التسوية السلمية (الجوهري، شاكِر: العلاقات الأردنية الحمساوية، <http://blogs.static.maktoob.com>، وهذا الطرح بعيد عن الصواب، ويميل الباحث إلى رأي ماكفوف، أن حماس طرحت مبدأ الهدنة وهو الشائع في أدبيات حماس والأقرب إلى التصديق والقبول. 198 . McGeough, Paul: Kill Khalid, p . 199 –

² – McGeough, Paul: Kill Khalid, p .146

³ – مشعل، خالد: حركة حماس وتحرير فلسطين، 18 – 19؛ المؤسسة الإسلامية العالمية للدراسات: خالد مشعل، 32.

⁴ – وثائق أردنية: خطاب الملك حسين بن طلال في محافظة الزرقاء، <http://www.alrai.com>.

وبشكل سريع تجاوب نتتياهو لنداء الملك، حيث حطت طائرة مروحية أردنية في ساحة المدينة الطبية بعمان، وعلى متنها الشيخ أحمد ياسين ومرافقه رائد البلبول⁽¹⁾ يوم الأربعاء الموافق 1 / 10 / 1997م، وكان العاهل الأردني الملك حسين والدكتور عبد السلام المجالي (رئيس الوزراء) ومستشار الملك و مدير مدينة الحسين الطبية في مقدمة مستقبلي مؤسس حركة (حماس). وقد قوبل هذا التجاوب، بارتياح وتقدير من قبل الأردن⁽²⁾.

كان موقف السلطة الفلسطينية حرجاً، فقد كانت تتمنى أن تخرج حماس من خلال قيام إسرائيل بتحرير الشيخ ياسين، كبادرة حسن نية اتجاه الفلسطينيين، لتمتع حماس عن مواصلة نهجها المسلح⁽³⁾.

من ناحية أخرى اعتبر البعض⁽⁴⁾ مواقف الملك حسين في هذه القضية خطوة تكتيكية، يتم إبرازها بتغطية إعلامية واسعة كمناسبة للتعبير عن حرص النظام على أهل فلسطين وعلى الالتزام بمتطلبات العلاقات الصادقة مع الأشقاء الفلسطينيين.

ما كان للملك حسين إلا أن يكون بتلك الحدة والصرامة في مثل هذه القضية، خاصة وأن العملية قد شكّلت اختراقاً للأمن الأردني في قلب عاصمته، وانتهاكاً لسيادة الدولة، وزعزعةً لهيبة الدولة الأردنية والنظام أمام شعبهم.

¹ — رائد فيصل البلبول: من مواليد وسكان بلدة الخضر في محافظة بيت لحم، من مواليد عام 1972م، اعتقل في الفترة بين 9/22 / 1992 — 1997/9/30م، عمل مرافقاً للشيخ أحمد ياسين في السجن لمدة ستة شهور، أفرج عنه مع الشيخ أحمد ياسين في إطار الصفقة التي أبرمت بين الملك حسين والحكومة الإسرائيلية، أثار محاولة الاغتيال الفاشلة التي نفذها جهاز الموساد الإسرائيلي ضد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في 1997/9/25م في العاصمة الأردنية عمان. البلبول، رائد: الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، 2010/7/12م، مقابلة شخصية.

² — البلبول، رائد: الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، 2010/7/12م، مقابلة شخصية؛ مركز دراسات الشرق الأوسط، التقرير، 70.

³ — سمور، سري: وجود فرع لتنظيم القاعدة في فلسطين، 26.

⁴ — قاسم، عبد الستار: حماس والأردن، مجلة السياسية الدولية، ع 170، 2007م، ص 136.

ويرى وزير الأسرى السابق في الحكومة الفلسطينية العاشرة(1) " أن نشاط الموساد على الأراضي الأردنية قد عرض الأمن القومي الأردني للخطر الأمر الذي أحدث استياء في الشارع الأردني تمَّ أخذه بعين الاعتبار في سياسة الأردن مع حماس".

وفي تحليل العلاقة بين حماس والأردن يقول الكاتب الأردني ناهض حتر(2): "بالنسبة لخالد مشعل ورفاقه رأيت دائماً، أنهم سيظلون مدينين ومقيدين بالتجربة الأردنية، فهؤلاء أو معظمهم أردنيون بأكثر من معنى، وقد تبلورت مواقعهم القيادية والسياسية في عمان وبرعاية الراحل الملك حسين، وفي أحضان الشعب الأردني، وعرفوا الناس والشخصيات والعشائر، من دون عقد أو مشكلات سابقة أو حسابات، هؤلاء ترعرعوا في صفوف الإخوان المسلمين. وهو وعاء تنظيمي أردني – فلسطيني مشترك في حزب أردني، بل الحزب الرئيس في الدولة الأردنية"، ويضيف حتر " لم يحدث بين حماس وبين الدولة الأردنية ما حدث بين الأخيرة وفتح من صدام أو دم أو منازعات، فكان لقاء قادتها الشباب مع الأردن صافياً من إرث الشكوك.

ويتطرق حتر إلى فضل الملك حسين في إنقاذ حياة مشعل من الموت، وإطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين عام 1997م، ويقول: " سوف يظل خالد مشعل، يتذكر هذه اللحظة، ويشعر في داخله، بأنه مدين بحياته للأردن" (3).

يعتقد رئيس جهاز الموساد افرام هالفي أن قضية مشعل أثبتت مدى الهشاشة التي يمكن أن تصل إليها مواقف القادة السياسيين والشخصيات التاريخية، ففي إحدى اللحظات يكونون في القمة وما هي إلا لحظات ويصبح مستقبلهم السياسي في مهب الريح(4).

¹ – كيبا، وصفي: علاقة حماس مع الأردن، 30 /6/2010م، مقابلة شخصية.

² – حتر، ناهض: ماذا قال خالد مشعل عن موقف حماس من الأردن، <http://www.arabrenewal.org>

³ – حتر، ناهض: ماذا قال خالد مشعل عن موقف حماس من الأردن، <http://www.arabrenewal.org>

⁴ – هالفي، إفرام: رجل في الظلال، 191 – 203 .

وقد حملَ تقرير لجنة تشحونفر⁽¹⁾ الإسرائيلية المكلفة بدراسة أسباب فشل محاولة اغتيال مشعل، حملَ جميع الرتب التي شاركت في الموافقة على خطة العملية المسؤولة عن فشلها، وأضاف التقرير أن رئيس الموساد " دان ياتوم " ارتكب خطأ في معالجته لعملية التنفيذ، فلا يجوز لعملية كهذه أن تتم دون اتخاذ الوسائل والإجراءات المناسبة لحادثة اغتيال تُنفذ بطريقة مغايرة، أي أن تتحول العملية الهادئة إلى عملية صاخبة⁽²⁾.

وأما ليلة الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين فيرويهها رائد البلبول⁽³⁾ قائلاً: " تحرك موكب كبير، وعندما وصلنا إلى مكان يربح أنه مطار عسكري، وجدنا طائرة تحمل العلم الأردني جاثمة في وضع استعداد للطيران، وكان في استقبال الشيخ وفد أردني رفيع المستوى، إضافة إلى الطاقم الطبي المرافق، لكن الشيخ أحمد ياسين رفض ركوب الطائرة إلا بعد الحصول على وثيقة " حق العودة إلى غزة "، وفي المطار الصغير الخاص بمستشفى المدينة الطيبة في الأردن حطت الطائرة، وكان في استقباله الملك حسين ورئيس الوزراء عبد السلام المجالي وعدد من المسؤولين الأردنيين، وأكد الملك للشيخ " أنه في الأردن للضيافة والعلاج فقط، وله حق العودة إلى غزة متى يشاء "⁽⁴⁾.

ويؤكد البلبول أن خالد مشعل كان رغم حالته الصحية ثاني زوار الشيخ بعد الملك، وكان اللقاء ودياً للغاية وتبادلا التهاني بالشفاء والإفراج عن الشيخ، وأضاف البلبول أن الدكتور موسى

¹ - لجنة تشحونفر: هي لجنة توضيح أحداث الأردن التي وقعت في أيلول عام 1997، برئاسة القاضي يوسف تشحونفر وعضوية

الجنرال احتياط رافي بيلد والعميد دان طولكوفسكي، وقد شكلت بناءً على قرار الحكومة الإسرائيلية رقم 2765 بتاريخ 1997/10/9.

(الوثائق الإسرائيلية: تقرير لجنة تشحونفر، <http://www.palestineinfo.info>).

² - الوثائق الإسرائيلية: تقرير لجنة تشحونفر الإسرائيلية حول اغتيال مشعل، ترجمة المركز الفلسطيني للإعلام،

<http://www.palestineinfo.info>

³ - البلبول، راند: الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، 2010/7/12م، مقابلة شخصية.

⁴ - نفسه.

أبو مرزوق هاتف الملك، فطمأنه الأخير على صحة الشيخ وأن المسألة ليست إيعاد، وله حق العودة ووصف البلبول الاستقبال الشعبي والحزبي الذي حظي به الشيخ من كافة الأحزاب والقوى الأردنية على اختلاف مشاربها بأنه استقبال حافل وكبير.

وعقد الشيخ أحمد ياسين لاحقاً مؤتمراً صحفياً، أعرب خلاله عن شكره العميق للملك حسين وللحكومة والشعب الأردني على حسن الاستقبال والضيافة الكريمة التي حظي بها خلال وجوده في الأردن، كما ثمنَ عالياً مواقف الملك حسين من القضية الفلسطينية، وشكره على جهوده في سرعة العلاج لخالد مشعل، والإفراج عنه شخصياً. وبعد سبعة أيام قضاها الشيخ في الأردن، قرر العودة إلى فلسطين (1).

إن محاولة اغتيال خالد مشعل، والإفراج عن الشيخ أحمد ياسين أعطت مكانة إضافية لحركة حماس، وعززت مكانتها الإقليمية، والأهم أنها أضافت أبعاداً جديدة للعلاقة بين الطرفين، خاصةً مع التدخل الحاسم للملك حسين آنذاك (2)، لكن هذه العلاقة السياسية لم تمنع وجود قناعات سياسية وأمنية لدى بعض قوى صناعة القرار بأنّ وجود حماس في الأردن أصبح عبئاً أمنياً وسياسياً، لكن هذه القناعات لم تكن قوية إلى درجة مقاومة الموقف السياسي الذي تتبناه مؤسسة الحكم " الملك " (3).

¹ - البلبول، راند: الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، 2010/7/12م، مقابلة شخصية.

² - 206 - 207. Paul: Kill Khalid, McGeough,

³ - المعاينة، سميح: الدولة والإخوان، 20.

اتفاق واي ريفر: في عام 1998م، وُقِّعت اتفاقية واي ريفر⁽¹⁾ بين الفلسطينيين والإسرائيليين، بواسطة الملك حسين الذي تدخل بكل ثقله من أجل إتمام توقيع هذه الاتفاقية⁽²⁾، لكنَّ حماس من جهتها أبدت معارضتها الشديدة لهذه الاتفاقية، لاعتقادها بأنها ستؤدي إلى صراع بين أبناء الشعب الفلسطيني، فأزعج هذا الموقف السلطات الأردنية، وكذلك الملك حسين، وخصوصاً بعد تصريح الشيخ أحمد ياسين الذي وصف فيه الاتفاقية بالخيانة، وأنها ستعمل على تقسيم الشعب الفلسطيني، محذراً من أن أي إجراء سيتخذ ضد حركته لن يؤثر عليها وعلى جناحها المسلح إلا بشكل مؤقت. هذا الموقف من حماس زاد من سوء العلاقات التي كانت سيئة أصلاً مع النظام الأردني، الذي كان يتعرض لضغوطات من منظمة التحرير الفلسطينية لاتخاذ إجراءات ضد قادة حماس في عمان، والذين اعتبرتهم المنظمة العقبة الرئيسية أمام احتواء المنظمة لحماس في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وفي نيسان 1998م وبينما كان الشيخ أحمد ياسين يقوم بجولة عربية وإسلامية، تلقى الملك حسين شكوى رسمية من ياسر عرفات حول اتهام قادة حماس في الأردن للسلطة الفلسطينية باغتيال محيي الدين الشريف⁽³⁾، بدوره قام الملك حسين بإرسال رسالة إلى رئيس وزرائه عبد

¹ - اتفاق واي ريفر: وقع الاتفاق في 23 / 10 / 1998م، وذلك بعد أن استعانت الإدارة الأمريكية به أثناء وجوده للعلاج من مرض السرطان في مايو كليك في الولايات المتحدة ، وذلك لما للعاهل الأردني من رصيد واحترام لدى الجانبين المتفاوضين، حيث حضر الملك حسين، لمرتين، أعمال قمة واي ريفر، وكان حضوره إيجابياً بالنسبة إلى الأطراف الثلاثة. وقد اتخذ اتفاق واي ريفر شكلاً أمنياً أكثر حزماً وتشدداً، إذ كان شرط تنفيذه، أن تصعد السلطة الفلسطينية من جهودها ضد ما سُمي (الإرهاب) أي المعارضة الفلسطينية، وأن يصادر أسلحتها بناءً على خطة أمنية مجدولة تحت إشراف المخابرات الأمريكية، وان يُزال كل ما يعادي إسرائيل في الميثاق الوطني الفلسطيني. المعشر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 90 - 91؛ قريع، أحمد: الرواية الفلسطينية الكاملة للمفاوضات، 106 - 107؛ صالح، محسن: دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، 480.

² - نهج الاعتدال العربي، 90 - 91.

³ - Tamimi, Azzam: **HAMAS** unwritten chapters, p122- 119

السلام المجالي أعرب فيها عن استيائه من وسائل الإعلام المحلية التي لا تتحلّى بالمسؤولية من خلال ضرب علاقات المملكة مع السلطة الفلسطينية، والتزاماً بتوجيهات الملك نشرت وسائل الإعلام خبراً يؤكد على العلاقة الوطيدة بين النظام والسلطة الفلسطينية، وأكدت على أن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني (1).

وفي العام نفسه ازدادت الأجواء توتراً بين الأردن وحركة حماس، فجرى التضييق على رئيس المكتب السياسي خالد مشعل، حيث منع من السفر لسوريا وأعيد من نقطة الحدود الأردنية السورية، ثم جرى استدعاء إبراهيم غوشة الناطق الرسمي باسم حماس إلى دائرة المخابرات الأردنية، وبعد استجوابه حول تصريحات له بخصوص اتفاقية واي ريفر، منعه السلطات الأردنية من إصدار أي تصريح حول نشاطات حماس العسكرية في فلسطين، جاء ذلك في إطار المتابعة الأمنية لنشطاء حماس، واستمرارية منعهم من الإدلاء بالتصريحات باسم حماس في الأردن (2).

في حقبة الملك حسين صمدت العلاقة الأردنية مع حركة حماس خلال عشر سنوات في وجه رياح عاتية، أهمها ما كان يعقب العمليات العسكرية والتفجيرات التي قادت إلى انعقاد قمة شرم الشيخ عام 1996م. أما الأسباب التي مكنت تلك العلاقة من تجاوز الصعوبات السياسية المعقدة، فهي أسباب تترايط وتتداخل فيها أوضاع الفلسطينيين في الأردن، ودور الأردن التاريخي في الضفة الغربية والقدس، وقوة الحركة الإسلامية الأردنية، والانتقاء الثنائي في مربع واحد إزاء العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية ثم السلطة الفلسطينية، والرغبة الأردنية الدائمة بعدم دفع حماس نحو مربع التطرف أو اتخاذ سوريا مقراً لها.

¹ – المجالي، عبد السلام: رحلة العمر، 306.

² – غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 255 – 256؛

وكانت مشاعر التعاطف الشعبية يتم تقنينها باتجاه الفصل بين تأييد حماس في معركتها ضد إسرائيل، وبين تطور السلام على الجبهة الأردنية – الإسرائيلية، وبشكل من الأشكال خدم وجود حماس في الساحة الأردنية إيجاد هذا الفصل، إضافة إلى انضباط سلوك حماس السياسي بقاعدتين من وجهة نظر الأردن، الأولى: عدم الاشتغال بالعمل العسكري في الساحة الأردنية والثانية: الامتناع عن تشكيل تنظيم تابع لحماس داخل الأردن (1).

في أوائل شباط 1999م توفي الملك حسين، فشكل رحيله نهاية تلك الحقبة الذهبية لحركة حماس في الأردن، فقد اختلت المعادلة التي تحكم العلاقة بين حماس وبين النظام الأردني (2). وكانت حماس قد نعت الملك حسين على لسان الشيخ أحمد ياسين، حيث قال: إن رحيله مثّل خسارة كبيرة للعالم العربي، وقال إنه شخصياً يشعر بالحزن، وكذلك أعضاء حماس نظراً للعلاقة الخاصة بين الأردن والشعب الفلسطيني، وأعرب عن ثقته أن الأردن قادر على البقاء متماسكاً ومستقراً على الرغم من رحيل الملك حسين (3).

من جانبه قال خالد مشعل (4) رئيس المكتب السياسي: " تلقيت وإخواني في حركة المقاومة الإسلامية " حماس " خبر وفاة جلالة الملك الحسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية رحمه الله، وإنني أتقدم من الملك عبد الله حفظه الله والأسرة الهاشمية الكريمة والشعب الأردني العزيز وأمتنا العربية والإسلامية بأحرّ التعازي والمواساة وأصدق مشاعر الحزن والألم على فقيد الوطن والأمة، وصاحب المكانة المرموقة عربياً وإسلامياً ودولياً". واستذكر مشعل مواقف الحسين الشجاعة، وإصراره على إحضار العلاج الشافي إبان محاولة اغتياله، ومواقفه من

¹ – دياب، أحمد: الصدام بين حماس والأردن، مجلة الأهرام، ع 139، 2000م، ص153.

² – غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 167.

³ – محمود، عبد المنعم: الملك حسين، 322.

⁴ – البصول، رزق: الإنسانية تبكي الحسين، 66، 68.

السعي للإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، وتمنى مشعل لقائد الأردن الشاب الملك عبد الله والشعب الأردني كل التوفيق والاستقرار، وأكد على أن الشعب الفلسطيني يقف إلى جانب القيادة والشعب الأردني في هذه الرحلة العصبية.

هذا وقد أصرّ خالد مشعل على المشاركة في الجنازة التي سار فيها أشخاص متباينون تماماً، فلو حظ مثلاً أنه شارك فيها الرئيس السوري حافظ الأسد والرئيس الإسرائيلي عزرا وايزمن، ورئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل ورئيس الحكومة الإسرائيلية نتنياهو، وعدد كبير من زعماء العالم وآخرون، ولم يسمح لأعضاء المكتب السياسي لحماس بالمشاركة فيها، لكنهم شاركوا بصعوبة في العزاء، حيث قدّم وفد حماس واجب العزاء، وتكون الوفد من خالد مشعل وموسى أبو مرزوق وإبراهيم غوشة ومحمد نزال، لكن المفارقة أنّ هذه المشاركة أُغفلت إعلامياً، وكان ذلك إيذاناً بنهاية العلاقة الودية إلى حدّ ما بين الطرفين (١).

وعلى الرغم من هذا الحزن والألم الشديد الممزوج بالإشادة بالملك الشاب الملك عبد الله الثاني، والحرص الأكيد على استقرار الأردن الذي أبدته حماس قياداً وقاعدة، إلا أن ذلك لم يشفع لها فيما بعد، حيث واجهت حماس أياماً عصبية بعد رحيل الحسين، تمثلت في إنهاء وجودها الرسمي على الساحة الأردنية منذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا.

وهكذا فإنّه يُنظر إلى التحالف بين الأردن وحماس في حقبة التسعينات، على أنه كان مصمماً لمواجهة الكيانية الفلسطينية الاستقلالية التي رفع لواءها الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، فكانت الحركة الإسلامية في فلسطين والأردن المؤمنة بارتباط الضفة الغربية بالأردن والرافضة لقرار فك الارتباط الإداري والقانوني مع الضفة الغربية عام 1988م، من أهم الأوراق التفاوضية في

¹ — غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 167؛ البصول، رزق: الإسمانية تبكي الحسين، 164.

يد الأردن. (1)

كان الملك حسين هو صانع القرار الأول، لأنه يقف على قمة الهرم السياسي، ولم يتخلَّ طوال حياته عن هذا الدور (2)، وما يؤيد ذلك أن طبيعة النظام السياسي الأردني ومؤسسة الحكم الأردنية لا تعطي للسلطة التنفيذية " الحكومة " القدرة لأن تضع لمساتها على السياسة الأردنية الداخلية والخارجية بشكل كبير، ويقتصر دورها في كثير، من جوانبه على تنفيذ السياسات، ويعود ذلك إلى أن السياسة الأردنية تتميز بالثبات إلى حد كبير وتسير وفق معادلة ساهم استقرار مؤسسة الحكم الأردنية في تحويلها إلى نهج، كما أن الخبرة الطويلة للعاهل الأردني جعلت منه صانع السياسة الأردنية داخلياً وخارجياً. (3)

وظل الملك طوال حياته يمسك بخيوط اللعبة السياسية جميعها معا وفي آن واحد، فهو الذي يوقع معاهدة السلام مع إسرائيل، وهو ذاته الذي قد أقام علاقات طيبة مع جماعة الإخوان المسلمين، وبقي يحفظ لهم جميل مساندتهم للنظام في أوقات الشدائد، وهو الذي سمح لحماس بالعمل في عاصمته عمان بل وفي الأردن كله رغم معارضتها لعملية السلام مع إسرائيل، بقيت تلك الخيوط في يده حتى آخر يوم في حياته، وهذا ما تميزت به حقبة الملك حسين بن طلال.

¹ — الصباغ، رنا: الأردن .. علاقة جديدة مع حماس والإخوان، <http://www.islamonline.net>.

² — الهزايمة، محمد: السياسة الخارجية الأردنية، 174.

³ — المعاينة، سميح: الحكومة الأردنية الجديدة، مجلة فلسطين المسلمة، ع7، 1993م، ص31.

الفصل الثالث

علاقة حماس بالأردن " حقبة الملك عبد الله الثاني "

2005 – 1999

الفصل الثالث

علاقة حماس بالأردن " حقبة الملك عبد الله الثاني "

1999 – 2005

سياسة الملك عبد الله الثاني اتجاه حركة حماس

مما لا شك أن سياسة التوازن التي تحلى بها الملك حسين لم تكن متوفرة لخليفته على العرش، فالملك عبد الله (الابن) كانت علاقته مع الإخوان متوترة منذ البداية، ولما أصبحت حماس على قائمة المنظمات الإرهابية، عمد الملك عبد الله الثاني إلى إخراج قيادة حماس السياسية من الأردن حتى لا يتحمل تبعات "عملياتها الجهادية" التي كانت تخرج الأردن وتوجه لها انتقادات كبيرة من الدول الغربية عامة ومن الولايات المتحدة بشكل خاص⁽¹⁾.

وقد بين الملك عبد الله الثاني سياسته اتجاه عملية السلام وذلك في خطاب العرش في 1999/11/1م، حيث قال: "... وسواصل الجهود من أجل دفع المسيرة السلمية وتمكينها من تحقيق التقدم المنشود على جميع المسارات، وسنستمر في دعم الأشقاء الفلسطينيين حتى يتمكنوا من استعادة حقوقهم، وإقامة دولتهم المستقلة على ترابهم الوطني، وعاصمتها القدس الشريف، لأننا نؤمن أن القضية الفلسطينية هي لب الصراع في المنطقة، ولن يتحقق السلام المنشود، دون تسوية هذه القضية بشكل عادل"⁽²⁾.

ويرى إبراهيم غوشه أنه بوفاة الملك حسين في شهر شباط 1999م، قد انتهت العلاقة الخاصة

بين حماس والنظام الأردني⁽³⁾.

¹ - يوسف، أحمد: علاقة حماس مع الأردن، 2019/9/1م، مقابلة شخصية.

² - الفاعوري، إبراهيم وآخرون: الهاشميون ملوك صنعوا التاريخ، 591؛ وثائق أردنية: الملك عبد الله الثاني، خطاب العرش عام

1999م، <http://www.parobserver.org>؛ منشورات دائرة المطبوعات والنشر: الوقائع والوثائق الأردنية، 209/40.

³ - غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 26.

فقد بدا الافتراق واضحاً بين الأردن بقيادة الملك الشاب الذي أصر على السير في نهج السلام من جهة، والاستمرار في دعم منظمة التحرير الفلسطينية في مطالبها بإقامة دولة فلسطينية من خلال عملية السلام مع الإسرائيليين، وبين حركة حماس المستمرة في نهج المقاومة ومعارضتها المبدئية لعملية السلام الجارية في الشرق الأوسط برمتها.

ومنذ توليه الحكم سعى الملك عبد الله الثاني إلى إنهاء مشروعات الارتباط نهائياً مع الضفة الغربية وقطع الجسور مع حماس خارج فلسطين، وربط مصالح بلاده مع الولايات المتحدة والدول الأوروبية عالمياً، ومع مصر والسعودية عربياً، وتلك أبرز ملامح السياسة الخارجية الأردنية في عهده⁽¹⁾.

وعلى إثر ذلك قامت الأجهزة الأمنية الأردنية بالهجوم على مكاتب حركة حماس في عمان، حيث عبثوا في أجهزة الحاسوب والملفات ووضعوا أوامر إغلاق على كل من مكاتب حماس الخمسة في عمان. كما تم اعتقال العشرات من أنصار حماس في تلك الحملة من ضمنهم (محمد أبو سيف) الحارس الشخصي لخالد مشعل الذي أنقذ حياة مشعل، أثناء محاولة الاغتيال⁽²⁾، جرى ذلك بعد مغادرة وفد قيادة حماس إلى طهران بناء على دعوة من القيادة الإيرانية، وكان من ضمن المعتقلين عضو المكتب السياسي سامي خاطر في حين اختفى كل من محمد نزال وعزت الرشق عن الأنظار، وأعلنت الحكومة الأردنية بأن حركة حماس تنظيماً محظوراً في الأردن، وصدرت مذكرات جلب بحق رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل ورفاقه⁽³⁾.

كانت هذه الخطوة بمثابة اختبار حقيقي للنظام الجديد بقيادة الملك الشاب لإثبات قدرته على

¹ _ الوثائق الأردنية: الوقائع والوثائق الأردنية، 136 / 18، 74 / 5؛ الدغمه، محمد: الأردن يحتفل بمرور 10 سنوات على تولي

الملك عبد الله مقاليد الحكم، جريدة الشرق الأوسط، ع11152، 10 / 6 / 2009م، ص4.

² _ McGeough, Paul: Kill Khalid, p. 266 – 247

³ _ شهاب، زكي: حماس من الداخل، 160؛ ذياب، أحمد: الصدام بين الأردن وحماس، مجلة الأهرام، ع139، 2000م، ص 15.

كبح جماح حركات المقاومة. وقد تبين للأمريكان أنّ الملك الشاب قادر على ذلك، والتي كان والده دبلوماسيته المعهودة يتملص منها. وفي تلك الفترة قامت وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أو لبرايت بزيارة الأردن لدعم الملك في خطواته ضد حركات المقاومة، وكان الهدف من هذه الإجراءات إبعاد قيادة حماس عن الأردن وتقليص دور الحركة في المملكة (1).

وبعد ثلاثة أسابيع، حشد الفرع الأردني لحركة الإخوان المسلمين أعضاء وحلفاءه في مختلف الأحزاب والاتحادات السياسية لشن حملة ضد قرار الحكومة الأردنية (2).

حيث رفضت تلك القوى، هذه الإجراءات، واعتبرتها استحقاقاً يجب ألا يدفعه الأردن لتصفية القضية الفلسطينية، وأكدت دعمها وتأييدها لحماس ولمقاومتها، ونفذت العديد من الفعاليات الشعبية والسياسية التضامنية للضغط على الحكومة (3) وأصدرت جماعة الإخوان المسلمين بياناً أعربت فيه عن أسفها لإغلاق الحكومة الأردنية مكاتب حركة المقاومة الإسلامية " حماس " في الأردن، واعتقال عدد من قياداتها، وإصدار مذكرات اعتقال لأربعة من قادة مكتبها السياسي. واعتبرت الجماعة هذه الإجراءات غير مسبوقه وغير مبررة لا سيما وأن حماس حريصة وملتزمة بمصالح الأردن وأمنه واستقراره. وجاء في البيان أن هذه الإجراءات تأتي في وقت شديد الحساسية بالنسبة للقضية الفلسطينية ومع الاعتقالات التي تشن ضد الحركة في الضفة الغربية وغزة، واعتبر الإخوان أن هذه الإجراءات تسيء - دون شك - إلى دور الأردن الذي أفسح المجال للحركة الإسلامية طوال تاريخه الحديث. وذكر البيان بدور الأردن حكومة وشعباً طوال عهد الملك حسين، وبما قدّمه الأردن من أجل القضية الفلسطينية. وفي نهاية البيان ناشد الإخوان المسلمون الملك عبد الله الثاني اتخاذ الإجراءات الكفيلة بوقف الحملة الأمنية ضد حماس

¹ - 247 - 266, Paul: Kill Khalid, McGeough

² - شهاب، زكي: حماس من الداخل، 160

³ - سليمان، أحمد: حماس في الساحة الأردنية، <http://www.islamonline.net>

وإعادة الأمور إلى أوضاعها السابقة⁽¹⁾، لكن هذه المناشدة لم تلقَ آذاناً صاغيةً، وسارت الأمور باتجاه التآزم بين الطرفين. والتزم قادة حماس الثلاثة بمن فيهم خالد مشعل بقرار الحظر، وقرروا السفر إلى دمشق من أجل التفكير بالوضع المستجد، وتفادي أية مواجهة مع السلطات الأردنية.

بهذا القرار، بلغت العلاقة بين حماس والأردن دركاً عميقاً، لكن مكتب الإرشاد حسم الأمر فقرر أن المصلحة تقتضي العودة إلى الأردن، وفعلاً عاد الوفد المكوّن من موسى أبو مرزوق وخالد مشعل وإبراهيم غوشه والمرافقين في 21 / 9 / 1999م إلى عمان، وتم اعتقالهم في المطار لحظة وصولهم أرض المطار على يد السلطات الأمنية الأردنية⁽²⁾. في تلك الفترة وقبل عودة الوفد إلى الأردن وفي مقابلة مع تلفزيون الجزيرة، أعلن مشعل أن الأردن وطنه وأنه سيعود للبيت، وخاطب الملك عبد الله الثاني قائلاً له: "إن حركة حماس هي حركة مقاومة، وهي كانت معروفة جيداً عند والدك الملك حسين، وهي لم تتغير، وهي نفسها الموجودة في الأردن اليوم". كما ذكره بأن الملك حسين هو من ساعد موسى أبو مرزوق على الخروج من الولايات المتحدة، وساعده شخصياً عندما حاول الموساد اغتياله. لقد بيّن مشعل الفروقات بين الأب والابن. حيث قال إن الملك حسين كان شخصاً حكيماً، ولكن للأسف في عهد عبد الله التوجه نحو حماس تغير⁽³⁾. ومن ناحية أخرى فقد حملت عودة قادة حماس إلى الأردن رسالة سياسية محددة، وهي أن حماس لن تتخلى عن الساحة الأردنية لعملها السياسي والإعلامي، واستمرت حركة حماس في الإصرار على رفض تبرير هذه الإجراءات مع الإشارات إلى استعدادها للحوار، وإعادة النظر باتفاق 1993م، على أسس مناسبة للطرفين، وقدمت حماس

¹ - الوثائق الأردنية: بيان بشأن إغلاق مكاتب حماس في الأردن، 2 / 9 / 1999م. <http://www.palestin-info.infor>

² - غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 267 - 269.

³ - 250. Paul: Kill Khalid, McGeough.

تصوراً أولياً كحد أدنى ترضى به مرحلياً، تضمّن إلغاء الإجراءات الأردنية ضدها في مقابل القبول بتقليص عدد قيادي حماس المقيمين في الأردن، وتقليص عدد المكاتب إلى مكتب واحد رسمي فقط ، ونقل مقر الناطق الرسمي باسم الحركة إلى خارج الأردن، وتخفيف الحضور الإعلامي في الساحة الأردنية، مع حفظ حرية الحركة من وإلى الأردن لأعضاء المكتب السياسي للحركة، ووقف أي ملاحقة أو مسألة للعاملين أو المتعاطفين مع الحركة، إضافة للالتزام حماس المستمر باتفاق 1993م⁽¹⁾.

وفي محاولة لتفسير التغير الذي حدث في السياسة الأردنية اتجاه حماس، فمن الواضح أن هناك كثيراً من المعطيات قد فرضت نفسها على المطبخ السياسي الأردني، حيث قام بإعادة قراءة الخارطة السياسية في المنطقة من جديد آخذاً بعين الاعتبار كل التعقيدات الناجمة عن التغيرات في النظام الدولي الجديد، ولا شك أن العامل الأهم الذي فرض نفسه على صانع القرار الأردني، وهو يقوم بصياغة استراتيجية تعامل جديدة مع حماس، هو قوة حماس وتعاضم نفوذها ليس على الساحة الفلسطينية فحسب، وإنما على الساحة الأردنية التي يشكل المواطنون من أصول فلسطينية واللاجئون الأغلبية السكانية، وذهاب الشارع الأردني بمكوناته وأصوله وأعراقه لتأييد حماس قد أثار قلق النظام الأردني من أن تتقلب حماس على التفاهات الضمنية والشفهية وتثير القلاقل للنظام الأردني⁽²⁾.

يُضاف إلى ذلك تراجع حركة فتح تحديداً وفصائل منظمة التحرير الفلسطينية عموماً أمام حماس في الداخل الفلسطيني المتمثل بفلسطين التاريخية، كما يضاف له التأييد الشعبي العارم في أوساط مواقع الشتات الفلسطيني وخاصة بعد أن أثبتت حماس مصداقيتها بالتعاطي مع الشأن

¹ - سليمان، أحمد: حماس في الساحة الأردنية، <http://www.islamonline.net>.

² - كبها، وصفي: علاقة حماس مع الأردن، 30/6/2010م، مقابلة شخصية.

الفلسطيني بكليته ومنها القضية الفلسطينية، وقد جاءت الساحة الأردنية بكل تركيبها الأكثر تأييداً لحماس وسياستها، فكان لا بدّ من سياسات محلية وإقليمية جديدة تحدّ من نفوذ حماس، وتعطي الدعم لمنظمة التحرير الفلسطينية، كما أن للأردن حدوداً طويلة مع الأراضي الفلسطينية الأمر الذي يهدد أمن الاحتلال في ظل تصاعد وتعاضم قوة وتأثير حماس في الساحة الأردنية، حيث شكلت حماس القدوة ومصدر إلهام قيمي ديني وجهادي لدى الشعب الأردني، فساهمت في حالة الوعي الوطني ورفض الاتفاقات الجائرة مع الكيان الصهيوني، هذا قد يدفع المواطن الأردني وبطريقة غير مباشرة للانتقام من الصهاينة المحتلين، ولعل ما قام به الجندي الأردني أحمد الدقاسمة قد ساهم في دق ناقوس الخطر في الأوساط السياسية الدولية والأردنية، وأثار حالة من الخوف الشديد في الأوساط الإسرائيلية، فجاء النظام الدولي الذي يتحكم بسياسات الدعم والتمويل المباشر، أو من خلال صندوق النقد الدولي ليفرض شروطاً جديدة على صانع القرار الأردني لإنهاء حالة الوثام والتصالح مع النظام الأردني، والطلب من قيادات حماس مغادرة الأردن. ولا شك أن القرار قد جاء ثقيلاً وشديداً لا سيما وأن الفترة التي سبقت اتخاذ هذا القرار لم تكن على درجة من التوتر؛ ما دفع لأن يكون قراراً قاسياً تمثّل باعتقال رئيس المكتب السياسي وبعض أعضائه، ومن ثمّ ترحيلهم إلى خارج الأراضي الأردنية بعد تدخلات ووساطات عربية وقطرية، فكانت الإجراءات بمثابة تطبيق لهذه العلاقة وتتويج لحالة القطيعة⁽¹⁾.

ومن العوامل والدوافع الحقيقية الأخرى وراء القطيعة بين الأردن وحماس بعد تولي الملك عبد الله الثاني مقاليد الحكم هو تلك الإشكالات داخل العائلة الحاكمة، وتحييد ولي عهد الأردن الأمير حسن في الأيام الأخيرة من حياة الملك الراحل حسين، ولعل في تصرفات الأمير حسن التي لم ترق للنظام العالمي الجديد وتخوفات الملك حسين على مستقبل أبنائه التي استشعرها

¹ - كبها، وصفي: علاقة حماس مع الأردن، 30/ 6/ 2010م، مقابلة شخصية.

بينما كان على سرير الاستشفاء في أمريكا قد دفع به ورغم حالته الصحية الصعبة للعودة للأردن، وتغيير الدستور، وعزل الأمير حسن وتنصيب ابنه عبد الله ولياً للعهد، هذا الإجراء قد أثار التخوفات داخل النظام الأردني من أن يقوم الأمير حسن بالبحث عن قوى يمكن أن يتفاهم معها في إطار صفقة ما، وقد وجد المحرّضون على العلاقة الأردنية الحمساوية في هذا سبباً لإثارة الملك عبد الله على حماس، فتمّ تأليب الملك للإطمئنان بأن الأمير حسن لن يوظف ورقة حماس في خلافاته داخل الأسرة الحاكمة.

دوافع السياسة الأردنية الجديدة

هناك مجموعة من العوامل التي دفعت صانع القرار الأردني إلى اتخاذ جملة من الإجراءات تنهي وجود حماس في الأردن منها:

أولا الضغوط الداخلية: كانت وفاة الملك حسين وتسلم الملك عبد الله الثاني زمام الأمور، إضافة إلى رغبة الأخير بتأسيس رؤية جديدة قد انعكست في مشروع "الأردن أولا"، واشتداد الخلاف بين الحركة الإسلامية في الأردن والسلطات الأردنية⁽¹⁾.

وتزامنت مرحلة القطيعة مع اللحظات الأولى لعهد الملك عبد الله الثاني، ففي هذه المرحلة تغيرت المعادلة التي تحكم تصور "صانع القرار" ⁽²⁾ للعلاقة مع حماس بصورة أكبر من نواح رئيسية، فمن ناحية انتقلت إدارة جملة من الملفات الحيوية الداخلية المهمة إلى جهاز المخابرات العامة ⁽³⁾، وبذلك تحول ملف حماس من ملف سياسي يديره الملك الراحل الحسين شخصياً إلى ملف أمني يُدار من قبل دائرة المخابرات العامة.

¹ - علاقة الأردن بحماس: فلسطين المسلمة، ع9، 2008م، ص40.

² - يؤكد الباحث سميح المعاينة أنه ومع تولي الملك عبد الله الحكم قد اختلفت الأوزان النوعية لدوائر صنع القرار، وأصبحت القناعة التي تقول بضرورة إنهاء وجود حماس في الأردن تحظى بمكانة أكبر. المعاينة، سميح: الدولة والإخوان، 20.

³ - لم يكن دور المؤسسة العسكرية في عهد الملك حسين يتعدى الدور التنفيذي، وتقديم المشورة لصانع القرار الأول "الملك". الهزيمة، محمد: السياسة الخارجية الأردنية، 192.

في تلك المرحلة كانت معظم المؤشرات والرسائل تفيد بأن مدير المخابرات سميح البطيخي ليس من أنصار العلاقة مع حماس، وقد سبق له أن اعتقل عدداً من قياداتها وأفرادها، لكن مع رحيل الملك حسين وغياب الإرث التاريخي والخبرة الشخصية مع الإخوان وحماس، فُتح الباب لمدير المخابرات العامة لتغيير مسار العلاقة، وعدم الإمساك بالعصا من المنتصف مع الحركة⁽¹⁾.

وإزداد القلق لدى الأجهزة الأمنية من وجود حماس على الأراضي الأردنية، مع بروز إشكالية التداخل التنظيمي مع حركة الإخوان المسلمين، في سياق دعاوى — حتى داخل الإخوان — بتجنيد أعداد من جماعة الإخوان ضمن الحركة، بالإضافة إلى دعوى خرق حماس الاتفاق مع الحكومة عبر ممارسة عمليات تخزين السلاح والتدريب على النشاطات الأمنية⁽²⁾.

ووفقاً للرواية الرسمية الأردنية، فإنّ السبب المعلن والمباشر لتلك الإجراءات لا يتمثل باكتشاف أسلحة بحوزة الحركة، وممارستها أنشطة وفعاليات تضرّ بالأمن الوطني الأردني غير مسموحة قانونياً، لكن من الواضح أنّ انتظار السلطات إلى حين مغادرة قادة حماس كان المقصود منه الحيلولة دون رجوعهم إلى الأردن، ودفعهم إلى موضع قدم آخر يمارسون من خلاله نشاطهم⁽³⁾.

يوضح رئيس الوزراء الأردني عبد الرؤوف الروابدة⁽⁴⁾ موقف الحكومة الأردنية فيقول: " إن حماس لم تلتزم بما اتفق عليه — الاتفاق الشفوي 1993م —، فحدثت حركة تنظيمية لهم في

¹ — أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 49.

² — المعايطة، سميح: الدولة والإخوان، 20؛ أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 50.

³ — أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 22.

⁴ — عبد الرؤوف الروابدة: من مواليد بلدة الصريح/ اربد 13/ 1939/2م، حصل على بكالوريوس الصيدلة من الجامعة الأمريكية

في بيروت عام 1962م، ثم تولى العديد من المناصب التشريعية منها: عضو المجلس الوطني الاستشاري الأول والثاني والثالث

1978-1983، نائب رئيس المجلس الوطني الاستشاري 1982-1983، نائب في مجلس النواب الأردني الحادي عشر 1989-

الأردن، وباتت تصدر عنهم من عمان بيانات عن العمل لعسكري في فلسطين، وبات الأردن يتحمل وزر كل ذلك".

ويضيف الروابدة " إن ما قمنا به في العام 1999م، وبعد هذه الخروقات للاتفاق المسبق، أن طالبناهم أن يمتنعوا عن العمل التنظيمي داخل الأردن، وأن يمتنعوا عن إصدار أي بيانات عسكرية من الأرض الأردنية، لكن ذلك تكرر مراراً ولم يلتزموا، وبسبب احترامنا لهذه الحركة النضالية، رفضنا حينها أن نعتقل قياداتها في عمان، رغم أن ذلك من صلاحيات الحكومة الدستورية، فأني مواطن أردني يكون عضواً في تنظيم غير أردني أو يعمل في تنظيم غير مرخص يُعدّ مخالفاً للقانون، ومع ذلك صبرنا عليهم، إلى أن سافروا إلى طهران، فأغلقتنا مكاتبهم".

ويتابع الروابدة " لم يكن في نيتنا اعتقالهم، لم نفكر في اعتقال مناضلين، وهم في عيوننا وعيون الناس والعالم مناضلون، لكن نضالهم يجب أن يكون على الساحة الفلسطينية، وليس على الأرض الأردنية". (1) وهنا نطرح جملة من التساؤلات : —

هل كان قادة حماس في الأردن بين الأعوام 1990 و1999م لا يحملون الجنسية الأردنية؟

وهل كانت حماس تعمل طوال تلك الفترة بترخيص من وزارة الداخلية الأردنية؟

وهل كانت حماس تقوم بعملياتها على الساحة الأردنية، أو عبر حدودها؟

1993 ، نائب مجلس النواب الأردني الثاني عشر 1993-1997 ، نائب في مجلس النواب الأردني الثالث عشر 1997 ، كما تولى العديد من المواقع الإدارية منها: أمين العاصمة 1983-1986 ، رئيس مجلس إدارة مؤسسة إعمار العاصمة 1983-1989 أمين عمان الكبرى 1987-1989 ، وقد نشط في مجال العمل العام فقد تولى منصب أمين عام حزب اليقظة 1993-1996، ونائب الأمين العام ورئيس دائرة السياسة في الحزب الوطني الدستوري 1996-1997، وهو أول رئيس وزراء في عهد الملك عبد الله الثاني. موقع رئاسة الوزراء الأردني، <http://www.pm.gov.jo>؛ قمش، ناصر: عبد الرؤوف الروابدة على كرسي الاعتراف، <http://jorday.net/news>.

¹ — الروابدة، عبد الرؤوف: سياسي يتذكر، جريدة الغد، ع 2093، 2010/ 5/24، ص16.

من الواضح أنه لا يمكن للأردن الاختلاف والاشتباك مع حماس إلا من الناحية الأمنية — والأمنية فقط — لأنه ومن الناحية السياسية فإن مواقف حماس والأردن تتقاطع في العديد من القضايا السياسية الهامة، ومما يضعف الذريعة الأمنية الأردنية أنه لم يسجل على حماس وعبر تاريخها أن تعرضت للمصالح والسيادة الأردنية، وأن كل ما تم ضبطه وفتحه من القضايا الأمنية، لا تخرج عن إطار الذرائع والفرضيات والتخوفات والتوجّسات مما سيحدث.

ثانياً : علاقة حماس مع السلطة الفلسطينية:

إن ما حصل من توتر في العلاقة بين الأردن وحماس جاء ضمن فلسفة الأردن السياسية القائمة على مبدأ الأولويات، ومن ثم التوازن، وضمن سلم الأولويات، فقد كان الأردن أكثر قريباً لمنظمة التحرير منه لحركة حماس، وبالتالي فمن المنطقي وفق هذه الفلسفة أن تكون العلاقات مع السلطة الفلسطينية أقوى⁽¹⁾.

واعتقد المراقبون أن قادة حماس قد تجاوزوا الخطوط الحمراء، وذهبوا إلى ما يخرج الحكومة الأردنية التي اعتبرت السلطة الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، ورفضت الاعتراف بأية صفة تمثيلية لأية جهة غيرها من حماس إلى الفصائل الفلسطينية الأخرى الموجودة في دمشق، فالهجوم الشديد الذي شنّه رئيس المكتب السياسي خالد مشعل ضد رئيس السلطة ياسر عرفات في اجتماعات لجنة المتابعة العليا المتفرعة عن المؤتمر الوطني الفلسطيني التي عقدت في دمشق في شهر تموز عام 1999م، ففي تلك الاجتماعات بدا أن حماس أكثر تصلباً من أي فصيلة أخرى.

وتأكد ذلك الانطباع بعد التصريحات المتتالية من قادة حماس في عمان، الذين رفضوا

¹ — الوثائق الأردنية: الوقائع والوثائق الأردنية، 84/9، 124 /14؛ ملكوي، عصام: علاقات حماس والأردن، حماس والحركة

الاشترك في اجتماعات مصالحة الفصائل الفلسطينية مع قيادة السلطة التي أُريد لها التمهيد للدخول في مفاوضات الوضع النهائي⁽¹⁾.

وقال عبد الرؤوف الروابدة: " إن الشعب الفلسطيني قد اختار قيادته ووقفت معه الأمة العربية والإسلامية، والتزم الأردن بذلك الاختيار فقمنا بفك الارتباط مع الضفة، وتعاملنا مع القضية الفلسطينية من خلال منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية، كما هو حال كل الدول العربية والإسلامية، وأصبحت علاقة التنظيمات الفلسطينية مع سلطتها الفلسطينية، من دون أن يكون من حق أي دولة التدخل في هذه العلاقة"⁽²⁾.

ومن ناحية ثانية، فمنذ تولي الملك عبد الله مقاليد الحكم، اتخذ مواقف واضحة مغايرة لإرث العلاقة المتوترة بين الملك الحسين والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، فقد بلور الملك عبد الله الثاني رؤية استراتيجية تقوم على أن قيام دولة فلسطينية على حدود العام 1967م يمثل مصلحة إستراتيجية أردنية، وأنهى بذلك كل التوترات السابقة مع السلطة الفلسطينية، مؤكداً على عزوف الأردن عن القيام بأي دور سياسي أو أمني في الضفة الغربية⁽³⁾.

وجاءت تصريحات رئيس الوزراء الأردني عبد الرؤوف الروابدة التي قال فيها إن بلاده على استعداد للتنازل عن مسؤولياتها في إدارة الأماكن المقدسة في القدس إذا رغب الفلسطينيون في ذلك لتصبّ في نفس الاتجاه⁽⁴⁾.

ثم إن اندلاع انتفاضة الأقصى عام 2000م أخلّ بالعلاقة بين حماس والأردن من جديد، فالسلطات الأردنية مع المعسكر العربي المؤيد للتسوية السلمية، وانطلاق انتفاضة فلسطينية ثانية

¹ - نياي، أحمد: الصدام بين الأردن وحماس، مجلة الأهرام، ع 139، 2000م، ص 154.

² - الروابدة، عبد الرؤوف: سياسي يتذكر، جريدة الغد، ع 2093، 2010/5/24م، ص 16.

³ - الوثائق الأردنية: الوقائع والوثائق الأردنية، 84/9، 124 /14، 134 /17.

⁴ - نياي، أحمد: الصدام بين الأردن وحماس، مجلة الأهرام، 153 /139، 2000م.

يعني تأزّم الخط السياسي الإقليمي والدولي حسب وجهة النظر الأردنية الرسمية (1).

ثالثاً: الضغوط الخارجية

تتميز السياسة الخارجية الأردنية بأنها مقربة من الدول الغربية، فالعلاقات التي تربط الأردن بالكتلة الغربية كانت بسبب المساعدات الاقتصادية التي تمنحها تلك الدول وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية (2)، حيث تغطّي الولايات المتحدة أكثر من ثلثي المساعدات الإجمالية التي يتلقاها الأردن من باقي الدول، كما تقدّم له الدعم في كل ظرف صعب يمرّ به. وبات من المعروف أن السياسة الأمريكية تهدف إلى حماية الأردن، لهذا باتت العلاقة الثنائية تشكل عامل ضغط على صانع القرار الأردني في كل الظروف والأحوال (3).

واستمرّ الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية - إلى أبعد الحدود - في ربط سياستهما بالسياسة الأمريكية ضمن ما أطلق عليه محور " الاعتدال العربي " الذي يشمل مصر والسعودية وفي الوقت نفسه، فإن حماس قد طورت موقعها واستفادت إلى أبعد الحدود من انضمامها إلى جهود مكافحة الهيمنة الأمريكية والإسرائيلية ضمن ما أطلق عليه " محور المقاومة والممانعة " الذي يشمل إيران وسوريا وحزب الله والقوى المقاومة والشعبية المعارضة في العالم العربي والإسلامي .

لذا فقد جاءت الخطوة الأردنية الجديدة بقطع العلاقة مع حماس استجابة للضغوط الخارجية (الأمريكية والإسرائيلية) الكبيرة على الأردن، بسبب النشاط السياسي والإعلامي للحركة هناك. وبذلك لم يعد صانع القرار الأردني، ينظر إلى حماس باعتبارها ورقةً سياسية في اللعبة

¹ - علاقة الأردن بجماس: فلسطين المسلمة، ع 9، 2008م، ص 40.

² - الوثائق الأردنية: الوقائع والوثائق الأردنية، 10/ 87، 99/12.

³ - الهزيمة، محمد: السياسة الخارجية الأردنية، 157 - 158.

لإقليمية⁽¹⁾، وتطوّرت علاقة الأردن مع السلطة الفلسطينية على حساب العلاقة مع حماس، والتي فقدت بذلك أهم حاضنة إقليمية لها خلال عقد التسعينيات⁽²⁾.

وبالعودة إلى قضية إغلاق المكاتب والاعتقال، فإنّه وبعد مشاورات بين الوفد في طهران مع العديد من الشخصيات الأردنية، ومنها المراقب العام للإخوان المسلمين عبد المجيد ذنبيات الذي كان يرى أن لا يعود الوفد وان يبقوا في الخارج لمدة معينة، ولكن العديد من الشخصيات كانت ترى وجوب العودة إلى عمان، وأن يواجهوا المحكمة⁽³⁾.

هذا وقد أظهر مدير المخابرات الأردنية سميح البطيخي نوايا غير ودية لنشاط حماس على الساحة الأردنية، فكان ينظر إلى حماس على أنها تنظيم إرهابي، وكان يتمنى عدم عودة قيادتها إلى الأردن، ولكن الأمور سارت على غير رغبته⁽⁴⁾.

وبعد ترحيل الدكتور موسى أبو مرزوق لأنه لا يحمل الجنسية الأردنية، تم نقل معتقلي حماس من المطار إلى سجن الجويذة ومكثوا فيه 61 يوماً.

وأثناء وجود قيادة حماس في السجن تدخل الإخوان المسلمون في الأردن ولعبوا دور الوسيط بين حماس والحكومة الأردنية، مما أثر على موقف حماس من الإخوان، حيث استهجن حماس هذا الموقف من الإخوان، خاصة وأن حماس كانت ولا تزال جزءاً من تنظيم الإخوان، وأكثر ما

¹ — يذهب المحللون الإسرائيليون إلى أن الملك حسين نجح في قيادة المجريبات في المنطقة لسنوات عديدة جداً، وحقق صموداً رغم ضعف مملكته، بفضل قدرته على تشخيص التغييرات الخطيرة وتحليل عناصرها والرد بما يتلاءم معها. عميدور، يعكوف: حوار الأردن مع حماس، ترجمة المركز الفلسطيني للإعلام، <http://www.palestine-info.info>.

² — أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 50.

³ — الروابدة، عبد الرؤوف: سياسي يتذكر، جريدة الغد، ع 2093، ص 16، 2010/5/24؛ قمش، ناصر: عيد الرؤوف الروابدة على كرسي الاعتراف، <http://jordan.net>.

⁴ — أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 48؛ غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 269.

أغضب قيادة حماس موقف المراقب العام الذي ظهر مع رئيس الحكومة الأردنية عبد الرؤوف الروابدة وهو يقول نحن والحكومة في موقف واحد (1).

وفي إطار تبرير هذه الإجراءات ضد حماس أكد رئيس الحكومة الأردنية عبد الرؤوف الروابدة " أن الأردن ومنذ فك الارتباط أصبحت قضيتنا الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وأن تكون الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني، وبعد دخول السلطة الفلسطينية وقيامها أصبحت مرجعيتنا دعم هذه السلطة. ولا دخل للأردن في الخلافات الفلسطينية داخل التنظيمات، هذا حق من حقوقهم هذا المبدأ الأول، أما الثاني: ليس من حق الأردني أن يكون في تنظيم غير أردني وفقاً لأحكام القانون، يعني لا يستطيع أي مواطن أردني أن يكون عضواً في حزب البعث السوري مثلاً ". واعتبر الروابدة أن حماس سُمح لها بأن تعمل إعلامياً في الأردن، ولكنها أصدرت بيانات عسكرية من عمان، وجّهت لها قبل حكومتي العديد من القضايا (2).

ويختلف العديد من الباحثين (3) مع موقف الروابدة، ويرون أنه لا يمكن النظر في طبيعة وانعكاسات الأزمة بين حماس والحكومة الأردنية عام 1999م بمعزل عن التطورات السياسية الدولية والإقليمية، وخاصة تلك المتعلقة بقضية فلسطين، فقد اندلعت الأزمة بإجراءات مشددة وعاجلة من قبل الحكومة الأردنية بعد بدء عجلة التفاوض الفلسطيني - الإسرائيلي، وتزايد الآمال بمفاوضات الحل النهائي للقضية الفلسطينية، وفق جدول زمني تم تحديده، خاصة وأن الأردن أصبح معنياً جداً بإنجاح هذه المفاوضات للحفاظ على مصالحه الذاتية المتعلقة بالقدس

¹ - ذياب، أحمد: الصدام بين الأردن وحماس، مجلة الأهرام، ع139، 2000م، ص153؛ غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 267 - 269.

² - الروابدة، عبد الرؤوف: سياسي يتذكر، جريدة الغد، ع 2093، 2010/ 5/24، ص16؛ قمش، ناصر: عبد الرؤوف الروابدة

على كرسي الاعتراف، <http://jordan.net>

³ - سليمان، أحمد: حماس والأردن، <http://www.islamonline.net>؛ غراييه، إبراهيم: السياسات الأردنية،

<http://www.aljazeera.net>

واللاجئين والحدود والمياه والدور الإقليمي، والمساعدات الاقتصادية، والتخلص من مسؤوليته التاريخية والقانونية والسياسية اتجاه القضية الفلسطينية.

إن الهجوم على حركة حماس في فترة الملك عبد الله أثر سلباً على الحركة، التي كانت تعتبر أن الأردن يمثل عمقاً استراتيجياً للحركة من حيث الاستفادة من حدودها لإيصال المال والسلاح للأراضي المحتلة في فلسطين، كما أن الكم الكبير من اللاجئين الموجودين في الأردن يمثل غطاءً للحركة في تحركاتها (1).

الإبعاد إلى قطر عام 1999م

وخلال تحرك الوساطات العربية والإسلامية الشعبية والرسمية تلقت حماس رداً من (رئيس الديوان الملكي ورئيس الحكومة)، تضمن الإفراج عن قادة حماس، ولكن خارج الأردن، وهو ما يعني أن الحكومة ما تزال مصرة على قبول حماس والإخوان للجانب الإنساني المتعلق بالاعتقال، والتنازل عما عداه، وهو ما رفضته حماس مؤكدة استعدادها لإعادة النظر في التفاصيل ووجودها السياسي والإعلامي عبر الحوار والتفاوض على قاعدة التصور الذي قدمته سابقاً (2).

بعد فشل الوساطة الإخوانية في التوصل لحل سياسي للأزمة يرضا به الطرفان، تمكنت الحكومة وبتدخل مباشر من الملك من الاتفاق مع دولة قطر على استضافة قادة حماس الأربعة بعد الإفراج عنهم مباشرة، في عملية سميت بالتسفير (بدلاً من الإبعاد أو النفي)، جرى ذلك في 16/11/1999م، وفي نفس الليلة تم الإفراج عن بقية المعتقلين على ذمة القضية، وأوقفت

الإجراءات القضائية (1).

¹ McGeough, Paul: Kill Khalid, p .251-

² _ سليمان، أحمد: حماس في الساحة الأردنية، <http://www.islamonline.net>

وقد اعتبرت الأوساط السياسية الأردنية والقوى الوطنية فيها خطوة الحكومة على أنها إبعاد قسري لمواطنين أردنيين عن وطنهم، وهو ما يخالف نص الدستور الأردني، كما اعتبر الإجراء غير قانوني وغير دستوري⁽²⁾.

وأكد رئيس الوزراء الأردني عبد الرؤوف الروابدة أن الحركة الإسلامية طلبت من الحكومة إنهاء القضية من خلال السماح لهم بالسفر، وقبلت الحكومة ذلك، إلا أن المكتب السياسي لحركة حماس رفض هذا الخيار.

ويصر الروابدة على أن الحكومة القطرية هي التي طلبت أن تسمح لهم بالسفر إلى قطر، وأنها قلنا لهم "نحن لا نسفر مواطناً أردنياً فالأردني لا يبعد عن أرض وطنه بنص الدستور". ويستغرب الروابدة من إصرار وسائل الإعلام على استخدام مصطلح الإبعاد، ويرى أنه غير صحيح، وهو لم يُستخدم في قاموسنا⁽³⁾.

ولكن إبراهيم غوشه أنكر هذه الرواية، مؤكداً أن الروابدة هو من أرسل في عرض الإبعاد الطوعي على قيادة حماس، وأوضح غوشه أن المكتب السياسي رفض هذا العرض⁽⁴⁾.

وفي يوم 21/11/1999م، تم إبعاد قيادة حماس من الأردن إلى قطر على متن طائرة قطرية خاصة، بذريعة أن القانون الأردني لا يجيز أن يكون خالد مشعل ورفاقه أعضاء في تنظيم غير أردني هو "حركة حماس"، رغم أن هذا القانون يتم تطبيقه انتقائياً وليس بشكل مطلق⁽⁵⁾.

لقد أثر هذا القرار على علاقة الإخوان المسلمين مع الحكومة خاصة بعد فشل الوساطة الإخوانية في حل تلك الأزمة، وشغلت هذه القضية ولسنوات عديدة الخطاب السياسي والإعلامي

1- الروابدة، عبد الرؤوف: سياسي يتذكر، جريدة الغد، ع 2093، 2010/ 5/24، ص16.

2- غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 280 - 281؛ سليمان، أحمد: حماس في الساحة الأردنية، <http://www.islamonline.net>

3- الروابدة، عبد الرؤوف: سياسي يتذكر، جريدة الغد، ع 2093، 2010 / 5/24، ص16.

4- غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 279.

5- قاسم، عبد الستار: حماس والأردن، السياسة الدولية، ع 2007:170م، ص136؛ الروابدة، عبد الرؤوف: سياسي يتذكر، جريدة

الغد، ع 2093، 2010/5/24، ص16.

للجماعة، حيث تصرّ في كثير من بياناتها ومواقفها وحتى مهرجاناتها على ضرورة عودة حماس إلى عمان، وشكّلت هذه القضية مصدراً للافتراق بين الحكومة والإخوان، وصنعت مواقف سياسية امتدت إلى أشخاص القضية حكومياً وما يزال الإخوان يقفون موقفاً سلبياً من رئيس الوزراء في تلك الفترة عبد الرؤوف الروابدة (1).

ورغم الرسائل المتبادلة بين قيادة حماس – الموجودة في قطر – والحكومة الأردنية، ورغم الطعن قضائياً في قرار الإبعاد إلا أن الحكومة الأردنية أصرت على أن الأشخاص المبعدين إذا أرادوا العودة إلى الأردن فعليهم أن يعودوا كمواطنين عاديين دون أي صفة تنظيمية (2).

وفي ذات الإطار توجه في منتصف عام 2000م وفد أردني مكون من وزير الخارجية عبد الإله الخطيب، ومدير المخابرات العامة سميح البطيخي إلى قطر، حيث حمل الوفد تقارير عن نشاط حماس، لتحريض القيادة القطرية ضد حماس، وعندما كتب أمير قطر رسالة جوابية للملك عبد الله الثاني ووضعها في مغلف، استلمها مدير المخابرات وفتحها في نفس الجلسة، ورفض الاقتراح الوارد فيها، مما أغضب الأمير لأن هذه الرسالة موجهة إلى الملك وربما هذه الحادثة قد نُقلت إلى الملك، وربما كانت أحد الأسباب التي أودت بالبطيخي، بعد أن كُشِفَ عن عصابة الفساد في الأردن، التي كان من ضمنها مدير المخابرات " البطيخي، والذي حكم عليه بالسجن لخمس سنوات بتهمة اختلاس 17 مليون دينار أردني من أموال الشعب (3).

يعتقد المراقبون (4) أن البعد السياسي الذي حملته الإجراءات الأردنية ضد حركة حماس، والتي حاولت اغتيال شخصيتها السياسية الإقليمية والدولية المكملة لشخصيتها الوطنية الفلسطينية

1 - المعايضة، سميح: الدولة والإخوان، 37 .

2 - ذياب، أحمد: الصدام بين الأردن وحماس، مجلة الأهرام، ع 139، 2000م، ص 154.

3 - غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 289 - 290 .

4 - سليمان، أحمد: حماس في الساحة الأردنية، <http://www.islamonline.net>

في الداخل والخارج على حد سواء، وهو المدخل الأنسب – حسبما تعتقد القوى المشاركة في تنفيذ هذه الحملة – لاحتواء حماس في الداخل الفلسطيني للتعايش والتعاون مع إسرائيل، وقطع حبلها السري المالي والعسكري والسياسي والإعلامي عن العالم العربي والإسلامي، بل وعن فلسطينيي الشتات، مما يجعل القدرة الفلسطينية والإسرائيلية على تطويعها أو كسرها أكبر.

لكن الأمور جرت على غير ما خُطِّط له، فقد استفادت حماس من هذه الإجراءات ضدها، ووظفتها إعلامياً وسياسياً لصالحها. وعلى المستوى الشعبي سواء في فلسطين، أو الأردن الممزوج بالحضور الفلسطيني الواسع هناك، وخاصة في أوساط اللاجئين الذين فقدوا كل أمل في أن تعيدهم اتفاقيات أوسلو إلى فلسطين التاريخية، وخصوصاً بعد اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية و الأردن بشرعية إسرائيل على أرض فلسطين حسب الاتفاقيات المبرمة مع الأخيرة. وكذلك الحضور الواسع والمنظم للإخوان المسلمين الأردنيين – الحاضنة الدائمة لحركة حماس في كل الظروف والأحوال من هنا فقد بدت حماس كضحية لإجراءات تعسفية ضد قادتها وكوادرها الملاحقين أصلاً من إسرائيل، مما عزز حضورها الشعبي في معظم الساحات العربية والإسلامية بشكل أفضل.

هكذا بدا المشهد من وجهة نظر البعض. فالأردن يراجع سياساته الإقليمية منذ عام 1999م حيث أظهر أنه لا يريد دوراً إقليمياً في فلسطين ولا العراق، ولا يريد أن يغير مواقفه إلى العكس تماماً، ولكنه يحاول أن يتخذ علاقات جوار وتضامن دون انخراط في السياسات والمواقف المحلية والإقليمية⁽¹⁾.

وهذا ما يفسر الموقف الأردني اتجاه عمل وحضور حركة حماس في عمان، إذ أوضح

¹ - الوثائق الأردنية: الوقائع والوثائق الأردنية، 165 / 27؛ الفاعوري، إبراهيم وآخرون: الهاشميون ملوك صنعوا التاريخ؛ غرايه،

إبراهيم: السياسات الأردنية، <http://www.aljazeera.net>.

المسؤولون أثناء أزمة حماس أنّ الأردن يحترم حركة حماس ويقدّر لها، كما أعلنوا من قبل أنّ قرار فك الارتباط مع الضفة الغربية قرار سيادي لا رجعة عنه، وأنّ الأردن ليس متمسكاً بالولاية على الأماكن المقدسة في القدس وفلسطين، ولا يمانع في نقلها إلى السلطة الفلسطينية، وأعلن المسؤولون الأردنيون أكثر من مرة رفضهم لأي دور أمني في فلسطين، أو القيام بأي دور بديل للسلطة الفلسطينية (1).

لكن القراءة الدقيقة للمشهد تفيد بأنّ الأردن يقوم بهذا الدور في سياق التوافق والتناغم مع المواقف الإسرائيلية والغربية وبعض الدول العربية التي ترى في حماس عقبة أمام مسيرة السلام، ومتناسين التعنت الإسرائيلي الرفض لأي تنازلات حقيقية لصالح العرب، وخاصة الفلسطينيين.

عودة إبراهيم غوشة إلى الأردن عام 2001م

اجتمع المكتب السياسي في الدوحة وناقش موضوع العودة إلى الأردن كأمر واقع بعد أن استحالت المفاوضات بين الطرفين، وبعد فشل الوساطة القطرية في إعادتهم، قرر المكتب السياسي بعد التشاور مع وزير الخارجية القطري، أن يسافر الناطق الرسمي إبراهيم غوشة وسامي خاطر عضو المكتب السياسي إلى الأردن كأمر واقع، ولكن بعض الظروف الاجتماعية منعت سفر الأخير، وفعلاً في 14/6/2001م عاد غوشة على متن طائرة قطرية، وقد صدرت الأوامر القطرية بعدم عودة غوشة إلى الدوحة تحت أي ظرف على اعتبار أنه مواطن أردني، وفي المطار تم اعتقال غوشة ورفضت السلطات الأردنية السماح له بدخول الأردن (2). ودعت الحكومة الأردنية المتحدث باسم حركة المقاومة الإسلامية " حماس " إلى التخلي عن

¹ - غراييه، إبراهيم: السياسات الأردنية، <http://www.aljazeera.net>

² - أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 51.

هويته الفلسطينية كشرط لدخوله إلى المملكة.

وكما جاء على لسان وزير الإعلام الأردني آنذاك صالح القلاب " إن غوشة لن يدخل الأردن إلا إذا تخلى عن كونه الناطق الرسمي لحركة حماس وكعضو في المكتب السياسي، وكعضو عادي الآن وفي المستقبل، مشيراً إلى أن هذه الشروط تنطبق على جميع الأشخاص الذين يصرون على أردنيّتهم ويقودون تنظيمات غير أردنية" (1).

وبقي غوشة محتجزاً في المطار لمدة 16 يوماً، ولم يسمح له بالدخول إلا بعد اتفاق بين قيادة حماس والأردن على أن يلتزم غوشه بعدم ممارسة أية نشاطات إعلامية أو سياسية باسم حماس في الأردن، وفعلاً دخل غوشة إلى الأردن في 2001/6/30م.

وبعد دخول غوشة الأردن التزم بالاتفاق ولم يخل به إلا مرتين الأولى عند إستشهاد الشيخ أحمد ياسين، والثانية عند إستشهاد الرنتيسي؛ حيث ألقى خطبتين ضروريتين على حد تعبيره (2)، وبقي غوشة عضواً في المكتب السياسي، وشخصية قيادية معروفة في حماس يشارك في المسيرات والاعتصامات والندوات والمؤتمرات.

يقول عبد الرؤوف الروابدة: " موقفنا واضح، أكدنا لقيادات حماس، أنهم إذا أرادوا أن يستمروا في مواقعهم في حركة حماس فلهم ذلك، لكن على أن لا يكونوا أردنيين، لأنه لا يجوز لجهة فلسطينية أن تعارض السلطة الفلسطينية على أرض الأردن، لأننا نعترف بهذه السلطة، ولها سفير لدينا، ولا يجوز التدخل في شؤون دولة عربية أخرى (3).

ولكن ورغم القطيعة بين الطرفين إلا أن الأردن أبقى الباب موارباً ولم يغلقه بالمطلق في وجه حماس، فقد سمحت السلطات الأردنية لإبراهيم غوشة في عام 2003م بأداء العمرة،

¹ - القلاب، صالح: الأردن تخلى غوشة عن هويته الفلسطينية شرط لدخوله، <http://www.aljazeera.net>.

² - غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 297 - 307 .

³ - الروابدة، عبد الرؤوف: سياسي يتذكر، جريدة الغد، ع 2093، 2010/ 5 /24 م، ص16.

شريطة أن لا يدلي بأي تصريح في الخارج، وفي السعودية قابل غوشه كلاً من خالد مشعل وأعضاء المكتب السياسي (1).

ويوضح الروابدة سياسة وموقف الأردن من حركة حماس، فيقول: " إن الدولة الأردنية لا تكره حركة حماس بل تحبها، انظر كيف تعاملنا ونتعامل حتى الآن مع كثير من القضايا الإنسانية لقياداتهم وأعضائهم. ونحب أيضاً أن نتعامل تعاملًا شريفًا مع كل حركة نضالية " (2).

رغم وضوح الموقف الأردني في الانحياز للغرب، ونهج السلام مع إسرائيل، إلا أنه يسجل للملك والدولة الأردنية أنها تتعامل من منطلقات إنسانية في العديد من القضايا التي تخص حركة حماس على الساحتين الأردنية والفلسطينية، إما بدوافع تتعلق بالإرث الهاشمي، أو لإرضاء وامتصاص غضب الشارع الأردني، الممزوج بالحالتين الفلسطينية والإخوانية، والذي يُناصر ويؤيد حماس في معظم مواقفها وأفكارها.

وفي إطار ردود الفعل على اغتيال الشيخ أحمد ياسين، أدان رئيس الوزراء الأردني فيصل الفايز بشدة عملية اغتيال الشيخ وعدد من رفاقه، وقال رئيس الوزراء "إننا فوجئنا بالتصعيد الإسرائيلي الخطير، الذي تمثل بعملية اغتيال الشيخ أحمد ياسين وعدد من رفاقه مما يمثل جريمة تُضاف إلى الجرائم التي ترتكبها إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني، وتشكل إنتهاكا خطيراً لكل الأعراف والمواثيق " .

وأكد الفايز أن الحكومة الأردنية ستواصل تحركاتها على كافة الصعد والمحافل وبكل السبل لوقف هذه الانتهاكات الإسرائيلية ووضع حد للاحتلال، وحماية الشعب الفلسطيني وصولاً إلى تحقيق حقوقه الوطنية المشروعة (3).

1 - غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 317.

2 - الروابدة، عبد الرؤوف: سياسي يتذكر، جريدة الغد، ع 24/2093/5 /2010م، ص16.

3 - موقف الأردن من اغتيال الشيخ ياسين، <http://www.palestine-info.info>.

من جانبها أكدت الناطقة باسم الحكومة الأردنية أسمى خضر أنّ الحكومة ترى في هذه المجزرة إهداراً لفرص التوصل إلى سلام عادل ودائم ينهي الاحتلال الإسرائيلي ويضمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، كما أعادت التأكيد على مواقف الأردن الثابتة والرافضة لسياسة الاغتيالات التي تنتهجها الحكومة الإسرائيلية، والتي لا يترتب عليها سوى المزيد من التصعيد والعنف، وشددت على أنّ هذه السياسة تمثّل إصراراً على نهج مضاد للمساعي العربية والدولية الرامية للتوصل إلى سلام حقيقي يضمن الأمن والاستقرار للمنطقة، وبيّنت أنّ الحكومة الأردنية ستقوم بكل الاتصالات الضرورية عربياً ودولياً لمواجهة هذا التصعيد الخطير. (١)

وفي إطار التضامن مع حركة حماس، سمحت السلطات الأردنية للأحزاب الأردنية وفي مقدمتهم الإخوان المسلمون والنقابات بتسيير مسيرة في العاصمة الأردنية، خرج فيها أكثر من عشرين ألف شخص، وأقامت حماس في عمان سُرادقاً لتقبل التهاني باستشهاد الشيخ أحمد ياسين استمرّ لثلاثة أيام، وحضره الآلاف من الوفود الشعبية من كافة أنحاء الأردن (٢).

جرى كل ذلك في الأردن تحت سمع وبصر السلطات الأردنية، التي ما كان لها أن تواجه تلك الموجة العارمة من الغضب، والتضامن الشعبي مع ما تتعرض له حركة المقاومة الإسلامية وقادتها ورموزها من هجمة محمومة من السلطات الإسرائيلية.

وجاء اغتيال إسرائيل لزعيم حماس الجديد، الدكتور عبد العزيز الرنتيسي في 2004/4/17م، ليصبّ النّار على الزيت، خاصةً وأن تلك العملية قد جاءت بعد تبادل الرسائل بين الرئيس الأمريكي جورج بوش ورئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون، والتي جاء فيها أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد تعارض التفسير الإسرائيلي لخطة خارطة

¹ — موقف الأردن من اغتيال الشيخ ياسين، <http://www.palestine-info.info>.

² — غوشة، إبراهيم: المنذنة الحمراء، 320.

الطريق، والذي تمتنع إسرائيل فيه عن الموافقة على إنشاء دولة فلسطينية كاملة ومستقلة، وتحدثت الرسالة عن بناء الجدار العازل. كما قد تضمنت الحديث عن مشكلة اللاجئين، وضرورة حلها في إطار الدولة الفلسطينية الجديدة وليس في إسرائيل.

تلك الأحداث أدت إلى زيادة حالة الإحباط عند المسؤولين الأردنيين، فغضب الملك عبد الله الثاني، وأعلن أن إسرائيل غير جادة بشأن السلام (1). ورغم تلك المواقف الواضحة للأردنيين، إلا أنهم قدموا اقتراحاً للقمّة العربية المنعقدة في 22 / 5 / 2004م في تونس، بإدانة الاعتداءات على المدنيين من دون تمييز بين العمليات الاستشهادية التي يقوم بها الفلسطينيون، والعنف الذي تمارسه إسرائيل. وجرى تبني هذا الاقتراح في البيان العلني للقمّة، رغم اعتراض فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية ووزير الخارجية السوري (2).

وشدّدت حماس من جانبها على استمرار سياستها وخطها الثابت في العلاقات العربية والإسلامية، فقد أكد خالد مشعل " بأنّ حماس ستظل حريصة على المصلحة العربية والإسلامية، وستظل تتعامل مع الدول العربية والإسلامية ومنها الأردن بمسؤولية وطنية وقومية عالية، ولن تغير من سياساتها في الحرص على الأمن العربي، وعدم التدخل في شؤون الآخرين" (3).

ورأى مشعل " أنّ خط الدفاع الأول عن الأردن في إجهاض مشروع الوطن البديل يتمثّل بدعم المقاومة، وتعزيز صمود أهل الضفة الغربية، مؤكّداً على أنّ حماس لا تتدخل في الشأن الأردني، إلا إذا اعتبر التعاطف الشعبي مع حماس تدخلاً" (4).

¹ – الوثائق الأردنية: الوقائع والوثائق الأردنية، 165 / 27؛ المعشر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 208 – 210؛ قاسم، عبد

الستار: الاستراتيجية الأمريكية الجديدة، 44 – 45.

² – المعشر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 217.

³ – الوثائق الفلسطينية: الوثائق الفلسطينية 2005، 54 / 114.

⁴ – جريدة القدس: ع 14687، 14687، 2010/7/4م، ص 1.

وهذا ما أكدته أحمد يوسف (1) - مستشار رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية - ،
إذ يقول: " هناك أمر هام ومعروف للجميع، ويُعتبر من إيجابيات حماس بأنها لا تتدخل في
الشؤون الداخلية للدول العربية والإسلامية، ونحن لن نطرح أنفسنا في الداخل لأي من دول
الجوار، وتركيزنا فقط على همنا الداخلي، ومحاولة التوصل إلى تفاهم من أجل إنجاز قضيتنا
الفلسطينية، ونحن نسعى لتوطيد علاقتنا بعمقنا العربي والإسلامي، ورغم وجود توتر وخلاف
في علاقتنا مع الأردن، إلا أنّ حماس ظلت تحتفظ بطهارة اليد في علاقتها مع الأردن، وشعرنا
بألم حين قُطعت العلاقة معنا".

ويضيف " نحن نصرّ على أن نحافظ على الروح الحميمية التي تجمع الأردنيين بالفلسطينيين،
وذلك ما يعزّز موقفنا بالسعي لعودة الزخم الطبيعي للعلاقة بين الطرفين بما يقدم المصلحة
الوطنية في المشروع الاستراتيجي المشترك للقضية الفلسطينية.

هذا وتمتلك حماس براغماتية سياسية عالية في عدم الانجرار وراء أي خلاف مع دول
الجوار، وتسعى لإقامة علاقات حسنة مع الجميع، ولكن دون التنازل عن أي من ثوابتها
وقناعاتها الراسخة بالنسبة إلى القضية الفلسطينية، ذلك أنّ مصالحها تقتضي اتباع تلك السياسة،
ولكن مصالحها الأكبر تقتضي المحافظة على الثوابت الوطنية، وهي في خضمّ ذلك تحاول
الموازنة والمواءمة بين تلك المصالح ومحاولة تحقيقها بما يخدم أهدافها الوطنية والإسلامية.

وفي هذا السياق ورداً على العمليات التي استهدفت الفنادق في العاصمة الأردنية عمان في
9 / 11 / 2005م، أصدرت حماس تصريحاً صحفياً أعربت فيه عن استنكارها وإدانتها لتلك
الاعتداءات، وتقدّمت حماس إلى الشعب الأردني الشقيق وأسر الضحايا بخالص العزاء والمواساة
بهذا المصاب الجلل. جاء في التصريح " إنّ حركة حماس إذ ترفض وتدين هذه الاعتداءات التي

¹ - يوسف، أحمد: الاتصالات بين الأردن وحماس، <http://www.palestine-info.info>.

استهدفت المواطنين، فإنّها تؤكد أن مثل هذه الأعمال التي تستهدف وتهدّد أمن المواطنين لا تخدم المصلحة الوطنية، ولا مصالح وقضايا الأمة⁽¹⁾.

ويُستدل من هذا التصريح أنه على الرغم من القطيعة بين حماس والأردن، إلا أنّ حماس ثابتة على مواقفها الراضة لاستهداف أمن واستقرار الأردن، وخلا التصريح من أيّ تعبير يشير إلى النظام هناك، في دلالة واضحة على استمرار القطيعة بين الطرفين.

وقد انعكست العلاقة ما بين النظام والإخوان على حركة حماس، فقد حصلت تحولات دراماتيكية في نفوذ الحركة الإسلامية الأردنية من جهة، كما شهدت تبايناً أوسع بينهما إزاء القضايا الكبرى الوطنية والإقليمية من جهة أخرى، خصوصاً فيما يتعلق بعملية السلام مع إسرائيل، والاحتلال الأمريكي للعراق، مما أوجد بعض التوترات بين الطرفين، ربما وصلت إلى حدّ المواجهة الباردة بينهما، وبخاصة بعد دعم الحكومة لتوجّهات تخليص جامعة الزرقاء الأهلية من سيطرة الحركة، وبعد قرار الحكومة السيطرة على جمعية المركز الإسلامي، إضافة إلى شكوى الحركة الإسلامية من استهداف الحكومة لها، بمنع أعضائها وكوادرها وقياداتها لمؤسسات الحكومية⁽²⁾.

كما يسعى النظام الأردني في إطار صراعه الفكري والعملي مع الإخوان أولاً، وحماس ثانياً، بكل جهد إلى إضعاف الإخوان عبر التضييق عليهم، ومحاولة إصاق حماس بالإخوان على أنها تهمة أو نقيصة، ويسعى إلى إضعاف حماس المعارضة بشدّة لنهج الاعتدال العربي السائر في ركب العملية السلمية، وذلك من خلال التعامل مع حماس كملف أمني يزعزع استقرار المملكة، وليس كملف سياسي؛ لأنّ مواقف حماس تتطابق مع الكثير من مواقف الحكومة الأردنية رغم

¹ — الوثائق الفلسطينية: الوثائق الفلسطينية 2005، 38 / 161.

² — الحمد، جواد: إعادة تنظيم الخارطة، <http://www.mesc.com>.

انحياز الأخيرة إلى معسكر الاعتدال، كرفض التوطين، ورفض فكرة الوطن البديل، وغيرها من المواقف.

وبقي الأردن يعلّق الأمل على عملية السلام⁽¹⁾، حيث أكد الملك عبد الله الثاني على أنّ خارطة الطريق توفر حلاً شاملاً يقوم على وجود دولتين، وهو النوع الوحيد من السلام الذي يمكن أن يكتب له الاستمرار، فهو يركز على قيام دولة فلسطينية، ذات سيادة، وديمقراطية، وقابلة للحياة وضمانات أمنية لإسرائيل⁽²⁾.

وكان الملك عبد الله الثاني قد أعلن عن مشروع أردني لتحريك خطة السلام العربية المعدلة مع إسرائيل قبل انعقاد القمة العربية. وقال: "إنّ الأردن يريد مع مصر والسعودية تحريك خطة السلام العربية بشكل يتيح قبولها بطريقة أفضل من قبل الإسرائيليين". ورأى الملك أنه يمكن تسوية المشاكل الأساسية في النزاع العربي - الإسرائيلي وخصوصاً مشكلة اللاجئين والقدس الشرقية، وخاصة بعد انتخاب محمود عباس، وتبنيّ رئيس الوزراء الإسرائيلي - أرئيل شارون - خطة الانسحاب من قطاع غزة في العام الحالي.

وقال: "حتى يكون للفلسطينيين مستقبل، يجب أن يكون لهم دولة قادرة على الحياة، والاستمرار على التراب الفلسطيني"⁽³⁾.

لقد شكّلت هذا المواقف نقطة افتراق أخرى في رصيد العلاقة المتأزّمة أصلاً بين الأردن وحماس، وخيب الإسرائيليون آمال الملك عبد الله الثاني في حصول أيّ تقدم في مسيرة السلام والمفاوضات، وانتهت المهلة المحددة لإقامة الدولة الفلسطينية حسب خارطة الطريق ولم

¹ - الوثائق الأردنية: الوقائع والوثائق الأردنية، 67/3، 124/14.

² - الفاعوري، وائل، الشعلان، سناء: دور جلالة الملك في مكافحة الإرهاب، 84؛ مركز الزيتونة للدراسات: الوثائق الفلسطينية

2005، 20 / 51؛ وثائق أردنية: كلمة الملك عبد الله الثاني أمام الكونغرس الأمريكي، 2007/3/7، <http://www.alrai.com>.

³ - الوثائق الفلسطينية: الوثائق الفلسطينية 2005، 31 / 72؛ أبو جابر، إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي 2005، 95.

تقم تلك الدولة، وأمعن الإسرائيليون في التوغل الاستيطاني في الضفة الغربية فقطع أوصالها، وأنهى أي أمل بإقامة دولة قادرة على البقاء كما أرادها الملك، رغم ما قدمه محور الاعتدال العربي للإسرائيليين، فقد انسحب شارون من قطاع غزة بشكل أحادي، ولم يجر أي تنسيق مع الطرف الفلسطيني أو المحيط الإقليمي، وذلك ما عزز من مواقف ووجهة نظر حماس على حساب محور الاعتدال العربي، الذي يعد الأردن أحد أقطابه الرئيسة؛ مما عزز مواقف حماس، وانتكست آمال دول الاعتدال العربي ومنها الأردن في قيام الدولة الفلسطينية. إن الإسرائيليين وعلى لسان رئيس الوزراء " ارييل شارون" ومن على منبر الجمعية العامة للأمم المتحدة في 15 / 5 / 2005م، أكد في خطابه على الثوابت الإسرائيلية فقال: " لقد جئت من أورشليم القدس، عاصمة الشعب اليهودي منذ ثلاثة آلاف سنة، وهي العاصمة الموحدة لدولة إسرائيل، " وأضاف " إن أرض إسرائيل هي أعلى ما أملكه ونملكه نحن اليهود، وأي تنازل عن أي جزء من أرض أجدادنا، صعب وعسير علينا (1).

لقد شكّلت عملية التطبيع الرسمي بين الأردن وإسرائيل نقطة جدل ساخنة جديدة في العلاقة بين الأردن الرسمي من جهة، والمعارضة الأردنية التي يتزعمها الإخوان المسلمين وحلفاؤهم وحماس من جهة أخرى، فالملك عبد الله الثاني يؤيد أن يكون الحل الدائم وفق رؤية حل الدولتين، فكي يتحقق السلام الدائم لا بدّ من إدماج إسرائيل بصورة كاملة في المنطقة بمجملها من المغرب إلى اليمن، ولكنّ هذا يعتمد على إيجاد دولة فلسطينية مستقلة، يكون أهلها في نهاية المطاف قادرين على العيش بكرامة، ونفوسهم تمتلئ بالأمل (2).

واستمرّ الأردن في نهج التطبيع مع إسرائيل، حيث شهد عام 2005م تطوراً مهماً في

تطبيع العلاقات بين الأردن وإسرائيل، فقد تبادل المسؤولون في البلدين الزيارات، وذلك بعد

¹ – الوثائق الفلسطينية: الوثائق الفلسطينية 2005، 65 / 128؛ أبو جابر، إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي 2005، 270.

² – الفاعوري، وائل والشعلان، سناء: دور جلالة الملك في مكافحة الإرهاب، 84.

فترة انقطاع استمرت عدة سنوات؛ أي منذ انتفاضة الأقصى، وجاءت تلك الزيارات بعد عودة السفير الأردني إلى إسرائيل، كثمره لاتفاق بين كل من مصر والأردن وإسرائيل أثناء قمة شرم الشيخ، وفيها تعهد شارون بإحياء عملية السلام والعودة إلى طاولة المفاوضات. فقد عقدت في عام 2005م ندوة في منطقة الباقورة الأردنية، حضرها مسؤولون من البلدين من بينهم وزير المياه الأردني الأسبق منذر حدادين ووزير البيئة الإسرائيلي شالوم شمعون تم خلالها بحث سبل الاستثمار المائي الإقليمي في حوض نهر الأردن. كما استمرّ عقد المؤتمرات العلمية المشتركة بين الطرفين، وبلغت عمليات التبادل التجاري مستويات متقدمة.

وبلغ التطبيع ذروته حين دعا وزير المالية الأردني الأسبق باسم عوض الله إلى تعاون أكبر بين المستثمرين في البلدين، وتحدث عن ضرورة استعانة إسرائيل بالأردن في إقامة علاقات اقتصادية مع جميع الدول العربية، بعد حلّ القضية الفلسطينية (1).

أما على الصعيد الشعبي في الأردن، فقد تصاعد التحرك الشعبي ضد التطبيع السياسي والاقتصادي والثقافي مع إسرائيل، منذ التوقيع على اتفاقية وادي عربة عام 1994م، ودعت الأحزاب والنقابات لتشكيل " المؤتمر الشعبي الأردني لحماية الوطن ومجابهة التطبيع " الذي أصدر نشرة " المجابهة "، كما أصدرت العديد من اللجان الشعبية نشرات أخرى ضد التطبيع واستمرت وتيرة مجابهة التطبيع مع إسرائيل، ونشطت اللجان الشعبية في التحرك ضد عودة السفير الأردني إلى إسرائيل في عام 2005م، وإقامة مشاريع أردنية — إسرائيلية مشتركة ودخول البضائع الإسرائيلية للأسواق الأردنية (2).

وظل مطلب إلغاء العلاقات بين الأردن وإسرائيل مطلب الشارع الأردني بكل ألوانه

¹ — أبو جابر، إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي 2005، 95 — 96.

² — أبو جابر، إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي 2005، 106 — 107.

السياسية، جاء ذلك الإلحاح الشعبي لكون جميع بنود الاتفاقية لصالح إسرائيل، ولأنّها مخالفة للشرعية الإسلامية، ولأنّها أعطت لليهود الحق في كل شيء، أعطتهم حق أخذ المياه، والتوطين في الأردن ، والشعب الأردني كله يرفض التطبيع، إلا أنّ بعض التجار يحضرون بضائع من إسرائيل، ويستبدلون الماركات، ويروجونها في دول الخليج والدول العربية، على أنّها بضائع عربية، ويؤدي ذلك إلى ضرب الزراعة الأردنية والعربية عن طريق تسويق منتجات المستوطنات الإسرائيلية⁽¹⁾.

هذه المواقف الشعبية تتناغم مع موقف حماس من التطبيع مع إسرائيل ومطالبها المتكررة للدول العربية برفض التطبيع، وكانت حماس قد دعت إلى: " رفض كافة صور التطبيع مع العدو الصهيوني، واستمرار محاصرته سياسياً واقتصادياً، وعدم إفساح المجال للعدو باختراق الحواجز العربية تحت ذريعة موافقة الطرف الفلسطيني "⁽²⁾.

¹ - العلاقات الأردنية - الإسرائيلية، <http://www.alalam.ir/program>.

² - وثائق حماس: مذكرة موجهة إلى وزراء الخارجية العرب، <http://www.palestine-info.info>

الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة عام 2005م

قررت الحكومة الإسرائيلية - وفي خطوة أحادية - تطبيق خطة الانفصال، فقد قال شارون: " خرج آخر الجنود الإسرائيليين من قطاع غزة، وانتهى الحكم العسكري في هذه المنطقة. لقد أثبتت دولة إسرائيل أنها على استعداد لتقديم التنازلات المؤلمة من أجل حلّ النزاع بيننا وبين الفلسطينيين، لقد كان هذا الانفصال عسيراً جداً عليّ، إن المجتمع الإسرائيلي يمر بأزمة عميقة نتيجة عملية الانفصال، وهو بحاجة الآن إلى رأب الصدع"⁽¹⁾.

لم يبدِ الأردن اهتماماً كبيراً بالانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة⁽²⁾، بسبب البُعد الجغرافي للقطاع عن الأراضي الأردنية، بعكس ما هو قائم مع مصر. وأبدى الأردن موقفاً مؤيداً للانسحاب، بشرط أن يكون مرتبطاً مع تنفيذ خطة خارطة الطريق والانسحاب من الضفة الغربية، وهذا ينسجم مع السياسة الأردنية المؤيدة لجميع الحلول السلمية في الشرق الأوسط، وإقامة الدولة الفلسطينية.

وأكد الملك عبد الله الثاني أنه ليس على استعداد للقيام بأي دور أو عمل يعيد الأردن إلى دائرة الاتهام والتشكيك والتخوين، كما حدث في الماضي، ودور الأردن الآن اتجاه هذا الموضوع مثل أي دور لأي بلد عربي⁽³⁾.

لقد سارعت كل من مصر والأردن وموريتانيا وعدد من الدول العربية إلى إقامة وتطوير علاقاتها مع إسرائيل، ولم تنتظر حتى تتضح نتائج الاتصالات السياسية وتطور عملية

¹ - الوثائق الفلسطينية، والوثائق الفلسطينية لسنة 2005، 65 / 128.

² - يذكر بهذا الصدد أن إسرائيل نفذت الانسحاب من قطاع غزة " خطة فك الارتباط " من جانب واحد. (الوثائق الفلسطينية: وثائق

الفلسطينية 2005، 13 / 40.

³ - خطاب جلالة الملك عبد الله إلى معروف البخيت 24 تشرين الثاني 2005م، الفاعوري، وائل، الشعلان، سناء: دور جلالة الملك

في مكافحة الإرهاب، 102؛ أبو جابر، إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي 2005، 102.

السلام وتتهياً الأجواء، لذلك قد استغلّت بعض الأنظمة العربية والإسلامية قضية الانسحاب لتصوير ذلك بأنه تقدم كبير، وتنازل عظيم من قبل إسرائيل، وتحويل شارون إلى "حمامة سلام" مما يدعوها إلى الهرولة نحو إسرائيل، بل وتجرب معها دولا أخرى كثيرة كانت مترددة مما يجعل إسرائيل أكثر المستفيدين، رغم أنها لم تقدم شيئاً على أرض الواقع، وجلّ ما فعلته كان انسحاباً من طرف واحد بدون التنسيق مع أحد (1).

وبذلك فقد انتهت سنة 2005م بانسحاب إسرائيلي أحادي الجانب، لم يُستشَر فيه أحد من العرب سواءً السلطة الفلسطينية، أو دول الجوار العربي التي تقيم علاقات سلام مع إسرائيل ومنها الأردن. أما على صعيد الضفة الغربية فقد زادت وتيرة الاستيطان، ولم تنفذ بنود خطة خارطة الطريق التي أراد لها الملك عبد الله الثاني أن تنفذ، وبذلك ازدادت خيبة آمال العرب في شريك السلام الإسرائيلي.

¹ — حمامي، إبراهيم: صفقة شارون، <http://www.palestine-info.info>

الفصل الرابع
علاقة حماس مع الأردن
2006 – 2007م

الفصل الرابع

علاقة حماس مع الأردن

2006 – 2007م

الإصلاح... الديمقراطية

جاءت استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية، والمبنية على دعائم ثلاث: الأمن والإصلاح والسلام، بنتائج لم تكن واردة في مخيلة حتى من وضع هذه الاستراتيجية، خاصةً وأنها جاءت في إطار تطوير وتطبيق استراتيجية شاملة لخوض الحرب الإيديولوجية ضد ما أسمته " بقوى التطرف الإسلامي"، ومنها حركة حماس وحزب الله، وكان من غاياتها السعي لتقديم قيادات جديدة من خلال الدعوة إلى الإصلاح⁽¹⁾.

ورغم كل التحديات ومنها مدى تقبل الأطراف الإقليمية والدولية لها (خصوصاً مصر، الأردن، الاتحاد الأوروبي، الولايات المتحدة.. الخ) وهي التي تلعب دوراً كبيراً في الحياة الفلسطينية من حيث التأثير السياسي والدعم المالي، إلا أنّ حركة حماس قررت خوض هذه التجربة السياسية الجديدة⁽²⁾.

وقد أدت ضغوطات الولايات المتحدة الأمريكية على حلفائها العرب لإجراء إصلاحات ديمقراطية إلى صعود الحركات الإسلامية وتحقيقها مكاسب سياسية كبرى، سواء في الانتخابات المصرية 2005، والانتخابات الفلسطينية 2006م، والانتخابات التشريعية والبلدية في عدة دول خليجية، وكان ذلك مع بروز النفوذ الإيراني وتراجع المشروع الأمريكي في العراق⁽³⁾.

¹ – الوثائق الفلسطينية: الوثائق الفلسطينية 2005، 18 / 47؛ المعاصر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 237؛ قاسم، عيد الستار:

الاستراتيجية الأمريكية الجديدة، 17.

² – يوسف، أحمد: إستراتيجية حماس، 8.

³ – أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 51؛ المعاصر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 232.

الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام 2006م

جاء في رسالة الرئيس الفلسطيني محمود عباس إلى رئيس لجنة الانتخابات المركزية :
" نود أن نؤكد لكم على أهمية إجراء انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني المقررة في 25
يناير 2006م، وفقاً لقانون الانتخابات العامة الفلسطيني، آخذين بعين الاعتبار ما نصت عليه
خطة خارطة الطريق فيما يتعلق بتعهدنا بإجراء إصلاحات سياسية شاملة للتحضير لإقامة الدولة
بما في ذلك إجراء انتخابات حرة ونزيهة ومفتوحة " (1).

وبناءً عليه فقد جرت الانتخابات التشريعية الفلسطينية في 25/1/2006م، كما خُطِّط
لها، وحصلت فيها قائمة حركة حماس " التغيير والإصلاح " على 74 مقعداً نيابياً من أصل
132 مقعداً، بينما حصلت قائمة " حركة فتح " على 45 مقعداً، وحصل أربعة مرشحين مستقلين
على مستوى الدوائر على أربعة مقاعد، وتوزعت بقيت المقاعد على قوائم اليسار، وقائمة
الطريق الثالث (2).

وقد وصف المحللون فوز حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية بداية عام 2006م بأنه
زلزال سياسي، وباغتت مفاجأته قوى كثيرة إقليمية ودولياً، فضلاً عما أصاب المنطقة من روح
جديدة يمتزج فيها الأمل بالخوف، والحماس بالقلق (3).

وجاء فوز حماس في سياق الإصلاح الديمقراطي في المجتمعات العربية والإسلامية، فأحدى
القضايا الأساسية – التي كانت ولا تزال – مطروحة بقوة على أجندة الإصلاح الديمقراطي في
العالمين العربي والإسلامي، والتي شغلت القوى الداخلية والخارجية معاً، كانت هي ما يؤدي

¹ – الوثائق الفلسطينية : الوثائق الفلسطينية لسنة 2005، 159/81.

² – الوثائق الفلسطينية: تقرير الانتخابات التشريعية الثانية، 7.

³ - مركز القدس للدراسات: فوز حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية، 18، <http://alqudscenter.org>

إليه الإصلاح الديمقراطي من احتمالات لوصول الإسلاميين إلى السلطة ومدى التزامها بقواعد الممارسة الديمقراطية، ويبدو من المثير للتأمل هنا أن تكون مناطق السلطة الفلسطينية في مقدمة " الحالات " التي يُختَبَرُ فيها هذا التحدي (1).

وكان الهدف من الإصلاح والانتخابات هو دمج الحركات الإسلامية المسلحة مثل حماس وحزب الله، والتي تصنف على أنها حركات " مقاومة مسلحة " تعتبرُ أن الجهاد، بما في ذلك ضرب المدنيين هو وسيلة تحرر وطني (2).

وهكذا لم تجرِ الأمور كما خطَّط لها دعاة الإصلاح الأمريكيين وحلفاؤهم في البلاد العربية، فقد استفادت تلك الحركات من مناخ الإصلاح والديمقراطية، وحققت نجاحات ملحوظة، دون أن تغير مواقفها، أو تتخلى عن ثوابتها، بل استمرت في الثبات على نهجها ولم تُلقِ سلاحها، فكانت خيبة أمل دعاة الإصلاح الأمريكيين كبيرة ولم يتحقق ما خططوا له.

كما شاركت حماس وبقوة في الانتخابات القطاعية والطلائعية التي جرت في المؤسسات الفلسطينية على مستوى الأرض المحتلة تحت اسم " الكتلة الإسلامية" (3)، إلا أنها ومن منطلق معارضتها لاتفاق أوسلو وما انبثق عنه من إفرازات (4)، قررت مقاطعة الانتخابات الرئاسية والتشريعية التي جرت في عام 1996م (5)؛ لأنّ هذه الانتخابات تجري تحت سقف أوسلو وطابا التي تنكّرت لحقوق الشعب الفلسطيني، واختزلت قضيته، وتجاهلت العديد من المفاصل

¹ — حرب، أسامة: فلسطين تحت حكم حماس، مجلة السياسة الدولية، ع 164، 2006، ص 6 — 7؛ يوسف، أحمد: الشراكة

السياسية، 19.

² — المعشر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 235.

³ — الحروب، خالد: حماس الفكر والممارسة، 240.

⁴ — غوشة، إبراهيم: اتفاق تنفيذ الحكم الذاتي، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 18، 1994م، ص 291.

⁵ — الحروب، خالد: حماس في الحكم، مجلة سياسات، ع 2، 2007 م، ص 18؛ فهمي، أحمد: حماس بين زمنين، 38.

الجوهريّة في الصراع مع الاحتلال الصهيوني (١).

أما عام 2006 فقد أيقنت حركة حماس بأنّ اتفاقية أوسلو قد انتهت، وأنّ أية التزامات فلسطينية أو تعهدات لم يعد لها معنى.. ومع تنكّر إسرائيل لاتفاقية خارطة الطريق، وشيوع الفساد السياسي والمالي، والمطالبات المتزايدة لحماس بضرورة المشاركة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وللنتائج المتقدمة التي تحققت لكوادر حماس في انتخابات البلديات والنقابات والاتحادات الطلابية، أعطت جميعها - بدون شك - زخماً ومؤشرات لإمكانية أن تتجسّد حماس في إمساك مقود الشعب الفلسطيني وتصدّر قيادته.

لذلك، كانت مشاركة حماس من زاوية أنّ اتفاقية أوسلو - عملياً - قد انتهت، والشعب الفلسطيني أصبح متعلقاً بحماس كطوق نجاة من حالة الضياع السياسي والفلتان الأمني الذي طغى واستشرى بالدرجة التي جعلت الناس يتعلقون بكل من يرفع شعار التغيير، ولقد نظرت حماس إلى الساحة السياسية فشهدت تداعيات تتطلّب منها التدخل لإنقاذ الموقف، والحفاظ على سقف الحقوق والمطالب الفلسطينية من الانهيار (٢).

قررت حركة حماس في عام 2006م المشاركة في انتخابات المجلس التشريعي، لأجل غايات عدة، من أبرزها تحقيق الشرعية الدستورية، يقول د. محمود الزهار: "نحن نحتاج إلى ما يسمى بالشرعية الدستورية حتى نتوجّح ما قدمناه من شرعية جهادية أثبتت قدرتها على التحدي، وأدت في المحصلة إلى طرد الاحتلال من قطاع غزة، وهذه القضية ورقة نرفعها في وجوه من يدعون أننا إرهابيون، لأنّ الشعب الفلسطيني يعطي من يمثله، ويضيف "... أننا عندما رفضنا أوسلو ونرفضه الآن ما تبقى من أوسلو، كإجراءات على الأرض، وليس كقضية قانونية؟

¹ - وثائق حماس: بيان المشاركة في انتخابات مجلس الحكم الذاتي، تشرين الثاني 1995، <http://www.Palestine-info.info>.

² - يوسف، أحمد: استراتيجية حماس، 7.

سنقضي على البقية الباقية من أوصلو (1).

وبذلك تمكنت حماس من أن تجد لنفسها مكاناً رئيسياً في قلب النظام السياسي الفلسطيني وشرعيته التمثيلية⁽²⁾، بفضل الانتخابات، والسيطرة على الحكومة، وعدم السقوط رغم الحصار، وتحولت حماس من حركة معارضة للنظام السياسي إلى جزء منه⁽³⁾.

يقول د. أحمد يوسف⁽⁴⁾: " بعد أن فازت كتلة الإصلاح والتغيير – الواجهة السياسية لحركة حماس – بالانتخابات التشريعية، انتظرنا كإسلاميين أن يفتح لنا العالم الغربي صدره، ويستقبلنا بحفاوة وترحاب انسجاماً مع شعاراته التي أطلقها حول ضرورات نشر الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط، أسوة مع الدعم والتأييد الذي قدمته أمريكا لعمليات التحول الديمقراطي التي شهدتها دول أمريكا اللاتينية، وبعض بلدان أوروبا الشرقية في نهاية الثمانينيات.. ولكن للأسف وجدنا الأبواب تُوصد في وجوهنا، ويناصبنا الجميع العداء، وبدلاً من السعي للتواصل معنا ومحاولة استيعابنا، وضعت أمريكا وأوروبا الممثلتان في اللجنة الرباعية كل العراقيل لشل حراكنا السياسي، وإفشال قدرتنا على تحقيق الإصلاح والتغيير الذي بشرنا به شعبنا بعد المعاناة

¹ – الزهار، محمود: المركز الفلسطيني للإعلام، <http://www.palestine-info.info>؛ بيان حماس: الانتخابات التشريعية، 2005/3/12، <http://www.islamonline.net>؛ أبو مرزوق، موسى: مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 67، 2006م، ص 8؛ فهمي، أحمد: حماس بين زمنين، 39.

² – يرى بعض الباحثين، أن حركة حماس من حيث شعورها بأحقيتها في الحكم وامتلاكها الشرعية، تشعر بأنها بفوزها في الانتخابات إنما استكملت جميع جوانب الشرعية المطلوبة، فهي من ناحية تشعر بأن لديها الشرعية الدينية، وهي كذلك تمتلك الشرعية " الجهادية " نتيجة انخراطها في المقاومة ضد الاحتلال وتقديمها شهداء، وفي مقدمهم قيادات من الصفوف الأولى للحركة. البرغوثي، إياد: تداخل الأيديولوجيا والسياسة في نزوع حماس إلى العنف، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 71، 2007م، ص 56.

² – الزهار، محمود: المركز الفلسطيني للإعلام، <http://www.palestine-info.info>؛ بيان حماس: الانتخابات التشريعية، 3/12/2005؛ موسى أبو مرزوق: مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 67، 2006م، ص 8؛ فهمي، أحمد: حماس بين زمنين، 39.

³ – الحروب، خالد: حماس في الحكم، مجلة سياسات، ع 2، 2007م، ص 15، يوسف، أحمد: الشراكة السياسية، 22 – 23 .

⁴ – أبو عامر، عدنان: الخطاب السياسي لحكومة " حماس " والمجتمع الدولي، مجلة تسامح، 12، 2006م، ص 27.

التي مرّ بها على مدار أكثر من ثلاثة عشر عاماً كانت عجافاً، مارست فيها جهاتٌ داخل السلطة الفلسطينية كلّ مظاهر الفساد المالي والإداري، وفتحت بعض أجهزتها الأمنية المجال لفوضى السلاح والفلتان، لكي يعيش داخل نسيجنا الاجتماعي، ويهدّد مستقبل مشروعنا الوطني" (1).

كان التحدي الأكبر بعد فوز حماس من وجهة نظر إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في المنطقة هو هل ستقبل حماس بقواعد اللعبة؟ وهل ستلتزم بشروط ومطالب إسرائيل والولايات المتحدة والرباعية الدولية (2)؟ وهل ستتخلى حماس عن برنامجها السياسي؟ (3)، وليس المطلوب من حماس أن تقبل بالممارسة الديمقراطية وتداول السلطة، فلو أن حماس التزمت بالشروط الدولية، ومارست الدكتاتورية، ما كان ذلك يثير عليها أحداً في العالم الديمقراطي.

كانت غاية حركة حماس، بعد ما حققت ما أسمته "الشرعية الجهادية" من خلال مسيرة المقاومة، ونجاحها في انتزاع (الشرعية الدستورية) من خلال الفوز الكبير في الانتخابات التشريعية، فإنها بالتأكيد بصدد أن تحقّق "الشرعية الدولية"، وأول حلقاتها تكمن لدى الدول العربية، بحيث يصبح التعامل معها بصورة واضحة من غير مواربة أو خجل؛ ولذلك فلا سبيل لحماس سوى تمتمين هذه العلاقات وتميمتها، بدا ذلك واضحاً بُعيد الانتخابات التشريعية مباشرة.

وأبدى الأردن اهتماماً غير عادي بالانتخابات التشريعية الفلسطينية، وتابع مجرياتها ونتائجها لحظة بلحظة، وقبيل فرز النتائج النهائية كانت الأمور واضحة تماماً لدى دوائر صنع القرار في

1 - يوسف، أحمد: إستراتيجية حماس، 12 - 13.

2 - تمثلت شروط الرباعية في مطالبة حماس بنزع سلاحها، وتفكيك ذراعها العسكري. ونبذ العنف ضد إسرائيل. وإعلان الاعتراف الكامل بإسرائيل، والتعامل مع الاتفاقيات السياسية الموقعة. يوسف، أحمد: إستراتيجية حماس، 13 - 14؛ الوثائق الإسرائيلية: بيان الحكومة الإسرائيلية بشأن الحكومة الفلسطينية الجديدة ورفضها شروط الرباعية، <http://www.altawasul.net>؛ أبو جابر،

إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي 2006، (202)

3 - أبو جابر، إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي 2006، 202؛ جريدة الدستور الأردنية، 13837، 27 / 1 / 2006م، ص 1.

الأردن، بأنّ حماس قد اكتسحت تلك الانتخابات(1).

بدأ الحراك السياسي الأردني الرسمي سريعاً بعد ظهور نتائج الانتخابات التشريعية من خلال الاتصالات التي أجراها الملك مع عدد من زعماء العالم، فقد هاتف الملك عبد الله الثاني الرئيس الفلسطيني محمود عباس، وبحث معه نتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية التي جرت بمشاركة مختلف القوى السياسية هناك.

وأعرب الملك عبد الله الثاني عن أمله في أن تسهم نتائج العملية الانتخابية في ترتيب البيت الفلسطيني، وتعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية، وبناء المؤسسات الفاعلة والقادرة على تحقيق آمال وتطلعات الشعب الفلسطيني، مؤكداً على ضرورة الاستمرار في عملية السلام، مهما كانت نتائج الانتخابات التشريعية، وتمنى أن تسهم تلك النتائج في إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة(2). هذا وقد رحبت الفعاليات السياسية والنقابية والحزبية بما جرى على الأرض الفلسطينية من نزاهة وشفافية أفرزت انتخابات مثلت كل ألوان الطيف الفلسطيني رغم المعاناة.

أمّا عن موقف جماعة الإخوان المسلمين في الأردن فنجدّه ممثلاً في قول المراقب العام عبد المجيد ذنبيات حين قال: " إن مرحلة البرود في العلاقات بين حماس والحكومة الأردنية التي أفرزت إبعاد قادة حماس تجاوزها الزمن، وما بعد الانتخابات الفلسطينية يختلف عما قبلها تماماً ". وأضاف " قادة حماس هم الآن قادة الشعب الفلسطيني وفق الخيار الديمقراطي الذي اختاره الشعب الفلسطيني، وهم الآن ممثلون للشعب وليسوا ممثلين فقط عن حماس، وعلى الحكومة أن تمد يدها لمساندة الأهل في فلسطين استناداً إلى العلاقة التاريخية، والأمر لا يحتاج إلى وساطة، لأن حماس أصبحت خيار الشعب الفلسطيني في قضيته، وشدد على أنّه من مصلحة

¹ - غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء، 330 - 331.

² - جريدة الدستور الأردنية: 13837، 27 / 1 / 2006م، ص1.

الشعبين الأردني والفلسطيني إدامة هذه العلاقة وتعميقها واستمرارها، وتجاوز صفحة الماضي والبحث عن القواسم المشتركة"⁽¹⁾.

وأبدى بعض الكتاب الأردنيين تخوفهم من نتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية وانعكاساتها على التيار الديمقراطي – العلماني، في فلسطين والأردن، وأبدت القوى السياسية غير الإسلامية توجساً فكرياً اجتماعياً خشية امتداد الموج الإسلامي السياسي شرقاً⁽²⁾.

جاءت الانتخابات الفلسطينية تعبيراً عن إرادة شعبية حقيقية في رفض حلول المسيرة السلمية التي استمرت مدة ستة عشر عاماً، ولم تسفر عن نتائج حقيقية ولمموسة تحقق تطلعات وآمال ومصالح الشعب الفلسطيني. وكذلك جاءت كتعبير عقابي على الفساد الذي استشرى في مؤسسات السلطة الفلسطينية طيلة عقد ونيف. ونتيجة لهذه الانتخابات فقد شنّ الحرس القديم " مناهضوا الإصلاح " في المملكة الأردنية الهاشمية، حملة بلا هوادة ضد الإصلاحيين، معتبرين أن فوز الأحزاب الإسلامية في الانتخابات المصرية عام 2005م، وفي العراق 2005م، والأراضي الفلسطينية المحتلة عام 2006م، هو إثبات على مخاطر انفتاح النظام والتحول الديمقراطي، وأرجع مروان المعشر السبب الحقيقي لفوز الإسلاميين " إلى فشل الحكومات التي تعاني من عيوب متعددة، أما الأحزاب الإسلامية فتعد بحكومة أنظف، وتبدو وعودها صادقة لأنه سبق لها أن وثقت بها"⁽³⁾.

وتعتبر هذه الشهادة الصادرة عن أحد أقطاب النظام الأردني المعتدلين وثيقة مهمة يجب على الحركات الإسلامية أن تعتزّ بها، وهي صحيحة إلى حدّ كبير، بدليل أن تلك الحكومات فاقدة للشرعية الشعبية لأنها لم تأت عبر الشرعية الانتخابية، وإنما جاءت بالتعيين، وهي مستمرة

¹ – جريدة الدستور الأردنية: 13839، 29 / 1 / 2006م، ص 1.

² – نفسه، ص 4.

³ – المعشر، مروان: نهج الاعتدال العربي، 251.

في أخطائها، ولم تَسعَ لإصلاحها، بل تُراكمها، ولا زالت تُزيد عليها حتى يومنا هذا.

ويبدو أن الأردن قد شعر أكثر من غيره بصدمة فوز حماس، فعلاقاته بالحركة مقطوعة منذ العام 1999م، حيث انقطع الاتصال بين الجانبين، واقتصرت العلاقة على بعض حدود الاتصالات العملية والأمنية. وعلى الصعيد الفلسطيني، اعتقد الأردن أن سياساته حيال القضية الفلسطينية تعرّضت لطمعنة في الصميم، فقد خسر الرهان على فتح والرئيس الفلسطيني محمود عباس، فهو الذي سمح لفتح بعقد جميع الاجتماعات التحضيرية لمؤتمرها السادس في عمان، وها هو يجد فتح في المعارضة⁽¹⁾، وأمام إخفاق فتح التي طوّرت الأردن معها لغة تفاهم سياسي مشتركة ضمن سياق العملية السلمية، وجد الأردن نفسه أمام حكومة جديدة بخطاب مختلف جذرياً⁽²⁾.

وبالرغم من اللغة الدبلوماسية التي تحدّث بها قادة حماس، ورغم البراغمية العالية التي تحلّى بها قادتها في خطاباتهم مع الدول العربية ومنها الأردن، إلا أن مواقفهم السياسية المبنية على مواقف فكرية أيديولوجية اتّسمت بالثبات على رفض المسيرة السلمية، والرفض المطلق للاعتراف بإسرائيل، والمرادغة في الموقف من المبادرة العربية للسلام، كلّ ذلك يتعارض مع مواقف الأردن المشارك بقوة في المسيرة السلمية، والذي يقيم علاقات ثنائية متينة مع إسرائيل، والداعم بقوة للمبادرة العربية للسلام.

وقادة حماس المطرودون من عمان، عادوا يقرعون أبواب القصر الملكي ورئاسة الحكومة الأردنية كقادة للشعب الفلسطيني، وزعماء الأغلبية في مجلسه التشريعي، وممثلين عن الحكومة والسلطة في فلسطين. إضافةً إلى ما أحدثه ذلك الفوز من إرباك، وجاء بما لا تشتهي

¹ — مركز القدس للدراسات: فوز حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية، 18، <http://alqudscenter.org>

² — جريدة الدستور الأردنية، 13839، 29 / 1 / 2006م، ص 4.

أو تتوقع حليفة الأردن الاستراتيجية " الولايات المتحدة الأمريكية ". أدرك الأردن الأمور سريعاً، وهو كغيره من دول الاعتدال العربي فتحت قناة اتصال مع حماس بعد الانتخابات للأهداف الآتية: - الحفاظ على الهدوء المطلوب في الأراضي الفلسطينية، ولا سيما الدول المجاورة لحدود فلسطين وخاصة مصر والأردن، وما يتطلبه ذلك من إدارة هادئة لحركة حماس لدفة الحكم، من خلال إشراك جميع الأطياف السياسية الفلسطينية في حكومتها.

- الحرص الشديد على أن تبقى السلطة القادمة برئاسة حماس بذات الصيغة القديمة للسلطة بزعامة فتح، بمعنى الدوران في الفلك الدولي، وما يحتمه من التزام بالاتفاقيات الدولية، وحظر ممارسة " العنف "، والبعد عن كل ما قد يخرج السلطة عن الإجماع الدولي، حتى لو كلف ذلك حركة حماس التنازل عن ثوابت كثيرة لتتال الرضا العالمي المطلوب. (1)

لذلك فقد بادر ضباط المخابرات الأردنية، وعلى أعلى المستويات بالاتصال بقيادات من حماس ورُتّب للاجتماع الأول بين الطرفين سريعاً، ففي 2006/2/1 م اجتمع وفد حماس المؤلف من محمد نزال وإبراهيم غوشه ومحمد نصر مع مدير المخابرات العامة محمد الذهبي ومساعدته، وكانت الجلسة تصالحية، حيث أبدت حماس ترحيبها بفتح صفحة جديدة بين الأردن وحركة حماس، ومن جانبه أظهر مدير المخابرات تحمّسه لفتح هذا الملف، وقال إنه سيغادر إلى الولايات المتحدة للحاق بالملك وسيدفع باتجاه تسريع إزالة الحواجز بين حركة حماس وبين الأردن، وباستقبال وفد بقيادة خالد مشعل. وبعد أسبوع اتصلت حركة حماس مع المخابرات الأردنية، وتحدّث الطرفان عن آلية اللقاء، وكان وفد حركة حماس بقيادة خالد مشعل قد بدأ زيارته في العالم العربي والإسلامي والدولي، مستهلاً زيارته بالقاهرة، وقد أكّدت حركة حماس للأردنيين في اللقاء الأول أنها حريصة على أن تكون الزيارة الثانية لوفد الحركة بقيادة خالد

¹ - أبو عامر، عدنان: الخطاب السياسي لحكومة " حماس " والمجتمع الدولي، مجلة تسامح، 12، 2006م، ص27؛

مشعل إلى الأردن؛ لأن الأردن مهم جداً بالنسبة للقضية الفلسطينية(1).

المراقبون في إسرائيل من جانبهم رأوا أنّ سلوك الملك عبد الله الثاني يشير إلى أنّه تعلم من والده المحنك، وهو يدرك أنّ على الأردن أن يهتم بالرياح التي تهبّ على الشرق الأوسط، وأن يرد عندما تتغير الظروف، ويستدلون على ذلك بأنّ الأردن في إطار سياسته اتجاه الحركة كان مختلفاً عن أغلبية الدول العربية، ففي دمشق حصل قادة حماس على الدعم والمساعدة، وكانوا يزورون مصر كضيوف – حتى عندما كانت الخلافات شديدة معهم – والسعوديون مثل الإيرانيين تبرّعوا بالكثير من المال لحماس وما زالوا. أما الملك عبد الله الثاني فقد كان حازماً في معارضته لأي صلة مع حماس؛ فلم يسمح لقادة الحركة بالدخول إلى أراضيه، ولم يعقد صلات معهم في دول أخرى، ولاحق الأردن خلايا حماس في أراضيه، ولم يسمح للمواطنين الأردنيين بالتبرع للحركة.

وبدأت ملامح التغيير بعد الانتخابات تلوح في الأفق، وبدأت عملية تقارب واضحة بين الأردن وحماس، فقد أدرك الأردنيون بأنّ الصراع في أوساط الفلسطينيين حُسم لصالح حماس؛ لذا يجدر بهم أن يتوصلوا إلى اتفاقيات معها، حتى لو لم تصمد كثيراً، إلا أنّها ستوفر للأردن الهدوء على المدى القصير.

وأيّقن المراقبون بأنّ هذا الأمر لن يؤدي إلى قطع علاقة الأردن بإسرائيل، لأنّ الأردن يحاول دائماً إبقاء أكثر من خيار مفتوح لديه. فهل يمكن إعادة الدولار إلى الوراء؟ الرد نعم. إن اتضح للأردنيين أن إسرائيل أو ما تبقى من فتح تتجحان في ضرب حماس، فلن يتردد في

¹ - Tamimi, Azzam: **HAMAS unwritten chapters**, p 234 - 217

الانتقال إلى الجانب الآخر⁽¹⁾.

هذا التحليل يحمل شيئاً من الصحة، بدليل أن الأردن في أسوأ الأحوال أبقى الملف الإنساني الذي يحمل بين طياته العديد من الدلالات السياسية الواضحة مفتوحاً على أوسع أبوابه لحركة حماس، ليبقى الأردن ممسكاً العصا من المنتصف مع الميل الواضح للغرب.

واستمرت تلك الاتصالات، إلا أن دول الاعتدال العربي، بدت ذات علاقات متباينة مع حركة حماس التي أصبحت تدير الشؤون الفلسطينية رسمياً، الأمر الذي يحتم عليها سياسياً على الأقل أن تتعامل معها كحكومة شقيقة بعيداً عن تجارب الماضي، التي امتازت بالتجاهل تارةً وبالإقصاء تارةً أخرى، وربما ما يميز جميع تلك الدول أنها ذات علاقات جيدة مع المحور الغربي على أقل تقدير، وذات صلات تحالفية استراتيجية في أحسن الأحوال⁽²⁾.

لذا فقد استمرت الاتصالات بين مد وجذب، استطاعت حماس خلالها إحراز بعض الاختراقات لصالحها مع بعض دول هذا المحور، وأخفقت مع البعض الآخر من تلك الدول. فقد اعتبر الأردن من الناحية الظاهرية نجاح حركة حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية أمراً داخلياً فلسطينياً، إلا أنها أظهرت عدم ارتياحها لهذا النجاح، بسبب توتر علاقاته مع حماس منذ إبعاد أربعة من قادتها، وربط بين فوز حماس وبين جماعة الإخوان المسلمين في الأردن إذ خشي أن يؤدي ذلك إلى زيادة مطامعهم، ولهذا فقد حذر رئيس الوزراء الأردني معروف البخيت الإخوان المسلمين في الأردن من استغلال فوز حماس، وقال: " لا بد من التمييز بين ما هو تنظيم فلسطيني مثل حماس، وما هو أردني، ولا يجوز أن ينتشدد البعض

¹ — عميدور، يعكوف: حوار الأردن مع حماس، ترجمة المركز الفلسطيني للإعلام، <http://www.palestine-info.info>

² — أبو عامر، عدنان: الخطاب السياسي لحكومة " حماس " والمجتمع الدولي، مجلة تسامح، 12، 2006م، ص 24—25.

للمزايدة على أصحاب الشأن في فلسطين بعيداً عن الواقعية " (1).

حماس من جانبها وعلى اعتبار أنها تنظر إلى القضية الفلسطينية باعتبارها قضية الأمة المركزية، أرادت تعميق الروابط مع دول الجوار العربي كمصر وسوريا والأردن ولبنان، وأن هذا الرباط يجب أن يكون جوهر السياسة الفلسطينية، كما أن دولة مثل السعودية، بما تمثله من ثقل ديني وسياسي، وإمكانات مالية هائلة يجب أن لا تغيب عن أي ترتيبات تتعلّق بالسلم أو الحرب مع إسرائيل، كما أن السعودية هي المفتاح للدول الخليجية، وهذا يستدعي أن تحافظ حماس على مركزية العلاقة معها، وكسب مواقفها في كل ما تخطط له، أو تتطلع إليه لتحقيق حلم شعبها في دولة فلسطينية حرة ومستقلة (2).

إلا أنه لم يكن من الصعب على المحللين المتابعين للسياسة الأردنية أن يصلوا إلى نتيجة مفادها؛ أن النظام الأردني لن يرحّب بفوز حماس في الانتخابات التشريعية، وأنه سيحاول العودة بالسلطة الفلسطينية إلى حكم حركة فتح، التي قادت الشعب الفلسطيني نحو القبول بالتسوية مع إسرائيل.

وقد تمثّل ذلك بشكل واضح في رفض الأردن استقبال رئيس الوزراء الفلسطيني المنتخب إسماعيل هنية، وفي إثارة قضية تهريب الأسلحة إلى الأردن، التي قالت عنها المخابرات الأردنية إنها كانت ستستخدم ضد النظام الأردني، كما منّع العديد من المسؤولين في حكومة حماس من السفر إلى الأردن أو عبور الأراضي الأردنية، رغم استقبال مسؤولين من إسرائيل ومن الرئاسة الفلسطينية في عمان. وبينما ساهم الأردن في الحصار المالي المضروب

¹ — أبو جابر، إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2006؛ 149؛ مركز القدس للدراسات: فوز حماس في الانتخابات

التشريعية الفلسطينية، 18، <http://alqudscenter.org>.

² — يوسف، أحمد: إستراتيجية حماس، 23.

على حكومة حماس، فقد حرص النظام على الإعلان عن إرساله معونات غذائية وطبية للشعب الفلسطيني⁽¹⁾.

جاءت هذه الأحداث في ظل احتدام الصراع بين الحكومة الفلسطينية من جهة والسلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة أخرى، حول أحقية من يتولى ملف العلاقات الخارجية. فجاءت رسالة فاروق القدومي، إلى وزير الخارجية الفلسطيني محمود الزهار⁽²⁾ لتصبّ في مصلحة الرئاسة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية.

وعن العلاقة ما بين الحكومات الفلسطينية – التي تشكلت بعد فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام 2006م – مع الأردن، يقول نائب رئيس الوزراء الفلسطيني السابق الدكتور ناصر الدين الشاعر " أنه لم تكن هناك أي علاقات دبلوماسية طبيعية ما بين الحكومة الفلسطينية العاشرة أو حكومة الوحدة الوطنية مع الأردن، وذلك بسبب الخلافات الفلسطينية – الفلسطينية، وحالة عدم الاستقرار في الأراضي الفلسطينية، وحالة الفلتان الأمني التي أعقبت فوز حماس في الانتخابات التشريعية لفلسطين عام 2006م؛ لذلك لم تتمكن الحكومات الفلسطينية والتي شكّلتها حماس من التواصل طبيعياً مع الأردن"⁽³⁾.

وما عززّ قناعات الحكومة الأردنية حسب وجهة نظر طاهر المصري أنّ حماس الإخوانية أصبحت الوجه الجهادي للإخوان المسلمين، من هنا يمكن أن نقدر مدى القلق الذي تظهره

¹ – قاسم، عبد الستار: حماس والأردن، مجلة السياسة الدولية، ع 170، 2007م، ص136؛ مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 67، 2006م، ص 191.

² – تمسك فاروق القدومي في تلك الرسالة، ببقاء منظمة التحرير الفلسطينية غطاءً شرعياً ودولياً للحكومة الفلسطينية العاشرة "حكومة حماس". الوثائق الفلسطينية: رسالة رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية الخارجية فاروق القدومي إلى وزير

الشؤون الخارجية محمود الزهار، 2006/5/21، <http://www.palestine-info.info>؛ مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 67، 2006م، ص184.

³ – الشاعر، ناصر الدين: علاقة الحكومة الفلسطينية مع الأردن عام 2006 – 2007م، 2010/7/1م، مقابلة شخصية.

الحكومة الأردنية من هذه الحقيقة، وانعكاساتها على الساحة الأردنية، أي حرصاً على أن لا تصبح حماس الفلسطينية الإخوانية جزءاً رئيسياً من المعادلة الداخلية⁽¹⁾.

لم تخرج مواقف الأردن عن نسق مواقف المجتمع الدولي، الذي لوَّح بسيف العقوبات الاقتصادية والمالية، وهاوة تصنيف حماس كجهة راعية للإرهاب بل إن أكثر الدول الأوروبية اعتدالاً، لا تقبل بأقل من أن تلقي حماس بسلاحها وميثاقها قبل أن تكمل احتفالات النصر. فالأردن ينتظر من حماس النطق بالكلمات السحرية عن الميثاق والسلاح، لتقرير طبيعة علاقته مع سلطة تقودها الحركة الإسلامية⁽²⁾.

وقد شرح معروف البخيت رئيس الوزراء الأردني - آنذاك - سياسة بلاده في التعامل مع حماس، وأكد على أن علاقات بلاده مع حماس في الداخل متوازنة مثلها مثل أي فصيل فلسطيني، وأن أسلوب التعامل المستقبلي معهم مرهون بأجندة الحكومة وبرنامجهما في المرحلة المقبلة، وفرّق البخيت بين حماس الداخل والتي اعتبرها فصيل فلسطيني والقيادة في الخارج، مشيراً إلى أنه يوجد مع بعض قادة حماس في الخارج إشكالات قانونية وسياسية أملتتها ظروف معينة، وأن أي تغيير في أسلوب التعامل معهم يتطلب إنضاج ظروف معينة، وتغيير واقع معين، وهذا لا يشمل العلاقات الإنسانية⁽³⁾.

إلا أن خالد مشعل قد ألمح إلى أن حماس لمست بعد الانتخابات مؤشرات من الحكومة الأردنية، لطى صفحة الماضي، ليدل ذلك كله على أن شيئاً يحدث خلف الكواليس السياسية ليوضح مدى الرغبة المترددة للأردن في إعادة العلاقة مع حركة حماس، ربما كان هناك حملة

¹ - أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 12؛

¹ - Tamimi Azzam: **HAMAS unwritten chapters**, p 234 - 217

² - مركز القدس للدراسات: فوز حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية، 3. <http://alqudscenter.org/arabic>

³ - أبو جابر، إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2006، 149؛

Tamimi, Azzam: **HAMAS unwritten chapters**, p 234 - 217

من التشويش ساهمت في العرقلة والتردد، من خلال إشاعة أن أطرافاً عربية تحاول إفشال حماس خوفاً من تنامي سطوة التيارات الإسلامية في بلدانها من جهة، ومن جهة أخرى أشيع أن هناك من الإخوان المسلمين في الأردن من يطمح إلى استثمار صعود الإسلاميين في فلسطين، وقبلها في مصر، لتحقيق اختراق في الانتخابات النيابية، مما دفع بالقصر الملكي الأردني إلى أن يعيد النظر في إمكانية تكبير الانتخابات كما كان منظورا، رغم أن خالد مشعل أكد بوضوح أن نجاح حماس ليس مأزقا للنظام العربي الرسمي⁽¹⁾.

من جانبه أكد معروف البخيت أن الحكومة الأردنية ترحب بزيارة وفد من قيادة حماس، وأوضح أن حماس لم تطلب عقد لقاء مع الحكومة، وأكد مرة أخرى أنه لا يوجد أي تحفظ على استقبال قادة حماس، لكنه عاد ليربط ذلك بضرورة معالجة قضية حملة الجواز الأردني منهم.

في المقابل أشار محمد نزال إلى أن قادة حماس لا يجدون تعاضاً بين كونهم قادة تنظيم فلسطيني، ويحملون في الوقت ذاته الجنسية الأردنية، وانطلق في ذلك من منطلق أن حماس لا تعترف بقرار فك الارتباط مع الضفة الغربية، ودعا نزال إلى ضرورة عدم وضع العراقيل أمام إعادة العلاقة بين حماس والحكومة الأردنية.

بقيت تفاعلات هذه القضية حتى بدء مؤتمر البرلمانين العرب في عمان في 27/2/2006م، الذي اشترطت فيه الحكومة الأردنية أن يقتصر وفد حماس البرلماني على أبناء غزة، هذا القرار دفع بقيادة الحركة إلى اتخاذ القرار بإلغاء الزيارة إلى الأردن بسبب إصرار الحكومة الأردنية على رفض أن يرأس وفد حماس خالد مشعل، لكونه يحمل الجنسية الأردنية، واشترطت أن يرأسه موسى أبو مرزوق⁽²⁾.

¹ - جمال، محمد: زيارات حماس، 14 - 15.

² - نفسه، 16.

وبدا واضحاً أن الأردن حسم خياراته الصعبة، خاصة بعد زيارة الملك للولايات المتحدة الأمريكية، فالأردن يقع بين الضغوطات الداخلية المتمثلة بالإسلاميين والقوى المؤيدة لهم وهم الذين يشكلون القوة الحقيقية للمعارضة، إضافة إلى الضغط الشعبي الأردني - الفلسطيني على الساحة الأردنية، الداعم وبقوة نحو تصحيح العلاقة مع حماس.

بالمقابل فإن الأردن الذي يتعرّض لضغوط دولية كبيرة، أبرزها التهديد بقطع المعونة عن الأردن وهي في حاجة ماسة إليها المحتاج إليها بشدة لذا؛ فإن صانع القرار في عمان سار باتجاه عدم إعادة تصويب العلاقة مع حركة حماس، ولكن دون إيصاد الباب في وجهها نهائياً لضرورات داخلية.

وحملت السياسات الأمريكية الجديدة مع العام 2006 م مضمونين رئيسيين، ساهما معا في زيادة المسافة الفاصلة بين الأردن وحماس:

— المضمون الأول تمثّل بالتركيز على بناء تحالف إقليمي في مواجهة إيران وحلفائها.
— والمضمون الثاني هو تجديد التحالف مع الأنظمة العربية في مواجهة الحركات الإسلامية الصاعدة⁽¹⁾.

وقد انعكست السياسات الأمريكية بصورة مباشرة على الحالة الإقليمية، إذ بدت الاصطفافات الإقليمية، إيران وسوريا ومعها حزب الله وحماس وحركات إسلامية أخرى في محور " الممانعة"، في حين اصطفت السعودية ومصر والأردن والإمارات العربية والسلطة الفلسطينية في محور " الاعتدال العربي"، وحدّد الأردن خياراته في التصدي لخطر النفوذ الإقليمي الإيراني ثقافياً وسياسياً وأمنياً⁽²⁾.

¹ — أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 51.

² — نفسه، 51 — 52.

فاستمرت القطيعة بين الأردن وحماس، واستمر الانحياز الرسمي الأردني لرئاسة السلطة الفلسطينية⁽¹⁾، فخلال فترة تولي حماس لرئاسة الحكومة الفلسطينية لم تستقبل الحكومة الأردنية رئيس وزراء السلطة الفلسطينية، بل إن زيارة مقررة لوزير الخارجية د. محمود الزهار إلى عمان تم ألغيت قبل يوم من موعدها المقرر، وأعلن عن الكشف عن خلية تابعة لحركة حماس كانت تخطط للقيام بعمليات عسكرية في الأردن وتهريب أسلحة، وتم تحويل المتهمين إلى محكمة أمن الدولة. وبعد ذلك أعلن عن اعتقال شبكة جديدة لحركة حماس، تقوم بعملية استطلاع وجمع معلومات عن مواقع عسكرية وهامة في الأردن⁽²⁾.

وفي المقابل أجرت حركة الإخوان المسلمين في الأردن تحقيقات خاصة بها، وتبين لها أن هؤلاء الثلاثة المتهمين لا ينتمون لأي حزب إسلامي.

في المقابل صعد محمود عباس من لهجته ضد حماس، وعبر عن دهشته من استخدام حماس للأراضي الأردنية وتهديد أمن الدولة. وهكذا بدأت المؤامرة ضد حركة حماس من قبل قيادات بارزة في حركة فتح، وبالتعاون مع أصدقائهم الأمريكيين والأوروبيين والإسرائيليين⁽³⁾. ومرة أخرى يعود الحديث الرسمي الأردني ليدور عن الملف الأمني، وأن حماس تعبت بأمن وسلامة وهيبة الدولة الأردنية، وأنها تعمل على رصد وجمع معلومات عن مواقعه العسكرية الهامة، وذلك من أجل تبرير استمرار الحكومة الأردنية في القطيعة مع حركة حماس التي أضحت تمثل رقماً صعباً في الساحة الفلسطينية، مما يعني استمرار الأردن في المراهنة على السلام مع إسرائيل، والاستمرار في طرح المبادرة العربية كحل وحيد للصراع العربي –

¹ – قاسم، عبد الستار: حماس والأردن، مجلة السياسة الدولية، ع 170، 2007م، ص136.

² – المعايطه، سميح: الدولة والإخوان، 51 – 52؛ 20

Tamimi, Azzam: **HAMAS unwritten chapters**, p 234 - 217

³ - Tamimi, Azzam: **HAMAS unwritten chapters**, p 234 - 217

الإسرائيلي من جهة، والاستمرار كذلك في الرهان على رئاسة السلطة الفلسطينية كشريك استراتيجي في عملية السلام، والعمل بشكل مشترك مع أطراف إقليمية ودولية على عزل وإفشال حركة حماس بعد فوزها بالأغلبية في المجلس التشريعي، وتشكيلها للحكومة الفلسطينية، خوفاً من تكرار سيناريو فوز حماس في دول عربية أخرى.

وسواءً صحّت الرواية الرسمية الأردنية، أو رواية حركة حماس في قضية الأسلحة، فالمؤكّد أنّ هذه الأسلحة لم تستهدف المس بأمن وسلامة الأردن، أو كيانه السياسي، وإنما كان هدفها ووجهتها الأرض المحتلة في فلسطين.

وأبدت المملكة الأردنية اهتماماً ملحوظاً لاحتواء عمليات الاقتتال بين العناصر التابعة لحركة فتح وحماس، وجاء هذا الاهتمام مقروناً بدعوة لتشكيل حكومة وحدة وطنية⁽¹⁾.

إلا أنّ الأردن وفي تعليقه على حالة الاقتتال الداخلي في قطاع غزة على لسان الملك عبد الله الثاني، قدّ دعا إلى وقف التصعيد الخطير في الأراضي الفلسطينية، وإنهاء أعمال العنف والاقتتال الداخلي، والمحافظة على وحدة الشعب الفلسطيني، وأكد أنّ ذلك يشكلّ أولوية قصوى بالنسبة إلى الأردن⁽²⁾.

وكان الدافع المباشر لهذا الحرص هو الانعكاسات الأمنية الداخلية والخارجية السلبية على الأردن جراء الاقتتال بين حركتي فتح وحماس، ففي لقاء جمع الملك عبد الله الثاني مع نخبة من رجالات الأردن عام 2006م من أصل فلسطيني، عبّر الملك عن هذه المخاطر بقوله: "إنّ الأردن يستطيع تحمل حرب أهلية في العراق أو لبنان لفترة طويلة جداً لكنه لا يستطيع تحمل

¹ - أبو جابر، إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2007، 164 - 165.

² - جريدة الدستور الأردنية: 14336، 1/26/ 2006م، ص1.

حرب مماثلة في فلسطين لأكثر من شهر أو شهرين" (١).

اتفاق مكة وحكومة الوحدة الوطنية

وجّه الملك عبد الله بن عبد العزيز في 2007/1/29م دعوة إلى قيادات الشعب الفلسطيني للالتقاء والتحاور في السعودية (٢).

ولقيت دعوته ترحيباً فورياً من الرئاسة الفلسطينية ومن حركة حماس، وتم توقيع الاتفاق بين حركتي فتح وحماس في 2007/2/8م (٣). والذي نص في بنده الثاني على "الاتفاق وبصورة نهائية على تشكيل حكومة وحدة وطنية فلسطينية، وفق اتفاق تفصيلي معتمد من الطرفين، والشروع العاجل في اتخاذ الإجراءات الدستورية لتشكيلها" (٤).

وبناءً على ما سبق فقد اصدر الرئيس الفلسطيني محمود عباس مرسوماً رئاسياً بتشكيل الحكومة الفلسطينية الحادية عشرة وذلك في 2007/3/17م (٥)، وفي نفس اليوم عُرضت الحكومة برئاسة إسماعيل هنية على المجلس التشريعي الفلسطيني، وفازت بثقته (٦).

وبما أن الأردن لا يمكنه الابتعاد كثيراً عن مجريات الأحداث في فلسطين، التي من الممكن أن تصل إلى الضفة الشرقية من النهر بحكم الخصوصية الفلسطينية على أرضه، وفي هذا الإطار اعتبر الملك عبد الله الثاني الاتفاق الذي توصلت إليه حركتا فتح وحماس في مكة، بالخطوة المهمة لوقف نزيف الدم الفلسطيني، وتعزيز وحدة الشعب الفلسطيني، على طريق

١ - أبو جابر، إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2007، 164 - 165.

٢ - مشعل، أحمد وآخرون: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2007 م، 30.

٣ - صافي، خالد: اتفاق مكة واقع وتحديات، سياسات، 2007، ع2، 43.

٤ - الوثائق الفلسطينية، اتفاق مكة، 2007/2/8، <http://www.palestine-info.info>.

٥ - جريدة القدس، ع 13498، 2007/3/18، ص10.

٦ - نفسه، ص1.

استعادة حقوقه المشروعة، وفي مقدمتها إقامة دولته الفلسطينية. (1)

وأرسل رئيس الوزراء الأردني معروف البخيت برقية إلى رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية هنأه فيها بتشكيل حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية، وحصولها على ثقة المجلس التشريعي، وأكد البخيت أن توجيهات جلاله الملك عبد الله الثاني للحكومة، تؤكد دوماً على توفير كل أشكال الدعم السياسي للسلطة الفلسطينية.

ورحب الناطق الرسمي باسم الحكومة الأردنية ناصر جودة بتوقيع اتفاق مكة بين فتح وحماس، معتبراً أنه يشكل خطوة مهمة على طريق تحقيق الوحدة الفلسطينية، وأعرب عن أمله في أن يقرب هذا الاتفاق الشعب الفلسطيني من تحقيق طموحاته وأماله (2).

كما رحب الأمين العام لجبهة العمل الإسلامي زكي بني ارشيد بالإعلان عن تشكيل حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية، وطالب الحكومات العربية بإسناد هذه التجربة، وإنفاذ قرارات سابقة للجامعة العربية بفك الحصار الظالم عن الشعب الفلسطيني (3).

ووصل الأمر إلى أن الحكومة الأردنية لن تفرض أي حظر على أي وزير من حماس في حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية، وأنها سوف تتعاون مع الحكومة الجديدة المنوي تشكيلها، وأنها ستسعى لرفع الحصار الجائر عن الشعب الفلسطيني عبر المحافل الدولية (4).

لقد توقع الملك عبد الله الثاني من الحكومة الفلسطينية الجديدة التزام السياسات المتفق عليها في اللجنة الرباعية، كما توقع أن اتفاق مكة سيوقف أعمال العنف التي خرجت عن نطاق

¹ - مشعل، أحمد وآخرون: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2007 م، 164؛ جريدة الدستور الأردنية، ع 14210، 2007/2/10، ص 1.

² - جريدة الدستور الأردنية، ع 14209، 9 / 2 / 2007، ص 1؛ جريدة القدس، ع 13498، 2007/3/18، ص 34.

³ - جريدة القدس، ع 13498، 2007/3/18، ص 34.

⁴ - إبراهيم، يوسف: اتفاق مكة بين المؤيدين والمعارضين، <http://ww.ras.ajorg>.

السيطرة بين الفصائل الفلسطينية، وهو محاولة لإيجاد وسيلة للمضي قدماً، فهناك حكومة قيد التشكيل، وليست الأطراف الدولية وحدها بل الدول العربية أيضاً تتوقع من الحكومة الفلسطينية الجديدة الالتزام بالسياسات المتفق عليها في اللجنة الرباعية، وفي الرباعية العربية أيضاً⁽¹⁾.

ومن الناحية العملية فالأردن ربما يكون على وشك التعرّض لانتكاسة استراتيجية كبرى خاصة في ضوء تصريحات الملك "عبد الله الثاني" بأن الفشل في تحقيق السلام الإسرائيلي - الفلسطيني خلال الفترة القادمة قد يعني القضاء على إمكانية تحقيق السلام، ولا شك أن اتفاق حماس وفتح يشكل انتكاسة لآمال إحرار تقدّم على هذا الصعيد، فمن بين التداخيات المحتملة للاتفاق أن يعيد البعض داخل إسرائيل النظر في سياسة الانسحاب الأحادي الجانب، الأمر الذي تترقبه الأردن بخوف؛ لاحتمال خلقه فراغاً بالصفة الغربية ستسعى حماس لملئه، وحتى إذا لم تتحرك إسرائيل في هذا الاتجاه فإنّ تنامي قوة حماس في مواجهة عباس قد يؤدي إلى تعزيز مؤيديها داخل الأردن، أي جبهة العمل الإسلامي⁽²⁾.

استمرت حماس وحكوماتها في الثبات على مواقفها، المتمثلة في رفض شروط الرباعية، وأهمها رفض الاعتراف بإسرائيل، وبالمقابل لم تقدّم إسرائيل من ناحيتها لشريكها في المفاوضات الرئيس الفلسطينية محمود عباس أي شيء ملموس، واستمرت أزمة الشرق الأوسط على حالها، واستمرت مفاوضات السلام تراوح مكانها، دون نتيجة تُذكر.

واستمرّ الأردن رغم ذلك في دعم نهج السلام، وبيّنت الحكومة الأردنية، أنّ المصالح الوطنية الأردنية تتضرر من الصراعات الإقليمية، ومع تنامي الدور الإيراني بركيزته الطائفية الشيعية التي أضحت جواراً مقلقاً للأردن في العراق ولبنان ناهيك عن التحالف الإيراني -

¹ - الوثائق الأردنية: للملك عبد الله الثاني، <http://www.alrai.com>.

² - روبرت، مملووف: اتفاق مكة معضلة جديدة لأمريكا، <http://www.islamonline.net>.

السوري، وعلاقات إيران مع حركتي حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين، كما أنّ الأردن وبعد اتفاقية وادي عربة وأوسلو، وضمن تعريفه للأولويات الوطنية، بدأ يُمارس سياسة "الطلاق السياسي والاجتماعي" مع الحركة الإسلامية في الأردن وفلسطين، وأصبحت الحركة الإسلامية تشكل عبئاً ثقيلاً على الأجندة الأردنية القائمة على التسوية، لذلك فإنّ أي مواجهة عسكرية في فلسطين تحسم لصالح حركة حماس سيرها الأردن سلبية من هذا المنظور (1).

وتبدو الأمور واضحةً بشكل جلي فالأردن يتحدث عن الخطر الإيراني الشيعي، وذلك في إطار التساوق مع أطروحات الولايات المتحدة الأمريكية حليفته الاستراتيجية، والتي تتحدث عن خطر الملف النووي الإيراني.

ويرى الباحث جواد الحمد أنّ التحوّلات الاستراتيجية التي شهدتها الساحة الفلسطينية الداخلية - والمتمثلة في سيطرة حماس على برلمان وحكومة السلطة الفلسطينية في الانتخابات البرلمانية عام 2006م، ونجاحها في تحجيم نفوذ فتح، وتعطيل عملية السلام، ومنع التوصل إلى اتفاق مع إسرائيل - لأن ذلك لا يناسب برنامجها القائم على رفض التنازل، وعدم الاعتراف بإسرائيل - هو ما يُسبب إشكالات لسياسة المملكة إزاء القضية سياسياً، وإزاء مكوناتها الداخلية في ظل رهاناته السابقة كلياً على حركة فتح كطرف شريك في ترسيم العلاقة بين فلسطين والأردن، وإبرام اتفاق سلام مع إسرائيل لا يكون على حساب الأردن، فيما عُرف بالوطن البديل عبر إقامة دولة فلسطينية مستقلة في فلسطين (2).

¹ - أبو جابر، إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2007، 165.

² - الحمد، جواد: الأردن إعادة تنظيم الخارطة، <http://www.mesc.com>.

حماس والحسم العسكري

تُوصف علاقة منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية من جهة، وحماس من جهة أخرى، بأنها معقدة وفريدة، فهم شركاء الدم والهدف، ومختلفو الأسلوب والمنهج، وتتأثر العلاقة ما بينهم بعوامل ذاتية، وعوامل موضوعية، بحيث لا يسمح لهما بالالتقاء على برنامج الحد الأدنى (برنامج وطني توافقي) فبعد فوز حماس في الانتخابات التشريعية، رفضت حركة فتح الشراكة السياسية معها ورفضت المشاركة في حكومة وحدة وطنية كانت قد دعت إليها حماس⁽¹⁾. وسادت المناطق الفلسطينية حالة من الفوضى، والفلتان الأمني والاضرابات المسيسة في القطاع الحكومي بسبب أزمة الرواتب، والتي كادت أن تشل الحياة في المناطق الفلسطينية، وسادت حالة من عدم الرضا بالواقع الجديد، وحمل الرئيس الفلسطيني أبو مازن الصواريخ المسؤولة عن الحصار، في إشارة إلى فصائل المقاومة⁽²⁾.

وانقسم النظام السياسي الفلسطيني إلى معسكرين، المعسكر الأول الرئاسة الفلسطينية ومعها حركة فتح والأجهزة الأمنية التي أتت للرئاسة منذ فوز حماس في الانتخابات عام 2006، والمعسكر الثاني الحكومة الفلسطينية والمجلس التشريعي ذو الأغلبية الحمساوية ومعهم حركة المقاومة الإسلامية "حماس".

ومع ازدياد حالة الفلتان الأمني، والصراع المسلح بين الفرقاء الفلسطينيين، بتدخلات دولية وإقليمية، حينها قررت حماس إجراء عملية الحسم العسكري في قطاع غزة كما – تصفها الحركة – في عام 2007م، والتي يطلق عليها فريق الرئاسة عملية الانقلاب العسكري، ورفضت فتح إجراء أي حوار مع حماس إلا بعد تراجع الأخيرة عن انقلابها في قطاع غزة⁽³⁾.

¹ – نافع، بشير: الوضع الفلسطيني الداخلي، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2006، 27.

² – عيتاني، مريم: صراع الصلاحيات بين فتح وحماس، 47.

³ – مشعل، أحمد وآخرون: التقرير الاستراتيجي 2007، 44؛ جريدة الدستور، ع 14338، 18/6/2007م، 1.

وعليه قرّر الرئيس الفلسطيني محمود عباس إقالة حكومة حماس، وتكليف حكومة طوارئ في الضفة الغربية برئاسة الدكتور سلام فياض (1). وتمتدّس كل طرف خلف مواقفه، وانتهى عام 2007م على ذلك الحال من الانقسام بين شطري الوطن (2).

شعرت حماس أنّها خذلت (3) من مناهضيتها في الساحة الفلسطينية، وأنّ أطرافاً في المنظمة سعوا جاهدين وبقوة السلاح إلى نزع الإنجاز الذي حقّقه حماس، وعزلها، لذلك قامت حماس بالتحرك السريع والمباغت والخاطف لا للاستيلاء على السلطة من وجهة نظرها، وإنّما لمنع الآخرين من الاستيلاء عليها (4).

وبعد نجاح حماس في فرض سيطرتها الكاملة على قطاع غزة، بدأ الحديث الأردني عن التدخل الإيراني، فأعلن رئيس الحكومة الأردنية أنّ بلاده ترى أنّ التصعيد في قطاع غزة مفتعل من بعض الأطراف الإقليمية؛ لصرف الانتباه عن ملفات إقليمية أكبر، ثم عاد ليتحدّث عن اتفاق بين حركة حماس وإيران، يقضي بقيام الأخيرة بتدريب عناصر الحركة وتزويدها بالسلاح (5). وهكذا بدأ الانحياز الأردني واضحاً لصالح فريق الرئاسة الفلسطينية، إثر الحسم العسكري الذي قامت به حماس في قطاع غزة، فقد جدّد الناطق الرسمي باسم الحكومة الأردنية ناصر جودة تأكيد الأردن على وجوب احترام الشرعية الفلسطينية التي تجسّدها منظمة التحرير الفلسطينية

¹ – الوثائق الفلسطينية: مرسومان رئاسيان بشأن تشكيل حكومة إنفاذ أحكام الطوارئ، وإقالة رئيس الوزراء، <http://www.alzaytouna.net>

² – مشعل، خالد: مجلة الدراسات الفلسطينية، ع76، 2008م، ص 78؛ رميح، طلعت: أسر الجندي الصهيوني، مجلة البيان، 55/227 – 56، 2006م.

³ – برى الدكتور إياد البرغوثي أنّ الحالات التي لجأ الإسلاميون فيها إلى العنف في فلسطين خلال الأعوام الثلاثين الأخيرة كانت معدة إعداداً جيداً، ويباغنون منافسهم بشكل جيد على طريقة " الحرب الخاطفة " إذا شعروا بأنهم ظلّموا، إذ لم يعطوا الفرصة الكافية للحكم بعد ظهور نتيجة الانتخابات، كان ذلك في جامعة النجاح سنة 1983م، وفي أحداث غزة سنة 2007. البرغوثي، إياد: تداخل الأيديولوجيا والسياسة في نزوع حماس إلى العنف، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 71، 2007م، ص 56.

⁴ – البرغوثي، إياد: تداخل الأيديولوجيا والسياسة في نزوع حماس إلى العنف، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع71، 2007م، ص57.

⁵ – أبو جابر، إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2007، ص166.

والسلطات الدستورية المنبثقة عنها.

وأكد على التزام الأردن بدعم هذه الشرعية، وضرورة حماية السلطة الفلسطينية ودعمها ودعم رئيسها محمود عباس، ومنع انهيار مؤسساتها التي تخدم القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني مؤكداً رفض الأردن القاطع لكل خروج أو تحدٍّ لهذه السلطة الشرعية. (1)

وأكد رئيس الوزراء معروف البخيت من ناحيته "على ضرورة احترام الشرعية الفلسطينية ومؤسساتها، متمنياً لحكومة الطوارئ الفلسطينية برئاسة سلام فياض التوفيق والنجاح في خدمة القضية والشعب الفلسطيني، وأداء مهامها في هذه الظروف الصعبة" (2).

واستمر الأردن في العمل على دفع مسيرة التسوية المتعثرة من خلال جهود أردنية مباشرة مع إسرائيل والولايات المتحدة، ومن خلال تنسيق ثنائي مع مصر ورئيس السلطة الفلسطينية، وكذلك من خلال لقاءات قمة ثلاثية وأخرى رباعية بمشاركة أيهود أولمرت رئيس الحكومة الإسرائيلية، كما سعى الأردن إلى القيام بدور ملحوظ في تفعيل مبادرة السلام العربية بالتنسيق مع مصر وبتكليف من القمة العربية في الرياض (3)

هذا الدور الأردني تواصل مع دعوة الرئيس الأمريكي لعقد اجتماع أنابوليس (4)، حيث اهتم الأردن بتنسيق المواقف العربية لإنجاح هذا الاجتماع، سواء ضمن إطار مجلس وزراء

¹ — جريدة الدستور الأردنية، ع 14336، 16/6/2007م، ص 1.

² — نفسه، ع 14338، 18/6/2007م، ص 1.

³ — إبراهيم أبو جابر وآخرون: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2007، 162 — 163.

⁴ — مؤتمر أنا بوبوليس: عقد في أنابوليس بولاية ميرلند الأمريكية في 27/11/2007 مؤتمر دولي للسلام بمشاركة رئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود أولمرت ورئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس والعديد من زعماء العالم، من أجل تسريع العملية السلام في الشرق الأوسط، وجاء في بيانه الختامي، "إننا نعبر عن إصرارنا وعزمنا على وضع حد لسفك الدماء والمعاناة وعقود من الصراع بين شعبينا؛ وعلى بدء عهد جديد من السلام، القائم على الحرية والأمن والعدل والكرامة والاحترام والإعتراف المتبادل؛ وعلى نشر ثقافة السلام، وعلى التصدي لأعمال الإرهاب والتحريض سواء ارتكبتها فلسطينيون أو إسرائيليون. سعياً لتحقيق حل الدولتين، إسرائيل وفلسطين، تعيشان جنباً إلى جنب بأمن وسلام، لذا فأنا نوافق على إطلاق المفاوضات الثنائية فوراً وبحسن نية، من أجل التوصل إلى معاهدة سلام تحل جميع القضايا العالقة، وسنبدل كل جهد من أجل التوصل إلى اتفاق قبل نهاية العام 2008. وثائق أنابوليس، مؤتمر أنابوليس، 2007/11/27، <http://www.altawasul.com>.

لخارجية العرب، أم ضمن التنسيق الثنائي مع مصر (1).

وهذا ما يعزّز اتساع المسافة الفاصلة بين مواقف كل من الأردن وحماس اتجاه التسوية السلمية، إذ يعتبر الأردن أن إقامة الدولة الفلسطينية، عبر التسوية السلمية، على حدود العام 1967م مصلحة أردنية، ما يعني الوقوف على الطرف المقابل تماماً لموقف حماس الرفض للمسار الراهن من التسوية السلمية، وتحديداً إعلان الموافقة على القرارات الدولية بهذا الخصوص، وهذا الاختلاف بين الطرفين ينعكس أولاً على طبيعة تحالفاتهما الإقليمية والدولية وثانياً على العلاقة بينهما، ورؤية كل طرف للآخر. (2)

إلا أن نتائج مؤتمر أنابولس جاءت مخيبة لآمال العرب والفلسطينيين على حدّ سواء، ولم تحقق أي نتيجة من النتائج التي كانت تتطلع إليها القيادة السياسية الأردنية (ومعها دول الإعتدال العربي)، والتي حملت آمالاً بإنعاش المسار السلمي، وخبا التفاؤل الذي أبداه الزعماء العرب المجتمعون في شرم الشيخ قبيل مؤتمر أنابولس، مما اعتبر تصليباً وتعزيزاً لمحور الممانعة الذي يشكك بجدية المسار الحالي للتسوية السلمية. (3)

ورغم أن حماس لم تكن شريكاً معتبراً على مستوى العلاقات الإقليمية والدولية. وهو المستوى الذي استأثرت به فتح ومنظمة التحرير والسلطة الفلسطينية. حتى إذا كانت الانتخابات ثم الحكومة فإذا بحماس تصبح الشريك المعتبر والرقم الأساس في الساحة الإقليمية والدولية، ولم يعد أحد بقادر على أن يقضي أمراً في القضية الفلسطينية دون حماس. حماس شريك سياسي لفتح وللمنظمة، ولا أحد يرغب في النجاح بإمكانه تجاوز حركة حماس.

¹ - إبراهيم أبو جابر وآخرون: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2007، 162 - 163 .

² - الفاعوري، وائل والشعلان، سناء: دور جلالة الملك في مكافحة، 84؛ أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 52.

³ - أبو جابر، إبراهيم وآخرون: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2007، 163؛ أبو رمان، محمد: السياسة الأردنية وتحدي حماس، 52-53 .

قد يُرجع البعض هذه المكانة الخاصة للمقاومة التي خاضتها حماس ونالت بها شعبية كبيرة، وهذا صحيح، ولكنّ مكانة حماس في العلاقات الإقليمية والدولية تعزّزت بالفوز في الانتخابات، ومن ثم تشكيلها للحكومة وسيطرتها على البرلمان. وحين وقع الحسم العسكري والانقسام، وتحديثّ الساسة، وتحديثّ الدول عن الشرعيات؛ لم يكن ممكناً لأحد أن يتجاوز شرعية المجلس التشريعي الذي ترأسه حماس، ولا شرعية حكومة إسماعيل هنية رغم قرار الإقالة.

إن اتفاق مكة المكرمة يقدّم نموذجاً إقليمياً لتقدّم حماس على مستوى العلاقات الإقليمية. وإن مباحثات الغرب مع حماس وحكومة هنية من خلال مستويات سياسية متوسطة إضافة للتحوّلات الإيجابية في الغرب، تقدّم نموذجاً آخر لتقدّم حماس في الساحة الدولية من خلال تجربة الحكومة. (1)

إلا أن الأردن ورغم كل المعطيات السابقة، قد أبقى على أجواء القطيعة مع حركة حماس، واستمرّ على اصطفاقاته السابقة ضمن محور الاعتدال العربي، المتحالف مع الولايات المتحدة والمنخرط في مسيرة التسوية، رغم كل الإخفاقات التي أصابها بفعل التعنت الإسرائيلي المستمر. ورغم أن تجربة الحكم قفزت بحماس إلى الساحة الدولية والإقليمية وجعلتها طرفاً مقررّاً وليس طرفاً متلقياً (2).

وهكذا فقد أُسدل الستار على سنة 2007م، بنتيجة مفادها، استمرار إصرار الأردن على القطيعة مع حركة حماس، رغم كل نقاط التقارب في السياسة والجغرافيا والديمغرافية.

في حين نجد أن حماس مصرّة على التمسك بعمقها العربي والإسلامي، وكما يقول د. أحمد يوسف: "إن قناعتنا هي أنّ العرب والمسلمين هما عمقنا الاستراتيجي الذي يتوجب علينا

¹ - رزقه، يوسف: تجربة حماس في الحكم، بحث غير منشور 2010، ص 5 - 6.

² - نفسه، ص 6.

تفعله لاستعادة زخم القضية، وبثّ الحياة في شرايينها، حتى نتمكن من مغالبة إسرائيل سياسياً وعسكرياً.. وإن هذا يفرض علينا إقامة تفاهات سياسية وأمنية مع دول عربية وإسلامية مركزية بالمنطقة، مثل: مصر والسعودية، إضافة إلى تركيا وإيران. إنّ أية تحركات سياسية ونضالية خارج سياق موقف عربي وإسلامي تشارك فيه هذه الدول المركزية الأربع هو ضرب من العبث الذي لا طائل من ورائه.⁽¹⁾

ونؤكد أنّ الأردن – أرض الحشد والرباط – من وجهة نظر الإسلاميين هي من أوائل تلك الدول التي تحرص حركة حماس وبكل قوة وإصرار على تعميق العلاقات معها. وأخيراً لا تزال كواليس السياسة تخفي الكثير من الخبايا والأسرار، أملُ للباحثين من بعدي التوفيق في رصدها وتوثيقها.

¹ – يوسف، أحمد: إستراتيجية حماس، 24.

الخاتمة

✓ في حقبة الملك حسين صمدت العلاقة الأردنية مع حركة حماس خلال عشر سنوات في وجه رياح عاتية، أهمها ما كان يعقب العمليات العسكرية والتفجيرات التي قادت إلى انعقاد قمة شرم الشيخ عام 1996م، والأسباب التي مكّنت تلك العلاقة من تجاوز الصعوبات السياسية المعقدة، هي أسباب تترايط وتتداخل فيها أوضاع الفلسطينيين في الأردن، ودور الأردن التاريخي في الضفة الغربية والقدس، وقوة الحركة الإسلامية الأردنية، والالتقاء الثنائي في مربع واحد إزاء العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية ثم السلطة الفلسطينية، والرغبة الأردنية الدائمة بعدم دفع حركة حماس نحو مربع التطرف أو اتخاذ سوريا مقراً لها.

✓ من الناحية السياسية فقد كان للأردن مصلحة في احتضان حماس والتفاهم معها، فليس لهذه القوة الفلسطينية الرئيسية بالأساس صلات مع الأوساط الأمريكية والإسرائيلية التي تقف وراء مشروع الوطن البديل، وحماس ما تزال متمسكة بالثوابت الفلسطينية، وعلى رأسها حق العودة، وهو ما يجعل خيار حركة حماس هو الأمل الأقوى في تهدئة روع الأردن المتوجس من مشروع الوطن البديل، وبالتالي إفشال الخيار الأردني.

✓ إن محاولة اغتيال خالد مشعل والإفراج عن الشيخ أحمد ياسين أعطت مكانة إضافية لحركة حماس، وعززت مكانتها الإقليمية، والأهم أنها أضافت أبعاداً جديدة للعلاقة بين الطرفين، خاصة مع التدخل الحاسم للملك حسين آنذاك، لكن هذه العلاقة السياسية لم تمنع وجود قناعات سياسية وأمنية لدى بعض قوى صناعة القرار بأن

وجود حماس في الأردن أصبح عبئاً أمنياً وسياسياً، لكن هذه القناعات لم تكن قوية إلى درجة مقاومة الموقف السياسي الذي تتبناه مؤسسة الحكم "الملك" في تلك الحقبة.

▼ تزامنت مرحلة القطيعة بين حركة حماس والأردن مع اللحظات الأولى لعهد الملك عبد الله الثاني، ففي هذه المرحلة تغيرت المعادلة التي تحكم تصور "صناع القرار" للعلاقة مع حركة حماس بصورة أكبر من نواح رئيسية، فمن ناحية انتقلت إدارة جملة من الملفات الحيوية الداخلية المهمة إلى جهاز المخابرات العامة، وبذلك تحول ملف حماس من ملف سياسي يديره الملك الراحل الحسين شخصياً إلى ملف أمني يدار من قبل دائرة المخابرات العامة.

▼ رغم وضوح الموقف الأردني بالانحياز للغرب، ونهج السلام مع إسرائيل، إلا أنه يُسجّل للملك والدولة الأردنية أنها تتعامل من منطلقات إنسانية في العديد من القضايا التي تخصّ حركة حماس على الساحتين الأردنية والفلسطينية، إما بدوافع تتعلق بالإرث الهاشمي، أو لإرضاء وامتصاص غضب الشارع الأردني، الممزوج بالحالتين الفلسطينية والإخوانية، والذي يناصر ويؤيد حماس في معظم مواقفها وأفكارها.

▼ استمرت القطيعة بين الأردن وحماس، واستمر الانحياز الرسمي الأردني لرئاسة السلطة الفلسطينية، وخلال فترة تولّي إسماعيل هنية لرئاسة الحكومة الفلسطينية لم تستقبله الحكومة الأردنية، ولم تستقبل أي مسؤول في حكومته الحمساوية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق

- ✓ الوثائق الأردنية: خطاب الملك حسين، 14/6/1966م،
<http://www.alrai.com>
- ✓ الوثائق الأردنية: خطاب الملك حسين بن طلال في حافظة الزرقاء، 30/9/1997،
<http://www.alrai.com>
- ✓ الوثائق الأردنية: الملك عبد الله الثاني، خطاب العرش عام 1999م،
<http://www.parobserver.org>
- ✓ الوثائق الأردنية: بيان بشأن إغلاق مكاتب حماس في الأردن، 2/9/1999م،
<http://www.palestine-info.info>
- ✓ الوثائق الأردنية: الوقائع والوثائق الأردنية الربع الثاني 2001/2، دائرة المطبوعات والنشر، عمان، 2001م.
- ✓ الوثائق الأردنية: تصريح الناطق باسم الحكومة الأردنية يتهم فيه حركة حماس بتهريب الأسلحة إلى الأردن، ويقرر تأجيل زيارة وزير الشؤون الخارجية الفلسطيني،
2006/4/18
<http://www.alrai.com>
- ✓ الوثائق الأردنية: الملك عبد الله الثاني،
<http://www.alrai.com>
- ✓ الوثائق الأردنية: كلمة الملك عبد الله الثاني أمام الكونغرس الأمريكي، 7/3/2007،
<http://www.alrai.com>
- ✓ الوثائق الإسرائيلية: تقرير لجنة تشحوفر الإسرائيلية حول اغتيال مشعل، ترجمة
المركز الفلسطيني للإعلام، <http://www.palestineinfo.info>

✓ الوثائق الإسرائيلية: بيان الحكومة الإسرائيلية بشأن الحكومة الفلسطينية الجديدة

ورفضها شروط الرباعية، <http://www.altawasul.net>

✓ وثائق حماس: مذكرة تعريفية، <http://www.palestine-info.info>

✓ وثائق حماس: الميثاق، 18 / 8 / 1988م، <http://www.palestine-info.info>

✓ وثائق حماس: رسالة حماس إلى مجمع الفقه الإسلامي في الكويت، 10/12/

1988م، <http://www.palestine-info.info>.

✓ وثائق حماس: بيان حماس، 30 / 9 / 1991م،

<http://www.palestineinfo.info>.

✓ وثائق حماس: بيان حماس حول مؤتمر مدريد، 7 / 10 / 1991م،

<http://www.palestine-info.info>

✓ وثائق حماس: بيان المكتب السياسي لحماس تؤكد أن لا تنظيم خارج الأرض المحتلة،

<http://www.palestine-info.info>، 18/4/1994م،

✓ وثائق حماس: بيان حماس، 2/6/1994م،

<http://www.palestine-info.info>

✓ وثائق حماس: المعاهدة الأردنية الصهيونية،

<http://www.palestine-info.info>

✓ وثائق حماس: بيان المكتب السياسي بشأن مطالبة رئيس الحكومة الإسرائيلية الأردن

بوقف نشاط حماس على أراضيه 16 / 4 / 1994،

<http://www.palestine-info.info>

✓ وثائق حماس: بيان المشاركة في انتخابات مجلس الحكم الذاتي، تشرين الثاني 1995،

<http://www.palestine-info.info>

✓ وثائق حماس: مذكرة حماس إلى قمة شرم الشيخ، 1996/3/13،

<http://www.palestine-info.info>

✓ وثائق حماس: بيان الانتخابات التشريعية، 2005/ 3/12،

<http://www.islamonline.net>

✓ وثائق حماس: مذكرة موجهة إلى وزراء الخارجية العرب، 2006/9/15م،

<http://www.palestine-info.info>

✓ وثائق أنابوليس ، مؤتمر أنابوليس، 2007/11/27، <http://www.altawasul.com>.

✓ الوثائق الفلسطينية: مختارات من الوثائق الفلسطينية لسنة 2005، مركز الزيتونة

للدراسات والاستشارات، بيروت، 2006م، <http://www.aljazeera.net>.

✓ الوثائق الفلسطينية: تقرير الانتخابات التشريعية الثانية 25 كانون الثاني 2006، لجنة

الانتخابات المركزية، رام الله، 2006م.

✓ الوثائق الفلسطينية: رسالة رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية

الخارجية فاروق القدومي إلى وزير الشؤون الخارجية محمود الزهار، 2006/5/21،

<http://www.palestine-info.info>

✓ الوثائق الفلسطينية: اتفاق مكة، 2007/2/8،

<http://www.palestine-info.info>

✓ الوثائق الفلسطينية: مرسومان رئاسيان بشأن تشكيل حكومة إنفاذ أحكام الطوارئ،

وإقالة رئيس الوزراء، 2007/6/14، <http://www.aljazeera.net>.

ثانياً: المذكرات الشخصية

✓ بري، يعقوب: مهنتي كرجل مخابرات 29 عاماً من العمل في الشاباك، ترجمة بدر

عقيلي، دار الجليل، عمان، 2001.

✓ الروابدة، عبد الرؤوف: سياسي يتذكر، جريدة الغد، ع 2093، 2010/5/24م.

✓ ابن طلال، الحسين: الحسين بن طلال ليس سهلاً أن تكون ملكاً سيرة ذاتية، ترجمة

هشام عبد الله، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1999م.

✓ غوشة، إبراهيم: المئذنة الحمراء سيرة ذاتية، مركز الزيتونة للدراسات

والاستشارات، بيروت، 2008م.

✓ المجالي، عبد السلام: رحلة العمر من بيت الشعر إلى سدة الحكم، شركة المطبوعات

للتوزيع والنشر، بيروت، 2004م.

✓ المعشر، مروان: نهج الاعتدال العربي مذكرات سياسية 1991-2005، ترجمة

نسرين ناضر، دار النهار، بيروت، 2008م.

✓ منصور، أحمد: الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة، الدار العربية للعلوم

ودار ابن حزم، بيروت، 2004م.

✓ هالفي، إفرام: رجل في الظلال، الدار العربية للعلوم - ناشرون، بيروت، 2008م.

ثالثاً: المراجع باللغة العربية

✓ البرغوثي، إياد: الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، مركز رام الله

لدراسات حقوق الإنسان، رام الله، 2003م.

✓ = = : الإسلام السياسي في فلسطين، مركز القدس للإعلام والاتصال،

القدس، 2000م.

- ✓ البصول، رزق: **الإنسانية تبكي الحسين**، مطبعة الروزنا، اربد، 1999م.
- ✓ أبو جابر، إبراهيم وآخرون: **التقرير الاستراتيجي لسنة 2005**، تحرير محسن صالح، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2006م.
- ✓ أبو جابر، إبراهيم وآخرون: **التقرير الاستراتيجي لسنة 2006**، تحرير محسن صالح، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2007م.
- ✓ جمّال، محمد: **زيارات حماس إثر فوزها في الانتخابات التشريعية حسبما تعكسه الصحافة**، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2006م.
- ✓ الحروب، خالد: **حماس الفكر والممارسة السياسية**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1999م.
- ✓ الحمارنه، مصطفى وآخرون: **العلاقات الأردنية – الفلسطينية: إلى أين؟**، مركز الدراسات الاستراتيجية الجامعة الأردنية، عمان، 1998م .
- ✓ الحوراني، هاني وآخرون: **الحركات والتنظيمات الإسلامية في الأردن**، دار سندباد للنشر، عمان، 1997.
- ✓ الحيلة، أحمد وآخرون: **قراءات نقدية في تجربة حماس وحكومتها**، تحرير محسن صالح، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2007م .
- ✓ الخلايلة، أحمد وآخرون: **حماس والحركة الإسلامية والحوار مع النظام السياسي في الأردن**، تحرير جواد الحمد، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2008م .
- ✓ الدقاق، إبراهيم وآخرون: **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية**، تحرير محمد اشتية، المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، البيرة، 2009م.

- ✓ دمج، ناصر: **تحولات منهجية في مسار الصراع العربي الإسرائيلي**، مركز الدراسات الاستراتيجية، رام الله، 2007م.
- ✓ أبو رمان، محمد: **السياسة الأردنية وتحدي حماس استكشاف المناطق الرمادية ومقاربة " فجوة المصالح المشتركة "**، مؤسسة فريدرش ايبرت، عمان، 2009م.
- ✓ سعد، وائل: **الحصار دراسة حول حصار الشعب الفلسطيني ومحاولات إسقاط حكومة حماس**، مركز دراسات الشرق الأوسط، بيروت، 2006م.
- ✓ سلطان، فتحي و سلامة، محمد: **الشين بيت (الشباك) جهاز الأمن الداخلي**، دن، عمان، 2002م.
- ✓ السمان، محمد وعاشور، حسن: **مذبحة الحرم، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت.**
- ✓ سمور، سري: **وجود فرع لتنظيم القاعدة في فلسطين ممكن أم مستحيل**، دن، جنين، 2005م.
- ✓ الشاعر، وهيب: **الأردن.. إلى أين؟ الهوية الوطنية والاستحقاقات المستقبلية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004م.
- ✓ الشريف، ماهر: **البحث عن كيان دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني 1908—1993**، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، نيقوسيا، 1995م .
- ✓ شفيق، منير: **اتفاق أوسلو، منشورات فلسطين المسلمة، عمان، 1994م.**
- ✓ شهاب، زكي: **حماس من الداخل القصة غير المروية عن المقاومين والشهداء والجواسيس**، الدار العربية للعلوم — ناشرون، بيروت، 2008م.
- ✓ شيف، زئيف و يعاري، اهود: **انتفاضة**، ترجمه من العبرية دافيد سجييف، دار شوكن للنشر، القدس، 1990م .

✓ صالح، محسن: **دراسات منهجية في القضية الفلسطينية**، دار الفرقان، عمان، 2004م.

✓ الصايغ، يزيد: **الحركة الوطنية الفلسطينية 1949 – 1993 الكفاح المسلح والبحث عن الدولة**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2003م.

✓ عباس، محمود: **طريق أوسلو**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1994م.

✓ عبد الحق، أسامة: **أمة تقاوم حوارات في الفكر والسياسة – الإسلام – فلسطين – الغرب**، مركز فلسطين للدراسات والبحوث، غزة، 1999م.

✓ علي، ياسر: **المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني**، تحرير محسن صالح ومريم عيتاني، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، عكا، 2009م.

✓ أبو عمرو، زياد: **الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة**، دار الأسوار، عكا، 1989م .

✓ عيتاني، مريم: **صراع الصلاحيات بين فتح وحماس**، تحرير محسن صالح، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2008م .

✓ أبو عبيد، عبد الله وآخرون: **دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) 1987 – 1996**، تحرير جواد الحمد، إياد البرغوثي، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، المكتبة الجامعية، نابلس، 1998م.

✓ الفارس، تيسير: **العلاقات الأردنية الفلسطينية واقعها ومستقبلها**، دار الحقيقة الدولية للدراسات والأبحاث، عمان، 2002م.

✓ الفاعوري، وائل والشعلان، سناء: **دور جلالة الملك في مكافحة الإرهاب تفجيرات عمان في قصص**، دار الخليج، عمان، 2006م.

- ✓ الفاعوري، إبراهيم وآخرون: الهاشميون ملوك صنعوا التاريخ الأردن تاريخ وحضارة، مركز الغيرة، عمان، 2004.
- ✓ فهمي، أحمد: حماس بين زمنين، دن، د م، 2006م.
- ✓ قاسم، عبد الستار: الاستراتيجية الأمريكية الجديدة وانعكاسها على العرب، مركز البراق للبحوث والثقافة، البيرة، 2004م.
- ✓ قريع، أحمد: الرواية الفلسطينية الكاملة للمفاوضات من أوسلو إلى خريطة الطريق، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2005م.
- ✓ لوماشان، فيليب و راضي، لمياً: إسرائيل / فلسطين غداً أطلس استقرائي، ترجمة يوسف ضومط، دار الجليل، بيروت، 1998م.
- ✓ محمود، عبد المنعم: أسرار ومواقف وقرارات الملك حسين ما بين مؤيد ومعارض، مركز الكتاب العلمي، القاهرة 1999م.
- ✓ مركز دراسات الشرق الأوسط: انتفاضة الأقصى تعيد النظر بمستقبل الكيان الصهيوني، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2001م .
- ✓ مركز دراسات الشرق الأوسط، التقرير، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 1998م .
- ✓ مشعال، شأول وسليح، أبراهام: عصر حماس، ترجمة المركز الفلسطيني للإعلام، يديعوت احرونوت، القدس، 1999م.
- ✓ مشعل، أحمد وآخرون: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2007م، تحرير محسن صالح، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2008م.
- ✓ مشعل، خالد: حركة حماس وتحرير فلسطين، جريدة النهار، بيروت، 2006م.

✓ المعاينة، سميح: الدولة والإخوان 1999 – 2008 قراءة تحليلية، مركز القدس

للدراسات السياسية، عمان 2008 م .

✓ منصور، كميل: دليل إسرائيل عام 2004، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت،

2004م،

✓ النواتي، مهيب: حماس من الداخل، دار الشروق، غزة، 2002م.

✓ نوفل، أحمد وآخرون: منظمة التحرير الفلسطينية تقييم التجربة وإعادة البناء، مركز

الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2007م.

✓ الهزايمة، محمد: السياسة الخارجية الأردنية في النظرية والتطبيق مع المعاهدة

الأردنية الإسرائيلية وملحقاتها، دار عمار، عمان، 1997م.

✓ يوسف، أحمد: تجربة حماس السياسية، بيت الحكمة للدراسات والاستشارات، د م،

2010م.

✓ المؤسسة الإسلامية العالمية للدراسات: خالد مشعل، المؤسسة العالمية للدراسات،

لندن، 1997م.

رابعاً: الدوريات

✓ البرغوثي، إياد: تداخل الأيديولوجيا والسياسة في نزوع حماس إلى العنف، مجلة

الدراسات الفلسطينية، ع71، 2007م.

✓ الجرباوي، علي: حماس مدخل الإخوان المسلمين، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع13،

1993م.

✓ حرب، أسامة: فلسطين تحت حكم حماس، مجلة السياسة الدولية، ع164.

✓ الحروب، خالد: حماس في الحكم، مجلة سياسات، ع2، 2007م.

- ✓ ذياب، أحمد: **الصدام بين حماس والأردن**، مجلة الأهرام، ع 139، 2000م.
- ✓ رميح، طلعت: **أسر الجندي الصهيوني**، مجلة البيان، ع 237، 2006م.
- ✓ الزهار، محمود: **الحركة الإسلامية حقائق وأرقام**، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 13، 1993م.
- ✓ أبو سيف، عاطف: **قراءة نقدية في تطور الحركة الوطنية الفلسطينية**، مجلة سياسات، ع 1، 2007م.
- ✓ شبيب، سميح: **الهيمنة وتكتيك الشراكة**، مجلة رؤية، ع 30، 2007م.
- ✓ صافي، خالد: **اتفاق مكة واقع وتحديات**، سياسات ع 2، 2007.
- ✓ ابن طلال، حسن: **القدس والمسؤولية عن الضفة الغربية**، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 21، 1995م.
- ✓ ابن طلال، حسين: **حديث صحفي**، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 23، 21 / 6 / 1995م.
- ✓ أبو عامر، عدنان: **الخطاب السياسي لحكومة " حماس " والمجتمع الدولي**، مجلة تسامح، 12، 2006م.
- ✓ غوشة، إبراهيم: **اتفاق تنفيذ الحكم الذاتي**، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 18، 1994م.
- ✓ فهمي، أحمد: **حوار مع إسماعيل هنية**، مجلة البيان، ع 243، 2007م.
- ✓ قاسم، عبد الستار: **حماس والأردن.. علاقة جدلية**، السياسة الدولية، ع 170، 2007م.
- ✓ = = = : **الفكر السياسي لحركة حماس**، مجلة السياسة الفلسطينية، ع 9، 1996م.

✓ المبيضين، مخلص: الإخوان المسلمون والنظام السياسي في الأردن، مجلة العلوم الاجتماعية، ع 4، 1999م.

✓ أبو مرزوق، موسى: الأزمة السياسية الفلسطينية والتطورات الراهنة، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 67، 2006م.

✓ أبو مرزوق، موسى: مبادرة سياسية، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 18، 1994م.

✓ أبو مرزوق، موسى: مجلة فلسطين المسلمة، ع 2، 1993م.

✓ مشعل، خالد: مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 76، 2008م.

✓ المعاينة، سميح: الحكومة الأردنية الجديدة، مجلة فلسطين المسلمة، ع 7، 1993م.

✓ نعييرات، رائد: القضية الفلسطينية بقيادة حماس، مجلة دراسات شرق أوسطية، ع 34 – 35، 2006م.

✓ نزال، محمد: تصريح صحفي، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 26، 1996م.

✓ علاقة الأردن بحماس أسباب التطور وعوامل النجاح والصعوبات المتوقعة: مجلة فلسطين المسلمة، ع 9، 2008م.

خامساً: المقابلات الشخصية

✓ البلبول، رائد (مرافق الشيخ أحمد ياسين في السجن): الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، 2010/7/12م، بيت لحم.

✓ الشاعر، ناصر الدين (نائب رئيس الوزراء ووزير التربية والتعليم في الحكومة الفلسطينية العاصرة): علاقة الحكومة الفلسطينية مع الأردن عام 2006 – 2007م، 2010/7/1م، نابلس.

✓ كبتها، وصفي (وزير الأسرى والمحربين في الحكومة الفلسطينية العاشرة): علاقة حماس مع الأردن، 2010/ 6/ 30م، جنين.

✓ يوسف، أحمد (المستشار السياسي لرئيس الوزراء الفلسطيني الأستاذ إسماعيل هنية) : علاقة حماس مع الأردن، 2019 /9/1م، غزة، عبر الهاتف والإيميل.

سادساً: الصحف

✓ جريدة الأيام، (رام الله) ع 630، 1 / 10 / 2007م.

✓ جريدة الأيام، (رام الله) ع 635، 5 / 10 / 1997م.

✓ جريدة الأيام، (رام الله)، ع 4784، 11 / 5 / 2009م.

✓ جريدة الدستور الأردنية، (عمان) ع 14336، 26 / 1 / 2006م.

✓ جريدة الدستور الأردنية، (عمان) ع 13837، 27 / 1 / 2006م.

✓ جريدة الدستور الأردنية، (عمان) ع 13837، 27 / 1 / 2006م.

✓ جريدة الدستور الأردنية، (عمان) ع 13839، 29 / 1 / 2006م.

✓ جريدة الدستور الأردنية، (عمان) ع 14209، 9 / 2 / 2007م.

✓ جريدة الدستور الأردنية، (عمان) ع 14210، 10 / 2 / 2007م.

✓ جريدة الدستور الأردنية، (عمان) ع 14336، 16 / 6 / 2007م.

✓ جريدة الدستور الأردنية، (عمان) ع 14338، 18 / 6 / 2007م.

✓ جريدة الشرق الأوسط، (لندن) ع 11152، 10 / 6 / 2009م.

✓ جريدة الشرق الأوسط، (لندن) ع 9813، 10 / 10 / 2005م.

✓ جريدة القدس، (القدس) ع 8371، 19 / 12 / 1992م.

✓ جريدة القدس، (القدس) ع 13498، 18 / 3 / 2007م.

✓ جريدة القدس، (القدس) ع 14196، 23 / 2 / 2009م.

✓ جريدة القدس، (القدس) ع 14598، 6 / 4 / 2010م.

✓ جريدة القدس: (القدس) ع 14687، 4 / 7 / 2010م.

سابعاً: المصادر باللغة الانجليزية

1- McGeough, Paul: **Kill Khalid** , Sydney, 2008.

2- Tamimi, Azzam: **HAMAS unwritten chapters**, Hurts & Company, London, 2007.

ثامناً: المواقع الالكترونية

✓ إبراهيم، يوسف: اتفاق مكة بين المؤيدين والمعارضين،

<http://www.ras.ajorg>

✓ أعضاء الحكومة الفلسطينية الجديدة، 27/3/2006،

[http:// www.wafa.pna.net](http://www.wafa.pna.net)

✓ بلقزيز، عبد الإله: حماس في مختبر السلطة،

<http://www.alqudsonline.com>

✓ التميمي، عزام: استراتيجية لا تملك حماس سواها،

<http://www.paltoday.com>

✓ الجوهرري، شاكر: العلاقات الأردنية – الحمساوية،

[http:// blogs static maktoob com](http://blogs.static.maktoob.com)

✓ حتر، ناهض: حوار مع خالد مشعل،

<http://www.arabrenewal.org>

✓ حتر، ناهض: ماذا قال خالد مشعل عن موقف حماس من الأردن،

<http://www.arabrenewal.org>

✓ حمامي، إبراهيم: صفقة شارون،

<http://www.palestine-info.info>

✓ الحمد، جواد: إعادة تنظيم الخارطة،

<http://www.mesc.com>.

✓ الحية، خليل: دخلنا التشريعي لحماية المقاومة،

<http://www.assabeel.net>

✓ روبرت، ممانتوف،: اتفاق مكة معضلة جديدة لأمريكا، ترجمة مروى صبري،

<http://www.islamonline.net>

✓ الزهار، محمود: المركز الفلسطيني للإعلام،

<http://www.palestine-info.info>

✓ سليمان، أحمد: حماس في الساحة الأردنية،

<http://www.islamonline.net>

✓ سليمان، أحمد: حماس والأردن،

<http://www.islamonline.net>

✓ الصباغ، رنا: الأردن.. علاقة جديدة مع حماس والإخوان،

<http://www.islamonline.net>

✓ عدوان، بيسان: خيار الوطن البديل، <http://www.ahewar.org>

✓ العلاقات الأردنية – الإسرائيلية،

<http://www.alalam>

✓ عميدور، يعكوف: حوار الأردن مع حماس، ترجمة المركز الفلسطيني للإعلام،

<http://www.palestine-info.info/arabic>

✓ غرايبة، إبراهيم: حماس والدولة الأردنية،

<http://www.islamonline.net>

✓ غرايبه، إبراهيم: السياسات الأردنية،

<http://www.aljazeera.net>

✓ غرابية، إبراهيم: إشكالية حماس في الإخوان المسلمين،

<http://www.islamonline.net>

✓ الفرحان، إسحاق: لا أتوقع صداماً بين الإسلاميين والنظام الأردني،

<http://www.islamonline.net>

✓ القلب، صالح: الأردن تخلي غوشه عن هويته الفلسطينية شرط لدخوله،

<http://www.aljazeera.net>

✓ قمش، ناصر: عبد الرؤوف الروابدة على كرسي الاعتراف،

<http://jordan.net>

✓ كورتز، أنات: الانتفاضتان الفلسطينيتان، ترجمة مركز الزيتونة للدراسات،

<http://www.alzaytouna.net>

✓ أبو مرزوق، موسى: مركز الزيتونة للدراسات،

<http://www.alzaytouna.net>

✓ مركز القدس للدراسات: فوز حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية،

<http://alqudscenter.org>

✓ مشعل، خالد: مركز الزيتونة للدراسات،

<http://www.aljazeera.net>

✓ مشعل، خالد: حماس ليست معنية بتقسيم الساحة الأردنية،

<http://www.alzaytouna.net>

✓ موقع رئاسة الوزراء الأردني،

<http://www.pm.gov.jo>

✓ موقف الأردن من اغتيال الشيخ أحمد ياسين،

<http://www.palestine-info.info>

✓ النابلسي، شاكِر: الأحزاب الإسلامية الأردنية بين الدين والدولة،

<http://www.almadapaper.net>

✓ النادي، علاء: حماس وتصفية تركة النسب الإخواني،

<http://www.alzaytouna.net>

✓ نمر، محمد: بيان التغيرات التي طرأت على ميثاق حماس، ترجمة مركز الزيتونة

للدراسات، <http://www.alzaytouna.net>

✓ أبو هلاله، ياسر: الإخوان وحماس،

<http://www.alghad.com>

✓ وردم، باتر: علاقة الأردن وحماس،

<http://www.jordanwatch.net>

✓ يوسف، أحمد: الاتصالات بين الأردن وحماس،

[http:// www.palestine-info.info](http://www.palestine-info.info)

تاسعاً: الأبحاث غير المنشورة

✓ يوسف، أحمد: استراتيجية حماس.

✓ = : الشراكة السياسية.

✓ رزقه، يوسف: تجربة حماس في الحكم، 2010.

between the two parties. This was characterized by the state of tight and loose relations that continued until the end of the era of King Hussein in the year 1999. Moreover, the study analyzed the role of Jordan in general and that of King Hussein in particular in backing and supporting Hamas movement on several occasions and situations.

In addition, the study discussed the beginning of the King Abdallah II era in 1999, and it allocated a special part in which it analyzed his new policy towards Hamas Movement including the strained relationships and the process of banning movement leaders from appearing on the Jordanian arena to the extent of a boycott to a certain extent.

Finally the study addressed the interaction of Jordan with the Palestinian legislative elections in 2006, its position regarding the tenth Palestinian government “ Hamas Government” as well as its position on Mecca Agreement, National Unity Government, Palestinian infighting and the military option or the so called Hamas Coup in mid 2007.

Abstract

This study focuses on research into the different stages of the relationship that existed between Hamas Movement and Jordan over a period of two decades 1987-2007.

The study aims to introduce Hamas Movement, its justifications, rationales, objectives, strategies as well as a digest of the movement. The study also analyzed the constant principles that are not accepted for negotiation and tactics of the political ideology of Hamas Movement.

Since the only available option for Hamas to access into Jordan is the legally recognized Moslem Brothers Movement, the topic on the relationship of Hamas with the Moslem Brothers Movement and other Jordanian parties constituted a part of this study. Moreover, the study addressed the early beginnings of Hamas external contacts especially with Jordan. It also addressed the role of King Hussien in the adoption of the movement for a number of goals and reasons along with the very close relationship that existed between them.

The study discussed position of Hamas regarding the disengagement between Jordan and the West Bank in the year 1988 and its standpoint with regard to Madrid Peace Conference and the position of both parties concerning the signing of Oslo Agreement.

The study also analyzed Hamas positions regarding Wadi Araba Agreement between Jordan and Israel in 1994. It also tackled the continued presence of the movement on the Jordanian arena - in spite of the fact that Jordan signed a peace agreement with Israel- and the start of somewhat controlled tense relatio